د. إبراهيم عوض

المتنبي

دراسة جديدة لحياته وشخصيته

١٩٨٧

د. إبراهيم عوض

المتنبي

دراسة جديدة لحياته وشخصيته

١٩٨٧

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الاهـــداء

الى فاطمـــة ويمنى وعـــلاء الـدين

الذين شـــغلهم المتنبى كما شـغلنى ،

مع دعاء الى المولى سبحانه أن يحفظهم

من كل شر ٠

مقدمة

تناولت فى هذه الدراسة حياة المتنبى وشخصيته مستفيدا من كل ما وقع فى يدى مما كتبه الذين سبقونى الى هذا الموضوع ، ولكنى حرصت فى الوقت ذاته على ان انظر الى كل شىء فيه من جميع الزوايا المتاحة ، وأن أعالجه بتفصيل شديد أرجو ألا أكون قد سبقت اليه · وقد ساعدنى هذا على ان أرى أحداث حياة الشاعر وملامح شخصيته رؤية مستقلة كشفت لى كثيرا من خبايا سيرته وشخصيته ، كما حرصت ايضا على ان أكون موضوعيا بأقصى ما تحتمله طاقتى البشرية · ولم أبال بما قاله هذا الباحث أو ذاك لمجرد شهرته رغم تقديرى لجهود من سبقونى واستفادتى منها كما قلت ، بل كان معولى كله على تقصى الامر من كل جوانبه وعرضه على عقلى الناقد ، معتمدا فى المقام الاول على أخبار الشاعر عند مترجميه القدماء بعدتمحيصها تمحيصاشديدا،وعلى التحليل المرهق لشعره واستقطار كل نقطة فيه ، ومستضيئا بالمنطق الانسانى العام ، والسياق التاريخى للاحداث والمواقف والاقوال ، والتحليل الدقيق المستقصى لشخصية الشاعر · ولذلك فحتى حين أتفقت نتائجى مع نتائج بعض من سبقونى فقد كانت لى دائما تحليلاتى وحيثياتى الخاصة بى · وأرجو أن أكون قد نجحت فى ذلك وفى جعل بحثى عن الشاعر الذى ملأ الدنيا وشغل الناس ذا مذاق خاص ·

والحمد أولا واخرا لله سبحانه ، الذى كنت دائما أدعوه وأنا أكتب هذه الدراسة أن ينير عقلى بنور الحق ، ولعله عز وجل قد استجاب لى · ولعل اخطائى فى هذا الكتاب الا تكون كثيرة أو فاحشة ·

موجز لحياة المتنبى

ولد المتنبى فى الكوفة سنة ٣٠٣ هـ ، وتعلم فى كتـــاب فيه أولاد أشراف الكوفة ٠ وقد وهب الشاعر حافظة قوية ، وأبدى منذ الصـــغر اهتماما بالمكتب والعلم ، كما تفتحت موهبته الشعرية منذ وقت مبكر ، حتى لقد قال الشعر وهو لايزال صبيا بالمكتب ٠

وقد خرج الشاعر الى البادية ومكث بها سنتين ثم عاد الى مسقط رأسه ، ولكنه غادر العراق ثانية ميمما وجهه نحو الشام ٠ وهناك سجن وبقى فى السجن سنتين(٣٢٠ ـ ٣٢٢ هـ) ٠ وبعد خروجه من السجن أخذ يقصد أعيان الشام وولاته يمدحهم ويتلقى عطاياهم ، الى أن ســاقته الاقدار الى الاتصال بسيف الدولة ، الذى بقى فى معيته سنوات تســعا (٣٣٧ ـ ٣٤٦ هـ) ٠ ثم حدثت جفوة بينهما فترك الشاعر حلب خفيــه وفــر الى مصر حيث عاش هناك الى سنة ٣٥١ هـ ، ثم تركها بعد ان لم يجد فيها متنفسا لآماله فى تولى ولاية ، وفر هاربا الى العراق حيث عاش فى الكوفة زمنا قصيرا ثم انتقل الى بغداد ، ومنهـــا الى بلاد فارس (٣٥٤ هـ) ٠ وهناك مدح ابن العميد ثم عضد الدولة ، الذى لم يستقر عنده طويلا فودعه وقفل عائدا نحو بغداد ، حيث قتل على مشارفها وقتل معه ابنه محســـد وغلامه مفلح ، اذ طلع عليه ،مع نفر كثير معه، فاتك بن أبى جهل الأسدى ، خال ضبة ، الذى كان المتنبى قد هجاه هجاء فاحشا مس فيه عرض أمه (أخت فاتك هذا) مسا عنيفا ٠

نسب الشاعر

يقول د · محمد عبد الرحمن شعيب عن نسب المتنبى انه « قد اكتنفه الغموض حقا » (١) · والحقيقة ان هذا غير صحيح ، فقد سجل القدماء نسب المتنبى ، وذكروا أشياء كثيرة عن أبيه وجدته ومولده ومسقط رأسه والحى الذى ولد فيه والكتاب الذى تردد عليه والبوادى التى تنقل بينها ···· الخ (٢) ·

صحيح ان هناك بعض اختلاف بين الروايات فى اسم جده مثلا ، الا ان هذا لم يكن شيئا غريبا فى ذلك العصر الذى لم تكن توجد فيه سجلات مدنية ولاشهادات ميلاد وما أشبه ، ولم يكن يهتم فيه بالشخص الا بعد ما يكبر ويشتهر ·

اذن لم يكن هناك غموض حول المتنبى ، وظل الامر كذلك حتى طلع علينا أحد الباحثين فى العصر الحديث بنظرية عن نسب الشاعر ادعى فيها أنه علوى شريف ، ثم أعقبه باحث آخر فتطرف الى الناحية المضادة زاعما أنه ابن سقاء (٣) · فعندنا من ثمة روايات من عصر المتنبى ومن بعد عصره تذكر لنا نسبه ، وعندنا من العصر الحديث نظريتان تخالفان مابلغنا عن القدماء حول هذا النسب · وهاتان النظريتان هما اللتان خلقتا هذه البلبلة التى لم يكن لها وجود من قبل · وسأبدأ هنا بمناقشة النظرية الاخيرة وهى النظرية التى اخترعها د · طه حسين فى أواخر الثلاثينات وبسطها فى كتابه «مع المتنبى» ، الذى كتبه وهو يصيف فى فرنسة فى سنة سبع وثلاثين مسترخيا فى احدى قراها بين الربى الجميلة (٤) ، والذى قال عنه انه ليس علما ولانقدا ولاينبغى على القراء ان ينتظروا منه ماينتظرونه من كتب العلم والنقد ، لانه ليس أكثر من خواطر مرسلة تثيرها فى نفسه قراءة المتنبى فى قرية من قرى الالب فى فرنسة ، فى غير نظام ولا مواظبة

وعلى غير نسق منسجم ، اذ ان نفسه كانت تنازعه الى قراءة كتب الادب الفرنسى على حين كان يكرهها هو بعناده المعروف على ان تقطع قراءة هذا الادب بين الحين والحين وتلتفت قليلا الى المتنبى (٥) · وهو لذلك لايبالى أكان رأى القارىء فى ما سطره فى كتابه هذا أنه فكر رجل يقصد ما يقوله أم أنه هذيان شاذ جامح (٦) ·

وقد يرى بعض الناس أن كلام طه حسين هنا عن نفسه وكتابه انما هو تلاعب بالكلمات وبعقول القراء يظهر تواضعا ويخفى اعتدادا بذاته واعتزازا بفكرة وكتاباته ، بيد أنى أحب ان آخذ كلام الدكتور بالنسبة الى ما قاله عن نسب المتنبى على ظاهره ،اذ لايمكن أن يكون الأمر الا كذلك (٧)· كيف لا وهو يقتحم هذا الزعم الخطير فى خفة لامبالية وكأن الامر لايتعلق بعرض رجل من مشاهير العرب والمسلمين ومن نوابغهم وواحد من صفوة شعرائهم الذين يعتزون بهم أيما اعتزاز ، ودون ان يقدم لنا اساسا واحدا يجعلنا نقف أمامه مجرد وقوف ؟

ان أول مايلاحظ على رأى طه حسين هو ما فيه من تناقض شنيع ، فهو يقول انه « جائز جدا أن يكون المتنبى عربيا ، وجائز أن يكون من عرب الجنوب ، جعفى الاب ، همدانى الام (٨) ، ويقول : « كان للمتنبى اب وجد ·· ولعل المتنبى نفسه قد عرف الكثير من أمر أبيه وجده » (٩) ، ليعود فيشك بعد قليل فى عروبة المتنبى ويعلن تكذيبه لادعائه ان قومه فخر العرب متسائلا : « ما الذى يمنعنا ان نصدق المتنبى ونرى معه انه كان عربيا قحطانيا ؟ لا شىء الا انه لم يحفظ نسبه ولم يحفظه له المؤرخون (١٠) ، (الحقيقة ان البيتين اللذين يشير اليهما طه حسين ، وهما :·

لابقومى شرفت بل شرفوا بى وبنفسى فخرت لابجدودى

وبهم فخر كل من نطق الضا دوعوذ الجانى وغوث الطريد

ليس فيهما ادنى اشارة الى أنه قحطانى · من هنا يتبين أن طه

حسين لم يكن دقيقا حين عزا الى المتنبى ما لم يقله) (١١) · ويشك طه حسين كذلك فى معرفته لابيه وأمه (١٢) · فانظر الى مدى التضارب فى أقواله · وانظر ايضا الى هذا الاضطراب الذى يدفعه الى الجزم بأن المؤرخين لم يحفظوا نسب الشاعر ، على حين قد ذكر قبلا أنهم نصوا على انه عربى ينتهى نسبه من قبل ابيه الى جعفى ومن قبل أمه الى همدان (١٣) · والغريب أنه بعد ان شكك فى عروبة المتنبى يرجع فيقول انه « ليس من الحق ان العربى لايكون عربيا حتى يحفظ لنفسه أو يحفظ الناس له نسبا صريحا ينتهى به الى قبيلة من القبائل ·· فأكثر الذين كانوا يرون أنفسهم عربا فى العصور القديمة لم يكونوا يحفظون أنسابهم فى أكبر الظن · والتاريخ لم يحفظها لهم على كل حال » (١٤) ·

ارأيت الان مدى التناقض والتضارب والاضطراب فى كلام طه حسين ؟ ليس هذا فقط فانه بعد أن قال هذه القولة الشنيعة فى نسب الرجل نراه بعد ذلك ينسى هذا كله ويورد الروايات التى تذكر والد المتنبى ودوره فى حياة ابنه ورحلته به من الكوفة الى بادية الشام وبغداد وغير ذلك من غير ان يكذبها ، كأنه يسلم بها ، وكأنه لم ينف وجود هذا الاب ولم يلوث عرض ابنهويتهمه هذا الاتهام الفظيع الذى لايرضاه خلق المسلم (١٥) بل انه فى موضع آخر من الكتاب يجعل المتنبى قحطانيا اعتمادا فيما يبدو على قوله « أبنى أبينا ·· » فى قصيده يمدح بها شجاع بن محمد بن أوس بن الرضاء الأزدى ، فلأن الأزد قحطانية ، ولأن المتنبى (فى نظر د · طه حسين ، فيما يظهر) قد نادى ممدوحه هذا بـ « أبنى أبينا » كان المتنبى عنده قحطانيا (١٦) · وهو ما يريك مدى الاضطراب البشع الذى تعانى منه نظرية د · طه حسين وآراؤه فى نسب المتنبى · أقول هذا رغم أنى أرى انه أساء فهم هذا النداء ، الذى لايمكن أن يكون موجها الى الممدوح ، لانه سيقول عن قوم ممدوحه هذا بعد عدة ابيات :

أما بنو أوس بن معد بن الرضا   فأعز من تحدى اليه الاينق

مما يدل على ان النداء السالف لم يكن موجها اليهم ، لان«أما» تعنى

ان المتحدث عنه بعدها يختلف عن المتحدث عنه قبلها ، ولأن الكلام هنا عن بنى أوس بن معن بن الرضا قد جاء بضمير الغائب ، والنداء يستلزم استعمال ضمير المخاطب ، فليس من المعقول ان يتحدث اليهم ثم اذا به فجأة يتحدث عنهم بضمير الغائب (وبعد «أما» كما قلت) • ولو كان المقصود بالنداء هو أهل الممدوح لما فات هذا على ابن جنى والواحدى وكذلك العكبرى ، الذى فسر النداء بـ « يا اخوتاه ، ويابنى آدم •• ويجوز ان يكون يريد قوما مخصوصين من رهطه وقبيلته » (١٧) • فلاحظ كيف أنه لم ير فى النداء أيه اشارة الى الممدوح وقومه • على ان هذا النداء يدل ، مع ذلك ، على تهافت نظرية د • طه حسين ، فلولا أن المتنبى كان يعرف نسبه لما جرت على لسانه هذه العبارة التلقائية التى توحى بانتسابه الى قوم مخصوصين • أقول « قوم مخصوصين » ، اذ أنى استبعد أن يكون المتنبى قد قصدر بهذا النداء « بنى آدم » بوجه عام ، لان السياق لايحتمل هذا التفسير ، ولانه لم يجر العرف فى لغة العرب (فيما اعرف) ان ينادى البشر كلهم بهذه المناداة •

فهذا أول مأخذ على هذه النظرية العجيبة ، والآن الى الأسس التى أقام عليها د • طه حسين هذه النظرية ، (وأنا أسميها «أسسا» تجاوزا)

أول هذه الاسس أن المتنبى لم يمدح أباه ولم يفخر به ولم يرثه ولم يظهر عليه الحزن حين مات (١٨) ، وأنه حين انتسب لم ينسب نفسه الى رجل بل الى معنى بعضه يغنى عن كل غيره وقليله يغنى عن كثير سواه(١٩) وأن ديوانه يخلو من ذكر أمه وأبيه (٢٠) • وثانيها هو هذا «الكذاب» الذى كان الشاعر يكاد به عند أبى العشائر (٢١) • وثالثها أنه تعمد الغربة عن الكوفة وألح فيها وتجنب الحياة فى العراق ما وسعه هذا التجنب ، وعجز عن دخول الكوفة حين خف للقاء جدته (٢٢) • فلننظر فى هذه

فأما أن المتنبى لم يمدح أباه ولم يفخر به ولم ير
أمه فهذا صحيح بناء على شعره الذى بين أيدينا ٠
على الشاعر ، كل شاعر ، أن يمدح أباه ويفتخر
د ٠ الشكعة محـــز الحق حين وصف هذا الاســـا
مهيضة الجناح » مضيفا أن « العديد من شعراء الع
آباءهم فى أخبارهم أو أشعارهم » ،ومتسائلا فى
هؤلاء الشعراء وغيرهم من أعلام التاريخ أبناء سف
السبب فى صمت المتنبى عن ذكر والديه أنهما ماتا
يشتهر بالشعر ويتخذه مفتخـــرا يتيه به على العالمين
جدته أكثر من مرة في شعره لأنها عاشت بعد أبيه و
أن كبر هو ، أى بعد أن أصبح شاعرا معروفا ٠ وهنا
المتنبى يجهل أمه فكيف كان يعرف جدته ، وقد كان
كان يجهل أمه التى هى بنتها ؟ بل ترى كيف افتخر
وبوأها مكانا فوق السماكين لو أنه كان يعرف أمه
أنها ولدته لغير رشدة ؟ أيجوز فى العقول ذلك ؟
عدم فخره بأبيه دليل على أنه لم يكن يعرفه وان مو
يقول فى فخره بجدته أم أمه ؟ لقد كان يجب على د
فى هذه القصيدة جاريا على شنشنته فى نفى الاخبار
نظرياته ، حتى يستقيم له ادعاؤه أنه كان يجهل أ
يعرفها ولكنه يعرف ايضا أنها ولدته ســـفاحا ٠
القصيدة وأوردها فى كتابه ، ومع ذلك فقد فاتته النـ
اليها ههنا ، كما فاته ايضا ان يقف عند قول الشا

ولو لم تكونى بنت أكـرم والـد لكـان أباك الـ

لأنها كانت شاذة المولد لاتعرف لها ابا ؟ ان المتنبى هنا يجعل من انتسابه اليها مفخرا لها أى مفخر · والقصيدة كلها تقريبا تدور حوله هو نفسه برغم أنها فى رثاء هذه الجدة الصالحة · وهذا وذاك يدلان على أمر هام ينبغى أن نلتفت اليه ، وهو ان المتنبى كان مشغولا بنفسه والاعتداد بمواهبه عن أسرته ونسبه ، فهذا فيما يبدو سبب آخر · ان الشـــاعر هنا يذكر جدته ويرثيهـــــا ويشيد بها ، ومع ذلك كله فان معظم أبيات القصـــيدة تنصرف الى افتخاره بنفسه وتهديده للشامتين بموت هذه الجدة · لم لا نقول ان المتنبى قد اختط فى هذا الفخر الشعرى نهجـا جديدا هو التغنى بشجاعته فى الحرب وبمواهبه هو العقلية والادبية والنفسية والخلقية لا بمواهب آبائه وأجداده ؟ أليس هو القائل ·

وانمـــا يذكـــر الجـــدود لهم من نفـــروه وأنفـــدوا حيلـــه ؟

وهو القائل :

لابقومى شرفت بل شـــــرفوا بى وبنفسى فخـــرت لابجدودى ؟

ولا يقولن قائل انه قال هذا لانه لم يكن يعرف لنفســـه جدودا بل ولا أبوين، فسوف نراه بعد قليل يفضل أباه على أبى من يحاول أن يغض من نسبه · ثم يقول بعد البيت السالف :

وبهم فخـــر كل من نطق الضا د ، وعوذ الجانى ، وغوث الطريد

(بهم : أى بقومه)

ولا أظن ان ابن حرام يجرؤ على التمدح هكذا بقومه الذين ليس لهم وجود ويتضح معنى كلامى هذا كاملا حين نستحضر ما قاله طه حسين نفسه عن افتخار جرير بأبيه ، الذى لم يكن فيه شىء مما مدحه به ابنه (٢٤) ، فقد كان المتنبى مثلا يستطيع أن يجرى فى نهج جرير فيملأ الدنيـــا ادعـــاء وضجيجا بأن أباه خير الاباء ويطيل القول فى ذلك مكاثره ومفـــاخرة ،

ولكنه ، فيما غدا البيت الذى يفضل فيه أباه على أبى من يخاول التهوين من شأنه والذى سيرد عما قليل ، فضل أن يفتخر بنفســــه ، والتزم هذه الخطة سائر عمره ، فجعل نفسه فوق الشعراء والناس جميعا · ويؤكد رأيى هذا أن المتنبى لم يذكر زوجته ولا ابنه (أو ابناءه) فى شعره قط ، فهل لم يكن المتنبى يعرفهم هم ايضا ؟ أن تفسير ذلك فى نظرى ان المتنبى فيما يختص بأسرته (آبائه وأولاده) كان متمركزا حول ذاته لايفاخر عادة الا بها ولايذكر غيرها ·

لقد طور المتنبى فى القصيدة العربية اشياء مثل جعله قصيدة المدح قسمة بينه وبين ممدوحه ، فهل يمدح هذا المدوح ولكنه يفخر بنفسه معذلك أو قبل ذلك وأكثر من ذلك ، فلم لانضيف الى ما طوره هذه السمة ايضا ؟ ولامانع أن نجعل سبب هذا أن أباه لم يكن رفيع الحسب (٢٥) · ولكن الذى لم يمنعه أن يقول فى جدته :

ولو لم تكــــونى بنت أكرم والد   لكان أباك الضـــــخم كونك لى أمـــا

لم يمنعه أن يقول فى أبيه :

أنا ابن من بعضــــه يفـــوق أبا الــ   باحث والنجل بعض من نجلــه

واذا كان طه حسين يرى من هذا البيت أن الشاعر لم ينتسب الى رجل ، وانما انتسب الى معنى بعضه يغنى عن كل غيره وقليله يغنى عن كثير سواه (٢٦) ، فان من الواضح تماما أنه ، لتحامله على الشاعر ورغبته فى أن ينفرد بهذه المقالة الشادة فى نسبة لفتا للانظار اليه واحداثا لدوى يكون هو مركزه فترة من الوقت كما هى شنشنته ، قد أخطـأ فهم البيت · ان المتنبى لاينسب نفسه هنا لمعنى ، بل ينسب نفسه لأب من البشر ، وهو لذلك يستخدم ، مرتين ، الاسم الموصول «من» ، الذى يعبر عن العقلاء لا المعانى · ثم ان قوله «والنجل بعض من نجله » لايمكن الا أن يعنى الابوة والبنوة البشريتين لا المعنويتين · والمعنى على كل حال هو « أننى اذا

كنت أنا ، وأنا بعض أبى ، أفوق أبا الباحث ، فما بالك بأبى بالقياس الى أبيه ؟ لاشك أنه أفضل منه كثيرا كثيرا ، وأخيرا ليس يعقل أن يقارن الشاعر بين «أبى الباحث» و «معنى من المعانى» ، وانما هى مقارنة بين «أبى الباحث» «وأبيه» ، وان كانت مقارنة غير مباشرة كما رأينا من تحليلى لمعنى البيت ٠

أما الاساس الثانى الذى أقام عليه طه حسين نظريته العجيبة « فهو هذا الكذاب الذى كان الشاعر يكاد به عند أبى العشائر » ، يقصد بيته الذى يقول فيه :

ان الكـــذاب الذى أكـــاد به   أهـــون عنـدى من الذى نقلـــه

وهو يتساءل قائلا : « ماعسى أن يكون هذا الكـــذاب ؟ أتراه يمس نسب المتنبى من قريب أو بعيد ؟ » ليجيب من فوره :: « ليس فى ذلك عندى شك ، فقداتهم الرجل فى نسبه وسئل عن أبيه وجده فلم يستطيع أو لم‌يرد أن يجيب سائليه وآثر ان ينتسب الى المجد والكرم والبأس وأن يزدرى الكائدين له والمرجفين به والمؤلبين عليه » (٢٧) هكذا بهذه البساطة ! وكل هذا غير صحيح ، فاولا : لم يتهم المتنبى فى نسبه ، وكل مانفهمه من البيت السالف ذكره والذى سيرد ثانية بعد سطور أنه كان هناك من يبحث عن أبى المتنبى ، ورد المتنبى يبين بمنتهى الوضوح أن ذلك البـــاحث أراد أن يهون من شأن والد المتنبى لاغير ، فليس فى الامر البته اتهام فى نسب ٠ وثانيا : لم يسأل المتنبى عن أبيه وجده فعجز أو لم يرد أن يجيب سائليه ، اذ أنه قد صك ، كما رأينا ، عنيد من يبحث فى هذا الامر وأذنه صكا عنيفا بهذا البيت الذى أخطأ د ٠ طه حسين ، كما بينا قبلا ، فهمه :

أنا ابن من بعضـــه يفـــوق أبا الـــ   باحث ، والنجل بعض من نجله

ومعناه أنه اذا كنت تسأل عن أبى فانى أفضل من أبيك ، فما بالك به هو وهو الكل الذى أنا بعضه ؟ لاشك أنه أفضل من أبيك كثيرا كثيرا ٠

وثالثا : لو كان المتنبى ابن سفاح أكان يستطيع ان يفتخر بأبيه أمام أبى العشائر نفسه هذا الفخر الذى يكاد البيت والكلمات ان تتفجر به :

انا ابن من بعضه يفوق أبا الـ   باحث ، والنجل بعض من نجله

ليس هذا فقط ، فقد افتخر المتنبى فى هذه القصيدة بنفسه افتخارا شديدا ، وليس هذا صنيع من يعرف أنه ابن سفاح · قال :

فخرا لغضب أروح مشتمله   وسمهرى أروح معتقله
وليفخر الفخر اذ غدوت به   مرتديا خيره ومنتعله
أنا الذى بين الاله له الـ   أقدار والمرء حيثما جعله
جوهرة يفرح الكرام بها   وغصة لاتسيغها السفلة
ان الكذب الذى أكاد به   أهون عندى من الذى نقله
فلا مبال ، ولامداج ، ولا   وان ، ولا عاجز ، وتكله
ودارع سفته فخر لقى   فى الملتقى والعجاج والعجله
وسامع رعته بقافية   يحار فيها المنقح القوله
وربما يشهد الطعام معى   من لايساوى الخبز الذى أكله
ويظهر الهجل بى وأعرفه   والدر در برغم من جهله

وفوق ذلك فبداية القصيدة مقدمة غزلية رقيقة · ولو كان الشاعر اتهم بأنه ابن سفاح ، سواء كانت هذه التهمة حقا أو باطلا ، فلا اظنه كان يفتتح قصيدته بمثل هذا الغزل ، فلا المناسبة ولا مشاعره كانت تطيق ذلك ·

ان الكذب ليس له رجلان وعمره قصير ، وما أسرع ما كان كذب المتنبى سيفتضح وتظهر الحقيقة ساطعة تعشى عينه وتجبره على تنكيس رأسه · أم ترى أن الذى كان يعرف ان المتنبى ابن حرام ثم اخبر بذلك أبا العشائر كان عاجزا عن أن يرد على هذا البيت ؟ ومع ذلك كله فان المتنبى ظل مقربا الى أبى العشائر الحمدانى هذا ، بل انه قدمه الى ابن عمه سيف الدولة ، الذى اصطفاه ورفعه فوق بقية الشعراء سنين تسعا لايسمع فيه

وشاية واش حتى ولا لابن عمه أبى فراس ، الى ان وقعت الجفوة بينهما فترك الشاعر البلاط الحمدانى الى مصر ، ليعود سيف الدولة فيرسل اليه، بعد ان ترك مصر ، الهدايا والرسائل يستقدمه الى بلاطه كرة اخرى ٠ وقد وقعت بين أبى العشائر والمتنبى جفوة فى بلاط سيف الدولة قيل انه كلف غلمانا له على اثرها ليقتلوه ٠ ثم سرعان ما عادت مياه الود بين الرجلين الى مجاريها ، وعاد المتنبى مكرما الى مجلس سيف الدولة ، الذى انكر أن تكون له يد فى هذه المؤامرة ٠ وقد كان سبب هذه الجفوة فمحاولة الاغتيال أن المتنبى قد جاوز كل حد فى افتخاره بنفسه على كل من كان فى مجلس سيف الدولة ومنهم أبو العشائر ٠ أكان المتنبى يجرؤ على شىء من هذا لو أنه ابن حرام وكان المسعودى قد أطلع أبا العشائر على ذلك ؟ على اننا لم نسمع فى أثناء ذلك كله أحدا فى بلاط سيف الدولة ينكش هذه المسألة ٠ ترى لم لم يتهمه أبو فراس ، وقد كان بينهما منافسة عنيفة قاتلة، بأنه ابن سفاح ؟ ولم لم نسمع أن أبا العشائر نفسه ، فى اثناء الجفوة التى وقعت بينهما ، يلطخ سمعته باثارة هذا الكلام ؟ بل كيف تنازعت المتنبي ملوك عصره ووزراؤهم لو كان حقا ابن سفاح ؟ لقد كان الاحرى مثلا بكافور ، الذى كانت بينه وبين سيف الدولة عداوة شديدة ، بدلا من ان يحرص على الفوز بالمتنبى ، أن يعيب غريمه بانه يقرب اليه شاعرا ابن زنا ، كما شنع المأمون على اخيه الذى كان يصطفى شاعرا شاذا كأبى نواس ٠ بيد اننا رأيناه ، على عكس ذلك ، يستقدمه من الرملة أول ما علم أنه ترك بلاط سيف الدولة ٠ أكثر من هذا أنه حين تركه المتنبى لم نسمع أنه طعن فى نسبه ، وقد كان يستطيع أن يرد على هجائه له بأن يحرض بعض شعرائه على فضح حقيقة هذا الشاعر السليط اللسان الذى آذاه بشعره ايذاء أليما ٠ كذلك لو كان المتنبى ابن سفاح لفضحه الناشىء الاصغر تقربا الى ابن الفرات وزير كافور ، وكان الناشىء مثل المتنبى كوفيا واحد اساتذته وسمع المتنبى من شعره فى مسجد الكوفة ، وتزامن وجوده معه فى مصر ، وكان مقربا الى الوزير ابن الفرات ، الذى كان

يبغض المتنبى لانـــه ترفع عن مدحـــــه على حين مدحـــه النـــاشىء بل كان من ندمــائه • ثم رأينـــا بعــد ذلك الوزيـــر المهـــلبى وابن عبـــاد وعضــد الدولة يحرصـــــون عليـــه ويغالـــون بشعره ويرون فى مدحــه لهم كســبا أعظم من أى مكسب آخـر وهو اثنـــاء ذلك يتكبر على بعضهم ويمدح بعضا • وكان أقصى ما هجاه به شـعراء الوزير المهلبى ، بتحريض منه لتعاليه على أن يمدحه واهمـاله اياه ، ان ذكروا سقيه الماء فى الكوفة ولمحوا الى انه ادعى البنوة • ولنلاحظ ان المهلبى كان فى بغداد ، وهى مثل الكوفة مسقط رأس المتنبى بلد عراقى ، وما كان أسهل عليه أن يعرف حقيقة نسب المتنبى ، وبخاصة أن اعداء المتنبى ، وحســــاده كثيـــــــرون • ثم انـــه لو كان المتنبى ابن ســـفاح أكان يجـد فى نفسه الجـرأة ليشترط لنفسه قبل قدومه على ممدوحين من طبقة سيف الدولة وكافور وعضد الدولة فيجاب الى مطالبه؟ وفى النهاية أرى أن أسوق تعليق العكبـــرى على الأبيات التى أقام د • طه حسين حولها الدنيا وأقعدها • قال العكبرى تعليقا على البيت التاسع عشر من القصيدة :

وربما يشـــهد الطعـــام معى من لايســاوى الخبز الذى آكله :

« يقــول هذا فى رجل أوصلـه يعرف بالمســعودى الى أبى العشــائر فصار نديما له ، وصار يتناوله عند أبى العشائر ويقع فيه • فهذا كلـه تعريض به » (٢٩) • معنى هذا ان المتنبى قد أوصل هذا الرجل الى أبى العشائر حتى صار نديما له • ترى أكان المتنبى ، لو أنه ابن زنا ، يقرب الى ممدوحه رجلا يعرف هذه البقعة السوداء فى حياته ؟ ليس هذا فقط بل ان البيت يخبرنا ان المتنبى كان كثيرا ما يطعم هذا الرجل ، فكيف ياترى قبل ذلك الرجل هذا الاكرام من انسان يعرف أنه ابن حرام ، ولم يجد فى ذلك غضاضة ، ثم انقلب فأفشى هذا السر عند أبى العشائر ، الذى ما كان ليصل اليه لولا معاونة الشاعر له ؟ ان من الواضح ان المسعودى هذا ينطبق عليه قول القائل : « أتق شر من أحســنت اليه » • لقد رأينا رد المتنبى على المسعودى هذا ، فلننظر الان فى موقفه من ابى العشــائر بعد هذه الوشايات • ان المنطقى ان يترك المتنبى بلاط أبى العشائر الى بلد

لايعرف حقيقته فيها احد ان كان ذلك ممكنا ، ولكن الذى فعله المتنبى هو انه أستمر فى بلاط ابى العشائر يمدحه :

مستحييـــا من أبى العشـــائر ان   أسـحب فى غير أرضه حللـه
ما لى لا امـــدح الحســين ولا   ابذل م الــود مثل ما بذله ؟

ثم انه لو كان المسعودى اتهم المتنبى بأنه ابن سفاح وكان هو هكذا حقيقة لصارحه ابو العشائر بما سمعه حتى يستبين منه الحق ٠ ولكن كل ما كان من أبى العشائر هو انه ربما لم يقبل على الشاعر بنفس الوجه الطلق الذى كان يلقاه به من قبل ، وهو أقصى ما نفهمــه من هذا البيت الذى يعقب البيتين السابقين :

أأخفت العين عنـــده خبـــرا   أم بلـغ الكيـــذبان ما أملـــه ؟

ان المسعودى هنا ليس أكثر من واش يريد أن يغير قلب أبى العشائر عليه حســدا للمتنبى ، الذى رحمه وعطف عليه ٠ ويبدو ان ذلك قد تكرر منهذا الرجل أو من غيره فان المتنبى فى قصيدة اخرى مدح بها أبا العشائر يذكر محاولات هؤلاء الوشاة ، وكيف أن جهودهم قد ذهبت هباء ٠ يقول :

أأصبر عنـــك لم تبخـــل بشىء   ولم تقبـــل على كـــلام واش ؟

ونصل الان الى الاساس الثالث والاخيـر الذى أقام عليه د ٠ طـه حسين نظريته فى أن المتنبى ولد سفاحا ، وخلاصته أنه تعمد الغربة عن الكوفة وألح فيها وتجنب الحياة فى العراق ما وسعه هذا التجنب ، وعجز عن دخول الكوفة حين خف للقاء جدته (٣٠) ٠ والحقيقة ان المتنبى لم يتعمد الغربة عن الكوفة ولم يلح فى هذه الغربة ، فاننا قد رأيناه يقضى طفولته فيها مترددا الى كتاب علوى هناك حتى أخذه أبوه وانتقل به الى البادية ٠ ولم نسمع قط أن أحدا قذفه فى نســبه لا اثناء ولا بعد ذلك ،

لا فى الكوفة ولافى أى مكان حل به · كذلك رأينا المتنبى يعود الى الكوفة مع أبيه بعد ذلك ، فلم عاد اليها اذا كان قد تعمد الغربة عنها وألح فيهـا ؟ ثم انتقل منها الى بغداد ، وبغداد بلد عراقى ، فهل هذا صنيع من يحرص على تجنب الحياة فى العراق ماوسعه التجنب ؟ ان طه حسين نفسه يورد هذا كله ولاينفيه ، فكيف يتفق هذا مع ذلك ؟ بل انه يجعله حين عاد الى الكوفة وانتقل الى بغداد يشتغل بنشر الدعوة القرمطية فى المدينتين كلتيهما، وهو ما ينسف هذا الاساس نسفا (٣١) · وبعد أن طوف المتنبى فى بلاد الله ما طوف عاد الى الكوفة للمرة الثانية ، وان كان قد عجز عن دخولها هذه المرة ، وهو ما يتخذه طه حسين تكأة لرمى الشاعر فى نسبه · ترى لم لم يعجز عن دخولها فى المرة السابقة بل لم لم يعجز عن العيش فيهـا اصلا طوال طفولته وصدرا من صباه ؟ أكان فى ذلك الوقت «ابن حلال» ثم اصبح بعد ذلك «ابن حرام» ؟ هذا ، لاونسلم للدكتور بأن عجزه عن دخول الكوفة فى المرة الثانية كان بسبب أنه ولد زنا ، فانه لاصلة بين هذا وذلك، فمتى كان الناس يعجزون عن دخول مدنهم أو قراهم لانهم أولاد زنا ؟ لقد كان الاستاذ محمود شاكر على حق فى سخريته من هذا المنطق الغريب اذ تساءل قائلا : « فلماذا جاء هذا الاحمق المتنبى من الشام الى الكوفةيقطع الفلوات ؟ ألم يعرف أنه « لايعرف أباه ولا أمه الا حين دخل فى حدود هذه البلدة فعند ذلك (عجز) عن دخولها ؟ » (٣٢) والاقرب الى العقل أن يكون عجزه عن دخول الكوفة راجعا الى ان قوما كان قد هجاهم مثلا منعوه من دخولها كما منعه ابن كيغلغ عن المضى فى طريقه الا اذا مدحه فاستجلب بذلك على نفسه بدلا من ذلك هجاء الشاعر ، وكما أعد له من سـماهم « الادعياء » عبيـدا سودا فى كفر عاقب ليعـاقبوه ، وكما منعه كافور من مغاردة مصر خوفا من لسانه وهجائه · على كل حال ، فلم يكن المتنبى، فى تغربه عن مسقط رأسه ، بدعا بين شعراء العصر وعلمائه ومفكريه ·ان الرحلة وراء المال والشهرة والعلم كانت أمرا مألوفا جدا فى ذلك العصر ، فهل كان هؤلاء جميعا شواذ المولد يهربون من مدنهم التى تعرف عنهم ذلك ؟

والدكتور طه حسين يقف عند القصيدة التى رثى بها المتنبى جدته ،

ويتساءل عن الأعداء الذين هددهم المتنبى : من هم ؟ ويشير الى القوم الذين سروا بموت جدته وشمتوا بها وبه ظانا ان ذلك دليل على ان مولده كان شاذا ٠ والحقيقة اننى لا أدرى كيف انتقل الدكتور طه حسين من هذه المقدمة الى تلك النتيجة الشاذة ٠ ان عداوة هؤلاء القوم للمتنبى تستلزم ان يكون المتنبى قد أساء اليهم لا ان يكون ابن سفاح ٠ ومع ذلك فان العكبرى يرى ان كلامه هنا على سبيل الفرض ، بمعنى أنها لو كانت قتلت لكان انتقم لها ولكنه ، والحمى هى التى قضت عليها ، يعجز عن ذلك . ثم لماذا يشمت هؤلاء القوم لموت جدته اذا كان ابن سفاح ؟ (٣٣) ويبلغ منطق الدكتور طه حسين أقصى العجب حين يفهم من البيت التالى الذى يتحدث فيه المتنبى عن نفسه بضمير الغائب :

تغرب لا مستعظما غير نفسه   ولا قابلا الا لخالقه حكما

«أنهتغرب منكرا للحياة فى الكوفة » ثم يتساءل : « وماذا عسى ان ينكر من الحياة فى الكوفة ؟ » ليجيب بأنه « ليس من شك عندى ٠٠٠ فى ان المتنبى لما تقدمت به السن قليلا قد عرف من أمر نفسه ومن أمر أسرته ما أنكره وما لم يستطع ان يقيم معه فى الكوفة فآثر الرحيل » (٣٤) ٠ والامر بعد أهون من هذا كله ، فان المتنبى قد تغرب سعيا وراء الرزق كما كان يفعل العرب القدامى ، اذ ينتجعون غيث الممدوحين ٠ وهو نفسه يقول فى هذه القصيدة :

طلبت لها حظا ففاتت وفاتنى   وقد رضيت بى لو رضيت بها قسما

واذا كان يريد ، كما زعم د ٠ طه حسين أن يبتعد عن الكوفة ، بل عن العراق جميعه فلماذا ، مادام يحب جدته كل هذا الحب ، لم يصطحبها معه بعيدا عن هذه البلاد فلا يضطر الى العودة اليها بعد ذلك مرة اخرى ويريح ويستريح ؟ ثم بعد ذلك كله ، ما الذى دفع المتنبى الى ان يرثى أم تلك المرأة التى حملت به سفاحا ؟ أكان يريد ان يحيى مامات من تلك الفضيحة القديمة ؟ ألم يكن الأولى به ان يصمت صمتا تاما ؟ ثم تمر الايام

ويعود المتنبى الى الضرب فى الافاق وينتقل من ممدوحية فى الشام الى بلاط سيف الدولة فبلاط كافور ليعود للمرة الثالثة الى الكوفة ويدخلها ٠ ترى لو كان سبب عجزه فى المرة الماضية عن دخولها هو ان مولده كان شاذا فكيف استطاع دخولها هذه المرة ؟ أكان «ابن حرام» قبلا ثم اصبح « ابن حلال » بعد ذلك ؟ والطريف ان شعراء الوزير المهلبى ، كما أسلفنا القول ، قد هاجموه وهجوه هجوا شنيعا ، ومع ذلك فان أحدا منهم لم يذكر من قريب أو بعيد هذه التهمة الجريئة السخيفة التى اقترفها طه حسين وكان أقصى ما عابوه به أنه كان يبيع الماء فى الكوفة حينا ثم أصبح يبيع بعد ذلك ماء وجهه وجهه (يقصدون مدحه للملوك والاعيان) ، كما لمحوا الى‌ما كان اتهم به من ادعاء النبوة ٠ هذا كل ما هنالك ٠

من هذا يتبين لنا تهافت الاسس التي بنى عليها طه حسين نظريته العجيبة الغريبة ٠ على أننا لن نقتصر على تفنيد هذه الاسس ، فان هناك عدة ملاحظات اضافية تفند هذا الرأى الحظل : لقد نال المتنبى من عرض بعض مهجويه كابن كيغلغ وضبة نيلا قاسيا بل انه هجا الذهبى بأنه لا يعرف له أبا ، قال :

لما نسبت فكنت ابنا لغير أب ٠٠٠٠٠٠

ومع ذلك لم نسمع ان الذهبى أو غيره قد رد عليه بأنه هو نفسه الذى لا يعرف له أبا بل انه وصف نفسه بأنه «ابن كريمة» ، وذلك فى قوله عن شعره فى ممدوحه (وهو مساور بن محمد الرومى) :

جهد المقل ، فكيف بابن كريمـــة تولیـــه خیـرا واللسـان فصيح ؟

فهل كان يجرؤ على فتح هذا الباب لو أن وراءه رائحة منتنة ؟ ولو كان ابن سفاح ما ولج هذا الباب أبدا ، فان الذى بيته من زجاج حرى ألا يقذف بيوت الاخرين بالحجارة ٠ وحتى لو افترضنا أن حمقـه قد أورده مورد

التلف فلم لم ينل واحد من هؤلاء عرضه ؟ كذلك لو كان عرضه ممزقا أكان يجرؤ على التمدح بقوله :

يهون علينا أن تصاب جسومنا وتسلم اعراض لنا وعقول ؟

أو كان يقول :

وأنف من أخى لأبى وأمى اذا ما لم أجده من الكرام ؟

اذا لو كان ابن سفاح لما ذكر أخاه فضلا عن أبيه وأمه ، ولو أفترضنا أنها عبارة جرت على لسانه من غير تفكير بوصفها من العبارات التقليدية المحفوظة فانه كان سيحذفها قبل أن يذيع القصيدة على الناس ٠ أو كان يقول فى مدح على بن ابراهيم التنوخى :

أمنسى الكناس وحضر موتا ووالدتى وكندة والسبيعا

فاتحا بذلك على نفسه بابا ما كان أغناه عن فتحه وأحوجه الى ابقائه مقفولا ، فان ابن السفاح لايذكر أمه (٣٥) على هذا النحو الذى سيكون الرد عليه بلسان المقال أو بلسان الحال « وهل لك أم تستحق الذكر حتى تنساها ؟ » ٠

ان احدا من مترجمى المتنبى فى عمره أو بعد عصره لم يذكر شيئا من هذا الذى قاله د ٠ طه حسين وانفرد به من دون من كتبوا عن الشاعر أجمعين ٠ وعلى العكس هناك رواية أوردها ابن العديم ، الذى ولد بعد وفاة المتنبى بقرنين ، اذ أخبره ياقوت الحموى أنه رأى ديوان المتنبى بخط أبى الحسن على بن عيسى الربعى ، الذى قال فى أوله : الذى اعرفه من نسب أبى الطيب أنه أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار الجعفى ٠٠٠ وهذا الذى صح عندى من نسبه ٠ قال : واجتزت أنا وأبو الحسن محمد بن عبيد الله السلامى الشاعر على الجسر ببغداد وعليه من جملة السؤال

رجل مكفوف ، فقال لى السلامى : هذا المكفوف أخو المتنبى ، فدنوت منه فسألته عن ذلك فصدقه ، وانتسب هذا النسب ، وقال : من ها هنا انقطع نسبنا » (٣٦) · ولست أسوق هذه الرواية للتدليل على ان نسب المتنبى كان معروفا لدى القدماء ، فابن العديم ، كما تقدم ، متأخر عن وفاة المتنبى بأكثر من قرنين من الزمان ، وهو ناقل لهذا النسب عن السابقين ، الذين لم يكن لديهم أدنى شك فيه ، ولكنى أسوقه لما ذكره نقلا عن ياقوت من انه قرأ أنه كان للمتنبى أخ ··· الخ · وأنا وان كنت أشك فى هذه الرواية التى لم تظهر الا بعد أكثر من قرنين من الزمان من وفاة المتنبى أنظر الى الخبر من زاوية أخرى هى ان القدماء حتى بعد مرور هذه المدة الطويلة على وفاة المتنبى لم يدر على لسانهم ولا فى خاطرهم قط أنه ابن حرام ، والا لما ذكروا أنه كان له أخ ، وأى أخ ؟ أخ من أمه وأبيه · فان ابن الزنا لايقال ان فلانا اخوه · بل ان المقريزى ، الذى جاء بعد وفاة المتنبى بأكثر من أربعة قرون ، قد أورد هذا الخبر ايضا (٣٧) · ونفس هذه الملاحظة تصدق على ما أورده ابن العديم والمقريزى ايضا من خبر مفاده أنه كان له أخت وقد رثته بثلاثة أبيات لما قتل (٣٨) ·

واخيرا فانه « يحكى أن أبا العلاء المعرى كان فى بعض الأيام حاضرا فى مجلس الشريف المرتضى ، فجرى ذكر المتنبى ، فهضم المرتضى من جانبه ، فقال المعرى : لو لم يكن له من الشعر الا قوله (لك يا منازل فى القلوب منازل) لكفاه ، فغضب المرتضى ، وأمر باخراجه ، وقال : اتدرون ما عنى ؟ فقالوا : لا · قال : عنى به قول المتنبى :

واذا أتتك مذمتى من ناقص ... فهى الشهادة لى بأنى كامل (٣٩)

والشاهد فى هذه الرواية أنه لو كان ثمة اشتباه ولو غامضا فى أن المتنبى ابن سفاح لتفوه الشريف المرتضى بشىء من ذلك فى غضبه ، الذى بلغ منه ان الذين اخرجوا المعرى من المجلس جروه وهو الكفيف من رجليه (٣٩) سحبا ، ليسكت ذلك الفتى الجرىء الشتام المتعصب للشاعر هذا التعصب المسىء

وإذا كان طه حسين قد أنكر على المتنبى دينا أن يقتل عبدا له لسرقته بعض المال منه ، مع ان ذلك ليس هو السبب الحقيقى ، انما السبب الحقيقى هو انهذا الغلام سرق متاعه وأرادفوق ذلك قتلهفكان قتلهاياه دفاعامشروعا عن نفسه (٤٠) ، فاننا بدورنا نحاكم طه حسين الى مبادى الدين ، ونتساءل ما القول فيمن يقذف رجلا مسلما فى عرضه دونما أدنى دليل ؟

انه لو كان المتنبى شاذا وكان يعيش عيشه الشاذ (بسبب الريبة التى فى نسبه) كما يزعم د · طه حسين ألم يكن الطبيعى أن يخرج عن الاعراف والتقاليد الكريمة والخلق الطيب ويغرى الاخرين بذلك تنفيسا عن حقده على من جلبوا له هذا العار ، وعلى المجتمع الذى نبذه بما لاذنب له فيه وحتى يتساوى معه الاخرون فى السوء والانحراف ؟ ثم كيف كان يستطيع أن يشمخ بأنفه على منافسيه من الشعراء وفيهم كأبى فراس ، وعلى بعض من أرادوا أن يمدحهم من كبار عصره ومشهوريه كابن المهلبى وابن العميد مثلا ؟ بل كيف سولت له نفسه ان يشترط لنفسه عند سيف الدولة وكافورمثلا فتقبلشروطه؟وكيف لميردعليهابنخالويه حينماحقره فى مجلس سيف الدولة وسفه معرفته باللغة قائلا له : « انما أنت خوزى !» بقوله مثلا : « وأنت ابن حرام ! » ليسكت حسهبعد ذلك فلا يعترض عليه بشىء ولاتتطال نفسه الى تحقيره ؟ ويدلنا على ما كان من عداوة ابن خالويه للشاعر أنه كلمه عن لقبه «المتنبى» بكلام شديد (٤١) أم كيف لايذكر هذا ابن وكيع التنيسى المصرى ، الذى كان يضيق بالشاعر وشهرته فألف كتابا فى سرقاته وتجنى فيه عليه تجنيا شديدا ؟ بل أكان يسكت عن هذا المغمز الصاحب بن عباد ، الذى أحنقه على الشاعر اشد الحنق استكباره عن مدحه حين ورد من مصر الى العراق وعرض عليه شطر كل ما يملك ، فألف فيه كتابا يكشف فيه عن مساوىء شعره ؟ أم كان يسكت الحاتمى ، الذى بلغ من غيظه منه أن ذهب اليه ليسمعه رأيه السىء فى شعره علمه باللغة فتجاهله المتنبى لما رآه مقبلا وقام منصرفا ممازاده غيظا (٤٢) ؟ أو العميدى الذى ألف رسالة فى سرقاته وكان متحاملا عليه (توفى ٤٣٣ هـ) ، وكان يسكن مصر ، وتولى بها « ديوان الانشاء » (٤٣) · وان كان يسكن مصر ، وتولى بها « ديوان الترتيب » ثم «ديوان الانشاء» (٤٣) وان كان عاد فصفت نفسه له وأثنى عليه (٤٤) ·

ثم ان مولد المتنبى لو كان شاذا اكان يسكت مؤرخو حياته طيلة هذه القرون وهم الذين لم يسكتوا عن زياد الذى استلحقه معاوية فسموه «زياد بن أبيه» ، مع أنه اخو الخليفة وواحد من أعاظم قواد المسلمين ، ولم يسكتوا عن اتهام المغيرة بن شعبة بالزنا ولا عن حادثة الافك ، التى اتهمت فيها الشريفة بنت الشريف زوجة أشرف الخلق عائشة عليهـــا رضـــوان الله ؟

أما النظرية الثانية ، وهى أيضا لم تظهر الا فى العصر الحديث ، وان كانت سبقت نظرية د · طه حسين الى الوجود ، فهى ان المتنبى ابن واحد من أشراف العلويين · قال بذلك الاستاذ محمود شاكر سنة ١٩٣٦ ، فى كتابه الذى استغرق عددا كاملا من اعداد المقتطف ، ثم أعاد طبعـــه سنة ١٩٧٧ ، فى ســفرين مضيفا الى كتــابه ذلك مقالاته فى نقد كتــاب د · طه حسين ومساجلاته مع سعيد الافغانى حول الموضوع وثلاث تراجم جديدة للمتنبى · وجـــاء الأســتاذ عبد الغنى الملاح فطور ، فيما يبدو ، هذه النظرية وصبغها بصبغة أكثر تطرفا ، وذلك فى كتابه «المتنبى يسترد أباه» ، اذ ذهب الى ان المتنبى ليس الا الابن الشرعى للامام محمد المهدى القائم بالحجة ابن الامام الحسن العسكرى(٤٥)ونظرية الاستاذ شاكر(٤٦) تتلخص فى أن رجلا من العلويين تزوج أم المتنبى ، وأن العلويين حملـــوه على طلاقها فرجعت الى أمها فماتت غما وتركت طفلها للجدة فربته وحذرته أن يصرح بنسبه العلوى ، وأنه حينما صرح بذلك فى الشام قبض عليـــه والذى حدا به الى هذا الاســـــتنتاج هو ما فهمـــه من أرضاع امـــرأة علوية للمتنبى ودخوله كتابا للعلويين فى الكوفة من أنه لابد أن يكون هناك سبب موصول قوى بين هذه الجدة وبين العلويين (٤٧) · ونحن فى الحقيقة لاندرى كيف توصل الى هذا التخمين ، ولا لماذا أجبر العلويون كبيرهم هذا على طلاق امرأته ، وكيف طاوعت العلويين نفوسهم على ذلك وهم المظلومون المضطهدون · ألم يكن من بينهم رجل رحيم يرفض هذا الغبن وقســـاوة القلب اللذين أجمع عليهما القوم ؟ ولماذا لم يأخذوا الصبى من جدته حتى يقطعوا علاقتهم تماما بأهل المرأة التى رأوا ان زواج أحد كبرائهم منها لايشرفهم ، وبخاصة أن الام ماتت والطفل لايزال رضيعا ؟ ان هذا هو ما

يقوله المنطق ان الاستاذ شاكر بتصوره الامر على هذا النحو يحاول أن يوهمنا ان المجتمع الاسلامى فى ذلك الحين كان قائما على أساس طبقى حديدى ، وهو ما ينكره التاريخ ، فان كثيرا من أولاد العلويين هم أولاد لامهات ملك يمين ، فهل من يقبلون التزوج بالجوارى يرفضون التزوج بالعربيات الحرائر مهما يكن من فقرهن (لو افترضنا ان هذا هو سبب اجبار العلويين أبا المتنبى المزعوم على طلاق امرأته) ؟ ثم كيف صبر الاب عن رؤية ابنه طيلة حياته ؟ بل كيف عجز المتنبى حين كان يعيش فى الكوفة فى طفولته ، وكذلك حين عاد اليها من بادية الشام ثم حين عاد اليها من مصر أن يرى أباه ولو فى الشارع مصادفة ؟ أو لماذا سكت فلم يذهب اليه بدلا من التصريح بعلويته ؟ أو لماذا لم يذكره باسمه قط ؟ أيكون العلويون أخوف لديه مثلا من سيف الدولة ، الذى أنشده ميميته التى ليس بعدها فى التحدى والمصارحة وهو وحيد غريب فى بلاط أمير عربى حوله حاشية من أقاربه وشعرائه وعلمائه ، ويستطيع لو أراد أن يأمر فيقتل فى الحال ؟ او من خوفه من كافور ، الذى هرب منه وتحدى عيونه ومقتفى الاثر الذين ارسلهم وراءه ليعيدوه اليه ؟ أو من قطاع الطرق الذين حذر منهم فلم يأبه بذلك حتى نال حتفه على أيديهم ؟

والغريب ان الاستاذ شاكر يقول أن هذه الصلة بين جدة المتنبى بل بينه هو ايضا وبين العلويين هى التى جعلتهم يكرمونه أول الامر بادخاله كتاب أولاد اشرافهم ، ثم أنقلبوا عليه بعد ذلك فحاولوا قتله فى الشام (فى كفر عاقب) ومنعوه من دخول الكوفة (٤٨) ، مع أنه قال (تخمينا طبعا) انهم لامر ما أجبروه أباه على فراق أمه (٤٩) ، وقال ايضا ان أمه ماتت وهو طفل صغير (٥٠) ، فاذا كانوا أجبروا أباه على تطليق أمه ، فلماذا أكرموا الولد بارضاعه فيهم وتعليمه فى كتابهم ثم عادوا فأرادوا قتله ومنعوه من دخول الكوفة ؟ ان الاستاذ شاكر يعلل اكرامهم للصبى وجدته فى مبتدا الامر بأنهم ارادوا ان يرضوا العجوز ويخففوا عنها ثقل همومها ويحملوها على المطاوعة لهم خشية ان تفجاهم بمالا يحبون من اظهار ما ارادوا كتمانه واخفاءه (٥١) ٠ والحق ان هذا تعليل غير مقنع ، اذ معنى

ذلك أنهم ، وهم الحريصون على التبرؤ من الصبى ، يدخلونه كتـــابهم ويرضعونه مثبتين بذلك ما أرادوا نفيه وكتمانه . اين أبو الصبى فى أثناء ذلك كله ؟ بل لم لم يشر اليه المتنبى فى رثائه لجدته مثلا ان كان حيـا ويسمعه قارص الكلام مادام قد فاض به الكيل كما يبدو من رثائه لها ، أو يترحم عليه ويعتب عليه مثلا اذا كان قد انتقل الى جوار ربه ؟ واذاكانوا أرادوا قتله وكانت سخائمهم ضده بحيث منعوه من دخول الكوفة بعد كل هذا العمر الطويل من تغربه عنها فلماذا لم يحاولوا ثانية وثالثة حتى يقتلوه فعلا ؟ ثم انهم كانوا يستطيعون قتله فى السجن . أليس الذى سجنه هو ابن على الهاشمى أو العلوى (٥٢) ؟ لقد كان السجن هو احسن فرصة للتخلص منه بدلا من قتله على الطريق العام وعلى مسمع ومرأى من الناس جميعا . هذا ان سلمنا بأن كراهية قوم لواحد من أولادهم بغير ذنب أتاه أو أتته أمه تبلغ هذه الدرجة من الوحشية والحماقة وانعدام الدين والخلق الانسانى الرحيم . وفضلا عن ذلك فهل يمكن العلويين أن ينكروا نسبه والناس جميعا فى الكوفة يعلمون ذلك ؟ ولماذا يمنعونه من دخول الكوفة حين عاد من الشام بعد ان أظهر نسبه العلوى هناك فيما يقول ولم يمنعوه بعد ذلك حين فر من مصر واستقر بمسقط رأسه قبل أن ينتقل الى بغداد ؟ بل لماذا لم يعلن علويته صريحة هذه المرة وهو الذى تحدى الوزير المهلبى فى عقر سلطانه ببغداد ؟ واذا كانوا أرادوا ان يظل بعيدا عن الكوفة فلماذا لم يخرجوا له جدته حتى يتخلصـــوا من الاثنين معا أو يتركوه يدخل ويقتلوهما معا ماداموا قد أفلتوا بغباء لايحسدون عليه الفرصـــة التى سنحت لقتله فى السجن ؟ بل لماذا يشمتون بموتها ، وهم بموتها يستريحون من غصة فى حلقهم ويتخلصون من آخر حلقة تربط بينهم وبين هذا الشاعر المشاكس الذى لايريدون ان يعترفوا ببنوته لهم ؟

ثم ما هذا السلطان الخطير الذى يمارسه العلويون فى الكوفة فى ظل العباسيين ؟ واذا كان العلويون قد تنكروا لشاعرنا فى طفولته وصباه

« ألم يجد العلويون بعد من شهرة الرجل وبعد صيته ... ما يحملهم على استلحاقه والاعتراف به وقد كانوا فى حاجة ماسة الى مثل المتنبى يدافع عن مبادئهم ويذود عن حياضهم ويرد عنهم كيـــدا اعدائهم وغـدر بنى عمومتهم ؟ » (٥٣)

ونمضى مع الاستاذ شاكر فنقرأ له ان البيتين اللذين قالهما وهو صغير بالمكتب حينما أبدى أحد زملائه اعجابه بوفرة شعره ، وهما :

لاتحسن الوفرة حتى ترى	منشورة الضفرين يوم القتال
عنى فتى معتـقـل صـعدة	يعلها من كل وافى الســبال

قد قصـد بها العلويين ، اذ ان « وافى السبال » لايمكن ان تصدق ، فى نظره ، الاعلى مشيخة العلويين الذين أنزلوا الهوان به وبجدته (٥٤) . والطريف أنه يجعل هذين البيتين من أثر جدته (٥٥) ، مع انه ألح مرارا على ان هذه الجدة قد اخذته بالحزم ، وحذرته مرارا وتكرارا من مغبـة التصريح بهذا السر القاتل . والسؤال هو . لماذا لاتصدق عبارة « من كل وافى السبال » من بين كل العالمين الا على مشيخة العلويين الذين أنزلوا الهوان به وبجدته ؟ ألم يكن يوجد أحد من غير هؤلاء العلويين « وافى السبال » ؟ واذا كانت جدته قد اخذته بالاحتراس فى كلامه من جهة هــذا الشىء الخطير خوفا عليه من بطش هؤلاء القوم الجساة القلوب المصاصى الدماء فها هو المتنبى يفلت منه لســانه فلا يبوح بالسر فقط (اذا أخذنا بفهم الاستاذ شاكر للبيت) بل يهدد ايضا مشــيخة العلويين بهيلهـا وهيلمانها بالقتل ، ومع ذلك لايتحرك القوم مع أنه قال ذلك فى كتــابهم ولواحد من صبيانهم ، كما يقول الاستاذ شــاكر . على أيه حال فان المعقول ، فى نظرى ، أن يكون هذا التهديد موجها الى القرامطة مثلا ، الذين كانوا يغيرون على الكوفة فى صبا المتنبى ويعيثون فيها قتلا وفسادا وتخريبا . لا أقصد مع ذلك أنه كان يعنى هذه التهديدات فعلا فليست فى غالب الامر الا مبالغات وتهاويل وبخاصة ان المتنبى ظل يكثر طول حياته من أمثال هذه التهديدات دون أن يحقق منها شيئا على امتداد بضع عشرات

من السنين · هذا ، وان ما قلناه بالنسبة لهذين البيتين ينطبق ايضا على تلك الابيات الأخرى التى قالها فى تلك السن ايضا :

الى أى حين أنت فى زى محـــرم ؟
وحتى متى فى شـــقوة ؟ والى كم ؟
والا تمت تحت السـيوف مكـرما
تمت وتقـاس الـذل غيــر مكــرم
فثبت واثقـــا بالله وثبـــة ماجـــد
يرى الموت فى الهيجا جنى النحل فى الفم

والتى يرى فيها الاستاذ شاكر ما رآه فى البيتين السابقين (٥٦) · ويؤكد ما ذهبنا اليه ذكره «الهيجا» فى البيت الثالث هنا ، فلا اظن ان صراعه مع العلويين ، لو سلمنا به ، يمكن أن يصل فى يوم من الايام الى الحرب ، فالحرب تحتاج الى جيوش ، والامر ، مهما هول فيه الاستاذ شاكر ونفخ فيه وضخم ، أهون وأتفه من هذا كثيرا جدا · أما قوله بعد وفاة جدته ومرجعه الى الشام :

ســأطلب حقى بالقنـــا ومشايخ كأنهمو من طول ما التثموا مرد

الذى يرى الاستاذ شاكر (وبالذات كلمة «حقى») أنه لايمكن ان يصدر الا من احد رجلين : « رجل طويل اللسان فى الدعوى والكذب أو رجل صادق لايكذب على نفسه ولا على الناس وأن المتنبى لايمكن أن يكون أولهما (٥٧) » فان الامر بشأنه أهون من هذا كثيرا ، اذ ان المتنبى ، كما أسلفت القول لتوى ، كان يكثر من مثل هذه التهديدات والمبالغات طول عمره ، ولم نره يفعل شيئا البتة فى هذا السبيل · ثم من أولئك المشايخ الذين « كأنهمو من طول ما التثموا مرد » ؟ وما أسماؤهم ؟ وأين كانوا ؟ وما عـــلاقتهم بالمتنبى ؟ لقد كان المتنبى فى ذلك الوقت فقيرا يحث راحيته : الفقر والأدبا وكان ينتجع غيث الممدوحين ، الذين لم يكونوا يعطونه الا القليل ·

واذا كان قد قال بعد ان اغتنى واشتهر عن غلمانه ، موهما ايانا أنهم جيش عرمرم وهم بعد مجرد عدد جد محدود من الخدم :

في غلمة أخطروا أرواحهم ورضوا
بما لقين رضا الايسار بالزلم
. . . .
بيض العوارض طعانون من لحقوا
من الفوارس شلالون للنعم
قد بلغوا بقناهم فوق طاقته
وليس يبلغ ما فيهم من الهمم
في الجاهلية الا ان انفسهم
من طيبهن به في الاشهر الحرم
ناشوا الرماح وكانت غير ناطقة
فعلموها صياح الطير في البهم

فما ظنك بهؤلاء المشايخ الذين يهدد بهم ويتوعد وقد كان وقتها في حال من الفقر شديدة مدقعة ؟

ومادام الاستاذ شاكر قد خدعه كلام المتنبي عن «حقه» فلنسمع ما يقوله الشاعر عن «حق» كافور :

ويا آخذا من دهره حق نفسه ومثلك يعطى حقه ويهاب

فهل نفهم من هذا أن كافورا قد ورث المجد والملك كابرا عن كابر وان المتنبي من أجل ذلك قد سمى اعتلاءه كرسي الحكم «حقه» الذي أخذه من الدهر ؟ أظن أننا يمكننا الآن أن نفهم البيت التالي لهذا في حجمه الحقيقي دونما انخداع بعلو صوت الشاعر :

إنا عند هذا الدهر حق يلطه وقد قل اعتاب وطال عتاب

فهذا يدلنا على مبلغ ما فى كلامه هذا من مغالاة دفعـه اليها الفقر واحساسه واعتداده بمواهبه ومقدرته على تحمل خشونات الحياة ، اذ ما اكثر ماجاب البوادى ،بل يبدو أنه كان يخلط نفسه بقطاع الطرق فى ذلك الزمان ٠ لقد قرات فى «الثعالبى» أنه «كان كثيرا ما يتجشم أسفارا بعيدة أبعد من آماله ويمشى فى مناكب الارض ، ويطوى المناهل والمراحل ولازاد الا من ضرب الحراب على صفحة المحراب » ٠ ووقفت أمام العبارة الاخيرة وتفسير الاستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد لها فى الهامش بأنه « أراد بالمحراب ههنا العنق ٠ يريد أنه ينتهب الناس بعد مايقتلهم » (٥٨) وتساءلت : أنفهم من هذا أنه اشتغل فترة من حياته قاطع طريق ؟ الى ان وجدت للمتنبى هذا البيت :

كم ثراء فـرجت بالرمـح عنـه   كان من بخل أهله فى وثاق (٥٩)

فتساءلت : هل هذا هو معنى ما قاله الثعالبى عنه ، وبخاصة ان العكبرى يفسره هكذا : « يقول : كم مال كان لبخل أربابه فى أسر فقتلتهم وأبحته الطلاب ، فأطلقته من وثاقه ، وهو منعه من طلابه » ؟ ولذلك ترانى قلت : «يبدو أنه كان يخلط نفسه بقطاع الطرق فى ذلك الزمان» ، فلم أجزم بذلك وان كان يغلب على ظنى واقتناعى ، فقسوة العيش والفقر والتشرد التى قاساها المتنبى ، على حين يرى من هم دونه مواهب عقلية ونفسية وقتالية يتمتعون بطيب العيش والمال والجاه والسلطان ، هى التى جعلته يثـور مصرحا بأن «حقه» أن ينعم كما ينعمون ، لا بل بدلا منهم فانهم ليس لهم أدنى حق فى ذلك ٠

واذا كان المتنبى علويا شريف الاصل فكيف قبل حياة التصعلك هذه (ان لم نقل حياة قطع الطرق) وقصد اعيان الشام وولاتها ليمدحهم مقابل دراهم معدودات ؟ كيف لم يمنعه أصله النبيل الذى كانت حياته فى خطر رهيب دائم بسببه ولاهمته القعساء من ذلك ؟ ان الاستاذ شاكر يفسر ذلك بأن كان « يطلب المال لا ليجمعه ويفرح به ، ولكن لينـال به مايريد مما ينطوى عليه قلبه من حقد على قوم وما يدور فيه من معانى الاصلاح وما

يبغى من ايقاظ الهمة العربية للاستيلاء على السلطان المضيع والمجـد المفقود » (٦٠) وهو تفسير مضحك ، فان مثل هذا المشروع الضخم يحتاج الى «الملايين» لا الى «الملاليم» · وهذه أول مرة نسمع أن انقـلابا سياسيا وعسكريا يمكن ان يتم بدراهم يجمعهـا شـاعر من هنا وههنا ، لا يفرق فيمن يأخذها منهم بين عرب يريد أن يعيد لهم الدولة والسيادة وبين عجم يعمل على تقويض سلطانهم واقصائهم الى المرتبة الثانية كرة اخرى ·

ثم اذا كان المتنبى يهدف الى اصلاح أحوال الرعية فلم سكت عن مظالم سيف الدولة ، الذى كان لايبالى فى سبيل جمع المال أى طريق يسلك ، حتى ان قبيلة من أبناء عمومته تحت وطأة هذا العسف وهذه المظالم قد انحازت الى الروم دينا وسياسة فهاجرت الى بلادهم وتنصرف هناك؟ (٦١) بل لماذا أستحل أخذ آلاف الدنانير منه لقاء ثلاث قصائد فى كل عام ، وهو يعرف كيف جمعت هذه الدنانير قسرا وغبنا من الرعية التى يقول الاستاذ شاكر انه كان يهدف الى اصلاح حالها ؟ ثم ان المتنبى ظل يجمع المال الى آخر حياته ولم نره يفعل بهشيئا ·ويمضى الاستاذ شاكر فيزعم أنه حينما قدم على بنى حمدان انما « وجد قوته وهله وعشيرته ، فليأتهم (اذن) بكل غريبة من القول ، وليمجد ذكرهم فى شعره ، وليهدأ قليلا مما كان فيه من الثورة ليستطيع أن يحزم رأيه وتدبيره مع هؤلاء القوم على ان يعيدوا مجد العروبة ويديلوا من دولة الخدم الذين غلبوا على سياسة الامة ورموابها فى موارد الهلاك والفشل ، فهذا سر قوله لابى العشائر فى قصيدة مدحه بها :

فسرت اليك فى طلب المعـالى وسار سـواى فى طلب المعـاش

فهو انما قدم على بنى حمدان لما ذكرنا لك لا للتكسب بالشعر» (٦٢) ، مع ان المتنبى نفسه يكثر الحديث عن عطايا أبى العشائر هذا ، مثل قوله فى نفس القصيدة التى اختتمها بالبيت السابق الذى يستشهد به الاستاذ على رأيه :

أأصبر عنـك لم تبخـل بشىء ولم تقبـل على كـلام واش ؟

وفى قصيدة أخرى فيه يقول :

كم ثراء فرحت بالــــرمح عنــه　　كان من بخـــل أهلــه فى وثـــاق
والغنى فى يــد اللئيـــم قبيـــح　　قدر قبح الكـــريم فى الامـــلاق
ليت لى مثل جد ذا الدهر فى الاد　　هـــــر أو رزقـــه من الارزاق

وفى ثالثة يقول :

مستحييا من أبى العشـائر ان　　أســحب فى غير أرضــه حللــه

وفى رابعة يقول :

تنشــد أثـــوابنا مدائحـــه　　بألســـن مالـــهن أفـــواه

واذا كان المتنبى يجمع المال لاعادة مجد العرب بالتعاون مع الحمدانيين فلماذا كان يأخذ منهم مالا ؟ ألم يكن المنطقى ، لو كانت دعوى الاستـاذ شاكر صحيحة ، أن يعطيهم ما معه من مال بدلا من ان يأخذ منهم أموالهم؟ اننا نعرف الاموال الطائلة التى كان يأخذها المتنبى من سيف الدولة ، فلم لم يتركها المتنبى وراءه ليستعين بها هذا الامير على رد سلطان العرب اليهم بدلا من حملها معه الى مصر حيث كان يمكن أن يسلبها منه كافور الاعجمى اذا عرف بنواياه ، التى لم يكن يخفيها (هذا ، ان سلمنا بأن المتنبى كان فعلا يسعى لرد سـلطان العـرب اليهم واصـلاح أحـــوالهم السياسية والاجتماعية والخلقية) ، فانه لم يكن يسر تمجيد العرب وتحقير الاعاجم اسرارا (حينما كان يفعل ذلك ، لانه لم يثبت أبدا على حال فى هذه المسألة ، التى سوف نناقشها بعد تفصيلا) بل كان يصيح بذلك بأعلى صوته ·

ويمضى الاستاذ شاكر فيدعى ان سيف الدولة كان يعرف سر نسب المتنبى وأنه أرسل الى أبى العشائر ان يحافظ عليه ويكرمه (٦٣) والسؤال

هو : لماذا لم يستدعه الى حلب فى الحال وظل حتى قدم على أنطاكية فقدمه اليه أبو العشائر فأخذه معه بعد ان أعجب بشعره وشخصيته ؟ واذا كان سيف الدولة يعرف سر نسب المتنبى فلم سكت عن اهانة ابن خالويه له ؟ ولم لم يرد على أبى فراس ، الذى كان يغار من المتنبى ويحاول اهانته والذى كان من رأيه ان الشعراء الاخرين يغنون عنه وفى مقابل عطاء أقل كثيرا جدا ، بأن يقول له مثلا : «انه من العلويين الذين نحن من شيعتهم »؟ بل قد روى أن أبا فراس فى احدى المرات التى اصطدم فيها بالمتنبى صاح به: «يادعى كندة» ، وكان الاحرى ، لو أن المتنبى ينتسب للعلويين ، ان يقول له : «يادعى بنى هاشم» مثلا (٦٤) ٠ ولم لم يوله سيف الدولة ، مادام يعرف أنه علوى ، ولاية من الولايات أو يعامله على انه أكبر من مجـرد شاعر عبقرى ؟ بل كيف انعكس الوضع فأصبح المتنبى هو الذى يمـدح الحمدانيين وهو العلوى على حين هم من شيعة العلويين ؟ ان الاستـاذ شاكر يرجع المودة والحب والكرامة التى كانت بين المتنبى وسيف الدولة الى اتفاقهما فى الغرض ، غرض توحيد البلاد وتخليصها من الاعاجم ، فاذا كان هذا التفسير صحيحا فلم تركه المتنبى ؟ والى من ؟ الى عدوه اللدود العبد الخصى الاعجمى كافور الاخشيدى ! والعجيب أنه يقول ان الشاعر قد فارق الامير «وهو لايزال ثابتا على محبته والاخلاص له »(٦٦)، فهل يمكن ان نتقبل ذلك ونحن نعرف ان المتنبى قد لمز سيف الدولة فى أكثر من قصيدة من قصائده التى مدح بها كافورا وفضل هذا عليه وجعله بحرا بالقياس الى سيف الدولة ، الذى جعله «ساقية» :

قواصـــد كافورا تــوارك غيــره ومن قصد البحر استقل السواقيا

وان بعض ما قاله المتنبى حينذاك فى سيف الدولة لايدل أبدا على وجود مثل هذا المشروع بينهما ٠ اننى لايمكننى ان انكر اعجاب المتنبى بسيف الدولة لبطولته وبلائه الحسن فى محاربة الروم أعداء الاسلام وانتصاراته المدوية عليهم (وان كان انهزم أحيانا أمامهم ، وهذا طبيعى) ولما كان يخلعه عليه من عطايا لم يكن يحلم بها ويقربه اليه ويكرمه ولا يسمع فيـه وشاية واش سنين عددا ، بيد ان هذا شىء والقول بأنهما كانا قد اتفقا

على هذا المشروع التاريخى الخطير شىء أخر · واليك الان بعض ما قاله المتنبى فى سيف الدولة مما يدل على عكس هذا الادعاء · يقول فى احدى قصائدة فى كافور :

قالوا : هجرت اليه الغيث · قلت لهم : الى غيوث يديه والشآبيب
الى الذى تهب الدولات راحته ولايمن على آثار موهوب
ولايروع بمغدور به أحدا ولايفزع موفورا بمنكوب

فالمسألة كما ترى مسألة عطاء · وهو هنا يعيب سيف الدولة بأنه قد كدر عطاياه له بالمن والاذى · ثم أين المشروع التاريخى هنا والمتنبى يلمح بطلب ولاية لنفسه ؟ أم ترى ينبغى ان يفهم من هذا الهدف أنه كان يرمى الى أخذ ولاية من كافور تكون نواة للدولة العربية المرتقبة ؟ ولكنه وقد عجز هو وسيف الدلة معا عن هذا فى حلب أيستطيعه هو وحده فى مصر وليست له البراعة السياسية والمقدرة على التخطيط والتامر واصطناع الاعوان وقبضة كافور أقوى من فك الاسد ؟ ان المتنبى يقول فى قصيدة اخرى فى كافور :

وكل امرىء يولى الجميل محبب وكل مكان ينبت العز طيب

فهذا هو مفتاح الامر كله·ثم ان الدول على أيه حال لاتقوم على «الشحاذة»! والطريف أنه بينما كان يشجع بأماديحه سيف الدولة ، وأبا العشائر من قبله ، على اهلاك الاموال على قصادهم ومعتفى معروفهم نراه يقول لكافور :

فلا ينحلل فى المجد مالك كله فينحل مجد كان بالمال عقده
ودبره تدبير الذى المجد كفه اذا حارب الاعداء والمال زنده
فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله ولامال فى الدنيا لمن قل مجده

مع ان المنطقى ، لو كان يجمع المال لاقامة الدولة العربية بالتعـــاون مع الحمدانيين ، ان يبصرهم بهذه النصحية الغالية بدلا من ان يدخرها لكافور وان يشجعه هو بدلا منهم على اهلاك ماله ٠ وهو يقول فى مصر عن نفسه وسيف الدولة :

اذا الجود لم يرزق خلاصـــا من الاذى   فلا الحمد مكسوبا ولا المال باقيا
وللنفس اخـــلاق تـــدل عـلى الفتى   أكان سخاء ما أتى أم تســـاخيا
أقل اشتياقا أيهـــا القــلب ، ربمـــا   رأيتك تصفى الود من ليس جازيا

وأظن ان المعنى الذى أحب أن ألفت اليه نظر القارىء واضح ، فهو هاهنا يتحدث عن غدر سيف الدولة به ويلمزه فى سخائه ، وليس هذا كلام من كان بينه وبين هذا الامير اتفاق على هذه الخطة تاريخية الخطيرة ٠ وأنا بعد لا أنكر ان المتنبى كان يغالب نفسه وحبه لسيف الدولة ، ولكن هذه مسألة اخرى ٠ واســـمع ايضـــا هذه الابيات التى تجـرى على نفس النغمـــة :

رمى واتقى رميى ومن دون ما اتقى
هوى كاسر كفى وقوسى وأســـهمى

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه
وصدق ما يعتاده من توهم

وعـــادى محبيـــه بقول عداته
وأصبح فى ليل من الشك مظلم

وان بذل الانســـان لى جود عابس
جـــــيت بجود الباذل المتبسم

وما كل هاو للجميـــل بفـــــاعل
ولا كل فعـــــال لـــه بمتمم

فالامر ، كما ترى ،أمر جميل وعطاء واكرام لا أمر اتفاق على هذه الامور

السياسية الخطيرة . ثم هذه الابيات التى قالها الشاعر عندما بلغه أنهم نعوه فى مجلس سيف الدولة :

يا من نعيت علـى بعـد بمجلسـه
كل بمـا زعم النـاعون مرتهن
كم قد قتلت وكم قـد مت عنـدكمو
ثم انتفضـت فزال القبر والكفن
قد كان شـاهد دفنى قبل قولهـو
جمـاعة ثم ماتوا قبل من دفنـوا
ما كل ما يتمنى المـرء يدركـه
تجـرى الرياح بما لاتشـتهى السفن
رأيكتم لايصـون العـرض جاركمـو
ولايـدر على مرعـاكم اللبن
جـزاء كل قـريب منكمـو ملل
وحظ كل محب منكمو ضـغن
وتغضـبون على من نال رفدكمو
حتى يعـاقبه التنغيص والمنن
فغادر الهجـر ما بيذى وبينكمـو
يهماء تكذب فيهـا العين والاذن
ولا أقيم عـلى مـال اذل بـه
ولا ألذ بما عـرضى به درن

أيمكن ان يقال ان قائل هذا الكلام مازال يقيم على وفائه واخلاصه لسيف الدولة ؟ مرة ثانية أنا لاأنكر أنه كان فى أعماقه يحب هذا الامير ، لكن الحب شىء والوفاء والاخلاص شىء آخر . لقد أسىء الى كبـريائه فى بلاط سيف الدولة ، فليس من الطبيعى أن يطلب أو يتوقع منه ان يظل عـلى وفائه واخلاصه . وهذا كله بغض النظر عن أنه فر من حلب ولحق بكافور عدو الحمدانيين اللدود ، فان هذا وحده كاف لنسف ادعاء الاستاذ شاكر

نسفا . كذلك ينقضه من أساسه أن المتنبى حين هرب من مصر لم يعد الى سيف الدولة حتى ولابعد ان ماتت أخته ورثاها رثاء حارا ووصلته من الامير العربى الرسائل والهدايا يحملها ابنه ، وآثر أن يذهب الى الكوفة ببغداد ، ومنها الى بلاد العجم عند البويهيين أعداء الحمدانيين الاشداء .

ان ديدن الاستاذ شاكر فى كتابه هذا هو ان يلتقط لفظة طائرة ويولدها أفكار أو معانى واشارات من بنات خياله هو لاصلة بينها وبين هذه اللفظة . انه يلتقط لفظة «الوعد» فى قول المتبى من قصيدته لسيف الدولة التى أرسلها اليه ردا على هداياه ورسالته التى بعث بها اليه وهو بالكوفة :

أنت طول الحياة للروم غاز
فمتى (الوعد) أن يكون القفول ؟

وسوى الروم خلف ظهرك روم
فعلى أى جانبيك تميل ؟

ويرى فيه وعدا وعده سيف الدولة أبا الطيب لتحقيق ما يريدان من رد الحكومةالى العرب وذلك بأن يغزو سيف الدولة العراق و (يميل عليه) ويزيل عنه سلطان الموالى والاعاجم » (٦٧) . ويمضى الاستاذ شاكر فيرى أن «هذا الذى كان من (الوعد) بين سيف الدولة وأبى الطيب كان هو السبب فى أن أبا الطيب حين دخل العراق لم يعبأ بأحد من السلاطين والحكام وأولى الامر من الوزراء واستكبر على جميعهم فلم يمدح منهم أحدا ، حتى الخليفة لم يفكر فى مدحه » (٦٨) . ولكنى للاسف لا أستطيع ان أوافق الأستاذ شاكر على هذا التفسير ، فان المتنبى لايستنجز فى البيت السابق وعدا بل يسأل : متى يكون الوعد بالقفول ؟ أى أنه لم يكن ثمة وعد سبق بينهما . والاستفهام على ايه حال قصد به التفخيم من جهود سيف الدولة فى غزو الروم ، فكأنه يقول له : ألم يكفك كل هذه الغزوات التى غزوتها

فيهم فتستريح من هذا الجهد الخارق الذى تبذله ؟ فهو استفهام بلاغى لا يقصد منه البحث عن جواب بل المدح والتفخيم · ولنفترض أنه كان هناك وعد فهل مثل هذا الوعد من تفاهة الشأن بحيث قد اطمأن المتنبى الى تحقيقة فى أيام ، فذهب الى بغداد وتحدى القائمين على السلطة هناك ؟ ان سيف الدولة ، على بطولته غير المنكورة قد عجز أمام الاخشيديين فى مصر ، وهى بعد مجرد ولاية عباسية · كذلك فان سيف الدولة ، على رغم كل هذه الغزوات التى غزاها فى الروم لم يستطع أن يحسم الامر معهم ، فكيف نقتنع ان المتنبى كان يظن ان استيلاء سيف الدولة على عاصمة الخـلافة نفسها هو بمثابة نزهة ، ولذلك فهو ، على تفسير الاستاذ شاكر ، ينتظره هناك مطمئنا غاية الاطمئنان الى وصوله ؟ ثم ألم يكن المنطقى أن يسارع هو الى حلب فيدخل بغداد مع الداخلين حاملا سيفه ورمحه بدلا من ان يعقد منتظرا ؟ لقد كان يغزو الروم مع سيف الدولة فكيف يقنع هنـــا بالانتظار ؟ أم تراه كان يمهد الارض لدخول الحمدانيين العراق وبغداد ؟ بيد أنه لايوجد أى خبر عن هذا ، بل ولا الاستاذ شاكر نفسه ادعى هذا ، على كثرة على كثرة ادعاءاته اللامنطقية ·

ولنفترض جدلا أنه كان هناك وعد وان هذا الوعد هو الذى جمد قلبه وجعله يتحدى القائمين على الحكم فى بغداد فهل كان هؤلاء ايضـا يعرفون بأمر هذا الوعد ويعلمون ان مدينتهم وبلادهم ساقطة لامحالة فى يد سيف الدولة فخافوا ان هم تعرضوا للمتنبى بسوء أن ينكل بهم سيف الدولة بعد ان يدخل بلادهم غازيا منتصرا ؟ لقد غاب هنا عن الاستاذ شاكر ان ظروف سيف الدولة الصحية والعسكرية فى ذلك الوقت لم تكن مواتية ، فقد مرض وانتصر عليه الروم ولم يعد سيف الدولة القــديم ، فكيف طاف بخياله أن سيف الدولة ، بغض النظر عن كل ما قلته آنفا ، يستطيع ان يحقق هذا «الوعد» الخطير ؟ ·

وكذلك غاب عن الاستاذ شاكر ما قاله المتنبى فى هذه القصيدة نفســها من ان مقصده حلب وأنه يتشوق الى لقاء سيف الدولة ثانية :

نحن ادرى وقد سألنا بنجد :
اقصير طريقنا أم يطول

وكثير من السؤال اشتياق
وكثير من رده تعليل

لا أقمنا على مكان وان طا
ب ولايمكن المكان الرحيل

كلما رحبت بنا الروض قلنا
حلب قصدنا وأنت السبيل

فيك مرعى جيادنا والمطايا
واليها وجيفنا والذميل

والمسمون بالامير كثير
والامير الذى بها المأمول

مقصده حلب اذن ليرى سيف الدولة وليست بغداد لينتظر دخوله اياها فاتحا منتصرا · وعلى هذا المنوال ينبغى ان نفهم قول المتنبى فى قصيدة اخرى ردا على خطاب أرسله اليه سيف الدولة يستدعيه الى حلب :

فهمت الكتاب أبر الكتب
فسمعا لامر أمير العرب

وطوعا له وابتهاجا به
وان قصر الفعل عما وجب

وليس كما فسره الاستاذ شاكر بأنه « اذا كان هذا الكتاب ، كما وردت الرواية ، قاصرا على رغبه سيف الدولة الى أبى الطيب فى أن يلحق به ويكون فى جواره ، فيكون قول أبى الطيب (فهمت الكتاب) من أسخف القول وأرذلة وأحطه وأسقطه ··· وماذا فى هذا الطلب مما يحتاج الى «الفهم» ؟ ··· البين أن سيف الدولة كتب الى أبى الطيب ، بعد القصيدة

التى مر ذكرها والتى اغراه فيها بغزو العراق وفتحه ، كتابا يشرح له فيه الامر غير مصرح بشىء ، ويذكر العوائق التى تعوقه دون غرضهما ، وبين له ما هو فيه الكرب والضيق ··· ولهذا لم يأتمن سيف الدولة أحدا على هذا الكتاب الذى كتبه الى أبى الطيب فكتبه اليه (بخطه) حيطة وحذرا ان يشيع ما ورد فيه · وقد أراد سيف الدولة فى كتابة هذا ان يزيد أبا الطيب بيانا ولكنه لم يستطع خشية الاحداث التى لايملك صرفها من وقوع هذا الكتاب فى يد عدو من اعدائه ، ولذلك طلب من أبى الطيب ان يقدم عليه بالشام فيخلو به ، ويشرح له الامر فى غير كناية ولاتعريض ، ولكن أبا الطيب كان قد فهم ما وراء كتابات سيف الدولة واشاراته الخفية فكتب اليه :

فهمت الكتاب ابر الكتب
فسمعا لامر أمير العرب » (٦٩)

وهوكلام غير مقنع على الاطلاق ، فهل لم يجد سيف الدولة من يتشاور معه فى هذا الامر الا الشاعر الذى خدعه وفر منه قبل سنوات ولحق بغريمه اللدود كافور وفضله عليه ولزمه هو عنده ، وأظهر شعره أن كل همه هو تولى ولاية له ؟ وأين فطاحل قواد الحمدانيين وسياسييهم ؟ وهل مثل هذا الامر مما يتخاطب به فى رسائل وقصائد بين اثنين لم ير احدهما الاخر منذ سنوات ؟ على كل حال القصيدة تحت أيدينا ، ولاداعى للتحليق فى أجواء الخيال ،ولنهبط الى أرض الوقائع الصلبة ، فماذا يقول المتنبى فيها ؟ اننا لانحتاج الى ان نقرأها كلها بل يكفينا افتتاحيتها :

فهمت الكتاب أبرا لكتب
فسمعا لامر أمير العرب
وطوعا له وابتهاجا به
وان قصر الفعل عما وجب
وما عاقنى غير خوف الوشاة
وان الوشايات طرق الكذب

وتكثيـــر قـــوم وتقليـــلهم
وتقـــريبهم بيننـــا والخـــبب

وقد كان ينصرهم ســـمعه
وينصرنى قلبـــه والحســـب

وما لا قنى بلـــد بعـــدكم
ولا اعتضت من رب نعماى رب ... الخ .

فبالله عليك هل فى هذه الابيات أية أشارد أو تلميح الى شىء مما خاله الاستاذ شاكر ؟ ان المتنبى هنا يعتذر عما بدر منه ويعاتب أميره من طرف خفى ويعد برجوعه اليه . ان المتنبى هو الذى يوضح موقفه وليس سـيف الدولة . ولا أدرى لم يستغرب الاســـتاذ شـــاكر أن يكون معنى قول المتنبى :

فهـــمت الكتـــاب أبـــر الكتب
فســـمعا لامر أمير العـــرب

هو أنه فهم رغبة سيف الدولة فى أن يعود اليه ويطويا معا صفحة الماضى لماذا لايكون معنى البيت أنه فهم ، أى اقتنع ، بأن سيف الدولة لايزال على حبه له وتقديره لشعره ، وأن فراقه له لم يؤثر فى شىء من ذلك ، وانه صفح عن همزه ولمزه له فى مدائحه لكافور بل عن تفضيل الاخير عليه ، وقبل ذلك هروبه من حلب والتجاقه بعدوه ؟ أيا ما يكن الامر ، فما قوله فى أن المتنبى لم يعد الى سيف الدولة ؟ ليس ذلك وحسب بل كأن انتقاله الى كافور لم يكن كافيا فزاده بالمضى الى بلاد فارس حيث عضد الدولة ، عدو سيف الدولة الآخر اللدود .

ان تفسير الاستاذ شاكر فى كتابه هذا للاقوال والتصرفات والمواقف هى للاسف تفسيرات تجافى المنطق وحقائق التاريخ ونصوص الشعر والتحليل السليم للنفس الانسانية وللشخصيات التى يدور حولها بحثـــه .

لقد رأى من قبل ان المتنبى قد تورط فى الذهاب الى كافور اذ أغرى اليهودى ابن ملك كافورا فطلبه هذا من ابن طغج ، الذى أحرجه حتى قبل الذهاب (٧٠) كأن المتنبى ، لو سلمنا جدلا بهذا الرأى ، كان يعجزه أن يهرب وهو الذى هرب من سيف الدولة ومن كافور نفسه بعد ذلك . وهذا غير قصائده المصرية التى تكشف عن رغبة لديه مشتعلة فى أن يقربه كافور ويوليه تحت سلطانه ولاية . وهاهو يفسر عدم رجوع المتنبى الى حلب بموت خولة وهو بالكوفة سنة ٣٥٢ هـ وورود خطاب سيف الدولة بالعوائق التى تمنعه من فتح العراق (٧١) ، مع ان موت خولة (ان صح افتراض الاستاذ شاكر حول وجود علاقة حب بينها وبين شاعرنا) قد سبق الهدايا والكتب ومع ان المتنبى كا نهو البادىء بنكش الماضى اذ رثى أخت الامير وأبدى تعاطفا جميلا نبيلا مع أخيها صديقه واميره القديم . وقد وعد المتنبى سيف الدولة بعد ذلك بل بعد الخطاب الذى يزعم الاستاذ شاكر ان الامير الحمدانى قد بسط فيه عذره المانع له من غزو بغداد وفتح العراق انه عائد عائد اليه . ولو جارينا الاستاذ شاكر فى افتراضاته فهل يكون رد المتنبى على عجز سيف الدولة مؤقتا عن فتح العراق هو الارتحال الى بلاط أعدائه البويهيين يمدحهم ويرفعهم ، كعادته كلما مدح ملكا ، فوق جميع العالمين بما فيهم سيف الدولة نفسه مما آلم هذا الأخير وحز فى نفسه حزا شديدا ؟ أهذا هو ما يقتضيه ذلك الاتفاق السرى الذى لم يجد الامير الحمدانى أحدا فى الدنيا ، ولابين أقاربه وفيهم الفرسان المغاوير والسياسيون الدهاة المحنكون ، يعقده معه الا المتنبى الشاعر الذى لم يكشف فى يوم من الايام عن مهارة سياسية أو موهبة عسكرية فذة (وان كنت لا أغمطه حقه فى الاعتراف بشجاعته واشتراكه فى غزو الروم مع الامير الحمدانى ، بيد ان هذا شىء وذاك شىء آخر) ؟

ان الاستاذ شاكر يلح على ان المتنبى كان يحتقر الاعاجم (بما فيهم طبعا عضد الدولة ، أليس أعجميا ؟) ، وأنه حين وفد على عضد الدولة كان محرجا (باللاحراج الذى أفسد على المتنبى حياته مرتين افسادا شنيعا !) وان وصفه لشعب بوان هوهجاء لبلاد فارس واهلها ، وأنه كان يعد بنى بويه اعداء له لانهم شيعة العلويين الفاطميين ، الذين لايرضى عنهم

أبو الطيب ولاسيف الدولة ، وأن عضد الدولة كان يبادله عداوة بعداوة ولايأمن أحدهما الاخر (٧٢) ٠ والسؤال الذى لا يستطيع الانسان السيطرة عليه هو : ولم اذن ذهب المتنبى الى عضد الدولة ؟ ولم «أحرج» من ابن العميد حين عرض عليه الذهاب اليه وهو الذى لم «يحرج» من سيف الدولة برغم الهدايا والكتب والالحاح فى استدعائه الى حلب ، لا ولم يحــــرج ايضا من الوزير المهلبى ورفض ان يمدحه برغم أنه كان يعيش فى بغـداد مركز سلطانه وليس بعيدا عنه كما كان بعيدا عن عضد الدولة ؟ واذا كان أحرج فى الذهاب اليه وكان فى الحقيقة يكرهه ويحتقره فلم سجد له ولم يتمسك بكبريائه وخنزوانته التى جعلته يشترط لنفسه عند سيف الدولة ؟ ولم مدحه ذلك المديح المغالى فيه والذى رفعه فيه فوق كل ملوك الارض وفيهم سيف الدولة نفسه ؟ وكيف لم يحرج ويبق هناك بل استأذن منه وعاد فى طريقة الى بغداد ؟ الحقيقة هى انه لم يقبل اغراء ابن العميد بالذهاب الى عضد الدولة الا بعد ان أكد له ان عطاءه منه سيكون أكثر من عطائه هو له ٠ وعلى أية حال فلماذا مدح ابن العميد اصلا ولم يحرجه أحد بمدحه ، وابن العميد أعجمى من الاعاجم ، الذين يقول الاستاذ شاكر ان المتنبى كان يحتقرهم ويعاديهم ويعادونه ، على حين لم يمدح الخليفــة العباسى وهو مهما يكن رأيه فيه عربى على كل حال ؟ الواقع ان الاستاذ شاكر فى كتابه هذا يبدو وكأنه يبحث بحثا عن غير المعقــول أو المنطقى ليتمسك به ويعض عليه بالنواجذ وينبذ كل ما يتمشى مع المنطق والعقل !

اما بالنسبة لوصف المتنبى لشعب بوان فهل الانبهار الذى تعكســه هذه الابيات يصح أن يوصف بأنه هجاء لبلاد فارس وأهلها :

مغانى الشعب طيبـــا فى المغانى
بمنـــــزلة الربيـــع من الـــزمان
ملا عب جنـــة لو ســـار فيهـــا
ســليمان لســـار بترجمـان

طبت فرســـاننا والخيـــل حتى
خشـــيت وان كرمن بلا حـــران

غدونا تنفض الاغصـــــان فيـــه
عـــلى أعرافهـــا مثل الجمـــان

فسرت وقـــد حجبن الشـــمس عنى
وجئن من الضيـــــاء بمـــا كفـــانى

وألقى الشرق منهـــا فى ثيـــابى
دنـــانيرا تفـــر من البنـــان

لهـــا ثمـــر تشـــير اليك منهـــا
بأشربة وقفن بـــلا أوانى

وأمـــــواه يصـــل بها حصـــاها
صـــليل الحـــلى فى أيـدى الغـوانى

اننى لا أنكر أنه عبر عن احساسه بالغـــربة فى هذه البـــلاد التى يتكلم أهلها لغة غير لغته وتختلف سحنهم عن سحن قومه العرب ،بيد ان احساسه بالغـــربة دليل مضـــاعف على صدق انبهاره بجمال الشعب ، اذ ان هذه الغربة لم تستطع ان تحول بين قلبه الحزين وبين الانفعال بهذا السحر الشاده المدهش لذلك الشعب العجيب ٠ أما ظن الاستاذ شاكر ان المتنبى حين قال :

ملاعب جنـــة لو ســـار فيهـــا
ســـليمان لســـار بترجمـــان

انما كان يحط من قدر الفرس لان سليمان كان يعرف منطق الجن ، فانى ارى على العكس ان المتنبى ، لاحساسه بالغربة من أجل اللغة والسحنة وقلة رفاق رحلته ، قد شعر أن سليمان نفسه على علمه بلغات الطير ، كان سيشعر هو ايضا بالغربة ، وذلك كما تقول :«قضية ولا أبا حسن لها»

و «أجود من حاتم» وما أشبه • ويعلق الاستاذ شاكر أهمية جد كبيرة على بيت المتنبى عن قومه :

وبهم فخـــر كل من نطق الضـــا
د ، وعـــوذ الجـانى وغـوث الطـريد

فى اثبات علويته • يقول : (٧٣) « وفخر كل من نطق الضاد هم أبنـــاء الرسول ﷺ » كما يقول : (٧٤) « والاجماع منعقد على ان فخر (من نطق الضاد) ، وهم العرب ، هم قريش من عدنان » •وبعد سطور قليلة يقول ان « فخر كل من نطق الضاد هم ولاشك أبناء على رضى الله عنه وفاطمة بنت محمد رسول الله ﷺ » كما أنه «جعل ذلك من الادلة على (علوية) أبى الطيب فى باب النسب » (٧٥) • والاستاذ شاكر بهذا يحول القضية من فخر يخضع للمبالغات والتهويلات (وهل الكلام بفلوس ، كما تقول العامة؟ وهل نسى قول الله تعالى عن مثل هذه المبالغات وأصحابها : « والشعراء يتبعهم الغاوون • ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون • وأنهم يقولـــون ما لا يفعلون » ؟) (٧٦) الى قضية فقهية تقوم على الاجماع • وحتى لو انســـقنا معـــه فى نظرته لهذه المسألة فاننا نحب أن نقول أولا ان « فخر كل من نطق الضاد » لاينبغى ان يكون اولاد فاطمة وعلى بل هو الاصل الذى أكسبهم مكانتهم فى قلوب العرب والمسلمين وهو النبى عليه الصلاة والسلام ، والنبى ﷺ ليس فخر كل من نطق الضاد فقط ، بل هو فخر كل المسلمين • هذه واحدة • والثانية ان المتنبى نفسه فى البيت السابق على هذا البيت يقول :

لابقـــومى شرفت بل شرفوا بى
وبنفسى فخـــــرت لابجـــدودى

لقد رأينا أن ابناء على وفاطمة انما يستمدون مكانتهم السامية فى قلوبنا نحن العرب والمسلمين من انتسابهم لسيدنا رسول الله ﷺ ، وها هو ذا المتنبى فى هذا البيت يقول انه ليس هو الذى يشرف بهم بل هم الذين يشرفون به ، فما قول الاستاذ شاكر فى هذا ؟ والثالثة أن المتنبى يقول عن

قومه هؤلاء : « وبهم ··· عوذ الجانى وغوث الطريد » على حين يقول الاستاذ شاكر أن العلويين الذين ولد المتنبى لواحد من كبرائهم يطـاردون المتنبى ويتآمرون على قتله · أو قد فقد المتنبى عقله وذاكرته اذن ؟ أم ترى الاستاذ شاكر يعرف ظروف المتنبى وأحواله أفضل منه ؟ والرابعة اننا نعلم ان عترة النبى ﷺ قد لاقوا الاذى والاضطهاد والتنكيل والتقتيل أزمنة طويلة فى تلك الازمان ولم يكونوا هم أنسهم يجدون من يغيثهم وينقذهم من هذا البلاء الماحق ، فكيف يقول المتنبى عنهم انهم « عوذ الجانى ، وغوث الطريد » ؟ ان التفسير المعقول لهذين البيتين هو ان المتنبى يفتخر بمواهبه الادبية واللغوية ويغالى بها ويجعل شرف قومه من شرفه هو · انه يرى نفسه شاعر العربية الاكبر ، ولهذا فمن حق قومه أن يكونوا مفخـر كل الناطقين بالعربية · هذه هى حقيقة المسألة بلا تهاويل ·

ولكيلا يكون عند أحد أدنى شك فى أن تفسير الاستاذ شاكر لهذا البيت قد جانبه الصواب فانى أحيله على أبيات للمتنبى يمدح فيها كلا من ممدوحيه المختلفين من عرب وعجم بأنه أفضل البشر طرا (لا أفضل العرب وحدهم)وأنه فرد زمانه الذى لم يجد الدهر بمثله ، فهل نفهم من هذا ان كل واحد من هؤلاء علوى (ولا أقول : هو النبى ﷺ نفسه ، على أساس انه من وجهة نظر المسلم ، هو سيد العالمين) ؟ يقول فى كافور :

وأى قبيـل يسـتحقك قـدره
معـد بن عـدنان فداك ويعـرب

وكافور هذا هو عبد خصى زنجى (أرجو ألا يفهم القارىء أنى أنال من كافور بهذا ، بل أنى أنظر الى الامر بنظرة الاستاذ شاكر) و :

لو لم تكن من ذا الورى الذ منـك هـو
عقمت بمـولد نسـلها حـواء

ويقول فى ممدوح له أزدى (هو شجاع بن محمد بن أوس بن الرضـاء الازدى) :

لم يخـــلق الرحمن مثـــل محمــــد
أبـــدا وظنى أنــــه لايخـــــلق

ولعل من المناسب أن أورد ما علق به العكبرى رحمه الله على هذا البيت الذى يصك صكا شديدا تفسير الاستاذ شاكر لبيت المتنبى السابق عن قومه ٠ قال : « وصدق (المتنبى) ان أراد الاسم لا الصورة لان الله تعـالى لم يخلق فى الاول ولا فى الاخر مثل محمد ﷺ » (٧٧) وفى الحسين بن اسحاق التنوخى يقول :

أأنطق فيك هجـــرا بعـــــد علمى
بأنك خيـــر من تحت الســــماء

(بما فيهم المتنبى نفسه طبعا وهو الذى بسببه كان قومه مفخر كل من نطق الضاد ٠ لاحظ) وهو عينه ما قاله فى محمد الحسن بن عبد الله بن طغج (وهو أعجمى) :

مــاذا يقـــول الـذى يغنى
يا خيـــــر من تحت ذى الســـماء

اما فى أحمد عبيد الله بن يحيى البحترى المنجبى (حفيد البحترى الشاعر وهو طبعا ليس علويا) فانه يقول :

بمن أضرب الامثـــــال أم من أقيســـه
اليك وأهل الدهر دونك والدهـــر ؟

ويقول :

فكن كمـا أنت يا من لاشـــبيه لــه
أو كيف شـــئت فما خـــلق يدانيكـا

وفي بدر بن عمار (وهو غير علوى) نراه يقول :

سبقت السابقين فما تجارى
وجاوزت العلو فما تعالى

واقسم لو صلحت يمين شىء
لما صلح العباد له شمالا

وفيه أيضا يقول :

مثلك يا بدر لايكون ولا
يصلح الا لمثلك الدول

وفى سيف الدولة (وهو ليس من سلالة النبى ﷺ) :

ان كان مثلك كان أو هو كائن
فبرئت حينئذ من الاسلام

وفيه ايضا :

أنساب فخرهمو اليك وانما
انساب أصلهمو الى عدنان

(همو أى العرب ٠ وهذا البيت يشبه بيته الذى جعل فيه قومه فخر كل من نطق الضاد) ٠

وهذه بعد مجرد أمثلة عشوائية ، وهى كلها تدل على ان المتنبى كان يبالغ، على عادة الشعراء فى تلك الايام بالذات ، اذا مدح واذا افتخر ٠

وتبقى مسألة التحاقه بكتاب أولاد العلويين فى الكوفة وارضاع امرأة من العلويين له ٠ وان من الجائز جدا أن يكون العلويون قد رقوا لحال والده وبخاصة حين شاموا من الصبى ذكاء ونبوغا مبكرا فالحقوه

بكتابهم ، وزادوا فأرضعوه فيهم حين ماتت أمه · وهذا هو الاليق بالعلويين عترة النبى عليه السلام بوجه عام (وان كان لايمنع أن يكون فيهم من لايستحق شرف الانساب الى سيد البشر) ·

وبعد ان فرغنا من مناقشة نظرية الاستاذ شاكر فى علوية المتنبى تفصيلا نقفى عليها بالملاحظات الاضافية التالية :

لو كان المتنبى علويا فلم لم ينشىء شعرا فى مدح العلويين وفى الظلم الذى أصابهم كما هو ديدن الشعراء العلويين ، وبخاصة أن المتنبى شاعر فحل ، وكان يشعر بأنه مهضوم الحق ؟ ولو كان علويا أكانت علويته تفوت أبا العلاء ، وكان قريب زمن به ومتعصبا له ولشعره غاية التعصب ؟ أم كانت تفوت على الشريف المرتضى ، وقد كان أبوه نقيب أشراف بغداد فى عصر المتنبى ثم تولى أخوه الشريف الرضى النقابة من بعد أبيه فى سائر أملاك بهاء الدولة البويهى ، (٧٧) وكان لابد ان يعرف بقصة المتنبى مع أهله العلويين ، الذين لايريدون ان ينتسب اليهم ؟ ان المتنبى لو كان علويا لما تنقص شعره الشريف المرتضى على حين دافع عنه أبو العلاء فى مجلس الشريف دفاعا غاظه وأغضبه فأمر باخراجه من مجلسه فسحب من رجله سحبا · (مرت هذه القصة من قبل) · كذلك ما كانت علوية المتنبى لتفوت الناشىء الاصغر وهو كوفى مثل المتنبى ، وأستاذه ، فقد سمع منه شعره وكتبه مع الكاتبين وهو شاب فى مسجد تلك المدينة · ومع ذلك فان الناشىء لم يقل شيئا من هذا ولاحتى فى مصر حيث كان هو والمتنبى يعيشان بمأمن من يد العلويين الطويلة الشريرة القادرة القاتلة (على ما يصورها الاستاذ شاكر) · وابن جنى ، الذى كان تلميذا للمتنبى وراوية لشعره ورافقه عند الحمدانيين وعند البويهيين ، وكان معه فيما تقول أحدى الروايات ، حين قتل ، ولكنه نجا ، والذى كان أستاذا للشريف الرضى ، ابن نقيب الاشراف فى بغداد ونقيبهم هو نفسه بعد ذلك فى كل أملاك بهاء الدولة البويهى (٧٨) (وكان لابد أن يكون على علمبقصة المتنبى حتى لوأن ابن جنىلم يخبره بذلك بنفسه)كيف لم يذكرشيئا من ذلك ؟ وكيف لم يذكره الشريف الرضى ؟ أو كيف لم يقل شيئا عن هذا أبو بكر الشعرانى خادم الشاعر والذى استفاد منه العلماء فوائد عن

نشيده وشعره ، أو على بن حمزة البصرى (من أعلام الأدب فى عصره)، وهو بغدادى ، وقد نزل عنده المتنبى لما ورد بغداد ؟ واذا كان خاف (ولا أدرى ما الذى يخيف فى هذا الامر كما يريد أن يوهمنا الاستاذ شاكر) ان يعلن ذلك فى بغداد فلم لم يعلنه فى صقلية ، التى كان بينها وبين بغداد جبال وبواد وبحار ، والتى هاجر اليها وتوفى فيها (سنة ٣٧٥ هـ) بعد موت المتنبى بعشرين عاما (٨٠) أو القاضى أبو الحسن الرجانى ، الذى كان معجبا بشعره ونافح عنه اتهامات المتجنين عليه بالسرقة من شعر الآخرين وكان معاصرا له (توفى ٣٦٦ هـ) ؟ أو كيف لم يعرف بهذا السر (الذى عرفه الاستاذ شاكر وحده بعد مئات السنين ومن غير ان يخبره به أحد) ابن طباطبا العلوى ، وهو شاعر مثل المتنبى وكان معاصرا له ، وكان نقيبا للاشراف العلويين بمصر ، ومات قبل ان يفد اليها المتنبى بشهور (مات سنة ٣٤٥ هـ) (٨١) ؟ ان مثل هذا النسب وهذه القصة الغريبة لو صحت لعلم بها العلويون فى كل أرجاء العالم الاسلامى ، فما بالك بمصر، التى كانت تابعة للخلافة العباسية فى ذلك الوقت وهى قريبة من العراق؟ ثم كتب أنساب الاشراف ، لم لم تذكر شيئا عن هذا الموضوع ولو بتكذيب ادعاءات المتنبى ؟ وكل الذين ترجموا للمتنبى سواء عقب وفاته أو بعد ذلك ، لماذا أجمعوا كلهم على أنه من جعفى ؟ والذى يرجع الى تعليقات العكبرى على أبيات المتنبى التى يهدد فيها الملوك يجده يسخر من الشاعر كقوله مثلا : « لعله يطلب ضأن يسترد ملك أبيه عيدان السقاء » (٨٢) ، وقوله : «وهذا من كلامه البارد وحمقه الزائد · ولو قال هذا سيف الدولة على بن حمدان لانتقد عليه » (٨٢) ، وقوله تعليقا على بيت للمتبنى يهدد فيه الحجاز ونجدا والعراقين والشام بأنه سيعمل فى أهلها الرماح : «ولعلها قد كانت لآبائه ،فاغتصبت منهم · وهذا من حماقته المعروفة ·(٨٤)» بل غير هذا وذاك لماذا لم نسمع هؤلاء العلويين يردون على انتساب المتنبى شعرا أو نثرا أو حتى فى خبر من الاخبار ؟

ان المتنبى لو كان أبوه علويا لملأ الدنيا ضجيجا وصياحا ، وما نفعت معه نصائح جدته له ان يكتم هذا الامر ، فان طبيعته انفعالية ، لاتستطيع كتمان مثل هذا السر طويلا ، وهو الذى كان فى صباه دائم

التهديد للملوك . ولا يصحن القول ان تهديده الملوك انما كان لانه يرى أن الملك من حقه (بوصفه علويا) ، فان هذه التهديدات مقتصره على فترة الصبا أيام فقره ، والفقر كافر كما يقولون ، وكان المتنبى ينتقل من هذه التهديدات الى التألم من فقره وطلب العطاء من ممدوحه . وقد اختفت هذه التهديدات عندما كبر واتصل بالملوك ، وتحولت الى طلب المعـــونة منهم على حساده وأعدائه بعد أن كانوا قبلا هم الاعداء .

كذلك لو كان علويا وكان العلويون ينكرونه ويأتمرون به ليقتلوه فلم كان بعض ممدوحيه من العلويين كأبى القاسم طاهر بن الحسن بن طاهر العلوى مثلا ؟ ان الاستاذ شاكر كعـــادته يقول : ان ابن طغج قـــد أحرجه (٨٥) . وهذا القول ليس بشىء ، فان المحرج لا يرفع من دفع الى مدحه دفعا الى هذه المكانة السامية التى وضع المتنبى فيها هذا الممدوح . علاوة على ان المتنبى ، كما قدمنا ، لم يكن ليحرجه شىء لو لم يكن راغبا فى ذلك .وكل ما فى الامر أن تمنعه عن مدح هذا العلوى كان لتعريف الامير الاخشيدى أنه لايحب ان يمدح معه أحدا . كذلك لم أخذته الغيرة على نسب العلويين فهجا «علويا» بأن جده غير هاشم قائلا :

وفارقت شر الارض أهـــلا وتربة
بهـــا (علوى) جـــده غيـــر هاشم

مع ان العلويين الحقيقيين الذين جدهم هاشم قد اذوه وشردوه واضطهدوه وحاولوا اكثر من مرة أن يقتلوه (على زعم الاستاذ شاكر) ؟

ثم لو كان علويا شريفا يحاول أن يؤكد ذاته ويثبت نسبه الذى ينكره أهل أبيه عليه أكان يهبط الى هجاء أمثال ضبة وابن كيغلغ ويتدهدى فيه ... الحرمات

منهم ثمن مديحه دراهم معدودة ، الى أن أعطاه أحدهم
ارخ بها لتحول حظه فسميت «الدينارية» ، ويشكو
وضيق الرزق ويصرخ متشائما مبديا حنقه على الدهر
بعضهم سيدا حتى على نفسه هو ، كما قال فى بدر

ياذا المعـــالى ومعـــدن الادب
ســـيدنا وابن ســـيد العـــرب

وفيه أيضـا :

طلبنـــا رضـــاه بتـــرك الذى
رضـــينا لـــه فتركنـــا الســـ

يعنى أنه كان بوده أن يسجد لبدر بن عمار لولا أن بد
بترك السجود لانه يتحرى رضاه وان تعاكس مع ماير
هذا خضوع ، فهل يمكن أن يقول هذا علوى شريف لغير
مثال ، وقد سبقت أمثله أخرى يعلى فيها من شأن
جميعا (بما فيهم العلويون طبعا) ٠

وهو فى مدحه للعلويين لم يحدث قط ان أشرك
بهم على أى نحو من الانحاء ٠ انظر مثلا قوله فى
الحسين طاهر العلوى :

وأبهـــر آيات التهـــامى أنه
أبـــوك واحـــدى ما لكم من منـ

فهو هنا لم يشر من قريب ولامن بعيد الى أنه داخل
كـ ٠ النبوة فـ بنى هاشم ، بل أستخدم ضمير المخا

يبنى بـــــه ربنـــا المعـــــالى
كمــــا بكم يغفـــــر الذنوبا

أو قوله (فى صباه) يمدح محمد بن عبيد الله العلــوى :

قد أجمعت هــــــذه الخليقـــــة لى
أنـــك يا ابن النبى أوحـــــــدها

(الخليقة : أى الناس)

من غير أن يشرك نفسه معه فى هذا النسب الكريم ٠

وفى مدحه لسيف الدولة يذكر «دولة هاشم» بضمير الغائب ، جاعلا نفسه تابعا لهذا الامير ، الذى جعله بدوره سيف دولة بنى هاشم هذه :

وشركت دولة هاشــــــم فى ســـيفها
وشـــــققت خيس الملك عن رييــــاله

ولو كان هاشميا لجعلها دولته هو ولم يقم بينه وبينها هذين الحاجزين : الخليفة العباسى فى بغداد ، الذى قصده بقوله «دولة بنى هاشم» ، ثم سيف الدولة ٠ وهو يسمى هذا الخليفة العباسى «اماما» بقول :

افتح الجفن ، واتـــرك القـــول فى النـــو
م وميــــز خطـــاب سـيف الامام

يقصد سيف الدولة فان لقب هذا الامير الحمدانى يعنى « ســـيف الدولة العباسية » ، فسيف الامام اذن يعنى سيف الخليفة العباسى ٠ بل انه يسمى الدولة العباسية «دولة هاشم» ، ولو كان علويا ما ســماها أبدا بهـــذا الاسم :

ياسـيف دولة هاشـم من رام أن
يلقى مثـالك رام غيـر مـرام

وفى الابيات التالية نجده يتحدث عن بنى الحسن بضمير الغـائب ولا ينتسب اليهم ولو تلميحا :

جـزت بنى الحسن الحسنى فانهمـو
فى قومهم مثـلهم فى العـز عـدنانا

ماشـيد الله من مجـد لسـالفهم
الا ونحن نـراه فهيم الآنا ٠٠٠ الخ

أظن بعد ذلك أنه لايصح أبدا القـول ان المتنبى كان علويا ٠ واذ قد ثبت أنه لم يكن علويا فأحر به ألا يكون ابن الامام محمـد بن الحسن العسكرى ، الامام الثانى عشر ، الذى مازال اخواننا الشيعة ينتظـرون عودته من حيث إختفى فى السرداب الذى دخله فى اعتقادهم منذ مئات السنين ويدعون له بقولهم «عجل الله فرحه !» ٠ وهو كما ترى آخر امام علوى فى سلسلة الائمة عند الشيعة الاثنا عشرية ٠ ولهذا فانى لا أجد أى داع لمناقشة هذه النظرية التى هى أكثر اغراقا فى الخيال بل فى الوهم من نظرية الاستاذ شاكر ، الذى يبدو ان تقدمه فى العمـر والخبـرة والثقافة قد هز شيئا ما من مغالاته القديمة ، اذ قال فى سنة ١٩٧٧ (أى بعد مرور نحو أربعين سنة على اظهاره نظريته) تعليقا على خبر رضاعة المتنبى من امرأة علوية : « فالمتنبى الا يكن عليا كل العلوى فانه أخوهم فى الرضاع » (٨) وثمة سبب آخر لانعدام الداعى الى مناقشة نظرية الاستاذ عبد الغنى الملاح هو أنه ، فيما هو ظاهر مما ساق د ٠ الشكعة من أدلته ، يرتكز فى الاساس على بعض الابيات التى وقف عندها أو عند مثلها الاستاذ شاكر التى بينا أنها لاتعنى شيئا مما يظنه من مثل :

سـأطلب حقى بالقنـا ومشـايخ
كأنهمو من طـول ما التثموا مرد ٠٠٠ الخ

أنا ابن من بعضـــــه يفـــوق أبا البـا
حث والنجـــل بعض من نجـــــله

اذ ان الاستاذ الملاح ، فيما يخبرنا د ٠ الشكعة ، (٨٧) يتساءل حيال هذه الابيات وشبيهاتها عن والد المتنبى ، الذى لابد أن يكون فى مكانة تختلف عن مكانة جميع الناس ، كما يتساءل عن الحق الذى يطالب به الشـــاعر والرجال الذين يستعين بهم ٠ لقد سبق أن فندنا كل ذلك ، وسوف يتبين لنا فى فصل لاحق ان المتنبى لم يكن غير علوى فحسب بل لم يكن شيعيا أيضا ٠ الا اننى لا أحب أن أجوز هذا الموضع قبل ان أبين خطأ الاستاذ الملاح فى الاستنتاج الذى استنبطه ، على ماذكر د ٠ الشكعة ، من قول المتنبى :

أنـــا ابن من بعض يفـــوق أبـا البـا
حث والنجـــــل بعض من نجـــــله

اذ فهم منه ان والد المتنبى لابد ان يكون فى مكانة تختلف عن مكانة جميع الناس ، مع ان البيت لا يقول هذا البته ، وانما يفضل المتنبى نفسه (وأباه بطريقة غير مباشرة) ، كما سبق القول فى موضعه ، على أبى الباحث فقط لا على جميع الناس ٠ وحتى لو فضل المتنبى أباه على جميع الناس فهو حر ٠ والناس جميعا على كل حال يرون اباءهم أفضل الاباء ٠ وقد رأينا فى حالة المتنبى بالذات كيف أنه كان يبالغ دائما فى فخره ومديحه ، ورأينا ان كل ممدوح من ممدوحيه تقريبا هو أفضل البشر طرا لم تلد حواء حواء مثلة ولن تلد ٠

ان بعض الباحثين يحلولهم ان يخرجوا على النـــاس بمـا يدهش ويشده ولا يبالون فى سبيل ذلك بأصول البحث العلمى ، وبخاصة أننا فى مجال دراسة كدراستنا هذه لانستخدم ميزانا ولا انبيقا ولا مختبرا ، وانما الاعتماد على النصوص والاستنباط منهـــا ٠ وهذا الباحث الذى يدعى ان

المتنبى هو ابن محمد بن الحسن العسكرى لايبالى ما يقوله التاريخ بل ما يقوله غلاة المؤمنين بقصة الامام محمد بن الحسن العسكرى هذا واختفائه فى السرداب وأنه سيظهر يوما ليملا الدنيا عدلا ... الخ من أنه اختفى من دنيانا هذه على أبعد تقدير عام ٢٧٥ هـ وهو صبى لم يتجاوز عمره تسع عشرة سنة هجرية (وان كان هناك من ينزل بعمره حين وفاته ، التى يجعلونها سنة ٢٦٥ هـ ، الى أربع فقط ، بل ان من المؤرخين من ينكر ان يكون للحسن بن على العسكرى أى نسل) ، فكيف يكون المتنبى ، الذى ولد سنة ٣٠٣ ابنا لصبى اختفى من دنيانا (أو فلنقل بصراحة أنه مات) سنة ٢٧٥ هـ ؟أكان اخواننا الشيعة لو أفترضنا المستحيل وقلنا انه ابنه يسكتون عن هذا ويتركون المتنبى من غير ان يجعلوه محور اهتمامهم بل تقديمهم ، وربما كانوا جعلوه أمامهم الثالث عشر (٨٨) ؟

ذلك ، وقد أثار د . الشكعة نقطة أخرى يرى أنها تفند هذه النظرية الشاذة ، وهى تدور حول سلوك المتنبى وعقيدته ، اذ يرى أن ضعف عقيدته وعدم تدينه يباعدان بينه وبين ان يكون من بيت الامامة (٨٩) . وهو دليل غير ملزم ، اذ من قال ان سلالة النبى ﷺ لابد أن يكونوا جميعهم أقوياء العقيدة طاهرى السلوك أو حتى مؤمنين أصلا ؟ ان ابن نوح عليه السلام مثلا كان أول كافر به . بل ان بعض فرق الشيعة نفسها يطعنون فى أخلاق بعض أولاد الائمة ، ولذلك ينحرفون بسلسلة نسب أئمتهم عنهم (٨٠) . وهذا غير الاختلافات الشديدة التى كانت بين هؤلاء الائمة واخوتهم حول أحقية كل منهم بهذا اللقب والمنصب . وأظن ان هذا يكفى فى اثبات صحة ما أقول .

والان بعد أن رددنا النظريتين الغريبتين اللتين أراد بعض المعاصرين تفسير نسب المتنبى ، الذى لم يغادره القدماء دونما توضيح حتى يكون لاولئك عذرهم فى اتجاههم هذا المتجه العجيب ،نسوق ما قاله هؤلاء القدماء فى نسبه . قال الثعالبى الذى ولد (بنيسابور) قبل وفاة الشاعر بخمس سنوات ، وسمع أخبار المتنبى ، ضمن من سمع منهم ، من ابن جنى تلميذ الشاعر وصديقه وراوية شعره (٨١) « ذكرت الرواة أنه ولد بالكوفة فى

كندة سنة ثلاثة وثلاثمائة وان أباه قد سافر الى بلاد الشام فلم يزل ينقله من باديتها الى حضرها ومن مدرها الى وبرها ، ويسلمه فى المكاتب ويرده فى القبائل ··· حتى توفى أبوه وقد ترعرع أبو الطيب وشعر وبرع »(٨٢) ويذكر الخطيب البغدادى عن على بن المحسن التنوخى أن أبا الحسن محمد بن يحى العلوى الزيدى حدثه بقوله : « كان المتنبى وهو صبى ينزل فى جوارى بالكوفة · وكان يعرف أبوه بعبدان السقا ، يسقى لنا ولاهل المحلة · ونشأ وهو محب للعلم والادب ، فطلبه وصحب الاعراب فى البادية ، فجاءنا بعد سنين بدويا قحا · وقد كان تعلم القراءة والكتابة فلزم أهل العلم والادب وأكثر ملازمة الوراقين ··· وقال أبو الحسن : كان عبدان والد المتنبى يذكر أنه من جعفى · وكانت جدة المتنبى همدانية صحيحة النسب ولا أشك فيها ، وكانت جارتنا ، وكانت من صلحاء النساء الكوفيات · قال التنوخى : قال أبى : فاتفق مجىء المتنبى بعد سنين الى الازهر منصرفا من فارس ، فذكرته بأبى الحسن ، فقال : تربى وصديقى وجارى بالكوفة · وأطراه ووصفه · وسألت المتنبى عن نسبه فما اعترف لى به ،وقال · أنا رجل أحيط القبائل وأطوى البوادى وحدى ،ومتى أنتسبت لم آمن أن يأخذنى بعض العرب بطائلة بينها وبين القبيلة التى أنتسب اليها ومادمت غير منتسب الى أحد فأنا أسلم على جميعهم ويخافون لسانى · قال : واجتمعت بعد موت المتنبى بسنين مع القاضى أبى الحسن بن أم شيبان الهاشمى الكوفى ، وجرى ذكر المتنبى ، فقال : كنت أعرف أباه بالكوفة شيخا يسمى عبدان يسقى على بعير له ، وكان جعفيا صحيح النسب · قال : وقد كان المتنبى لما خرج الى كلب وأقام فيهم ادعى أنه علوى حسنى ·· » (٨٣) · وقد سماه أبو العلاء المعرى مرة بـ «الجعفى» ، هكذا من غير أن يذكر اسمه أو لقبه أو كنيته مما له دلالته التى سأشير اليها عما قليل (٩٤) · وجاء فى ترجمة ابن عساكر (٤٩٩ـ٥٧١ هـ) له فى كتابه «تاريخ دمشق » ان أبا الحسن على بن عيسى الربعى النحوى (وكان معاصرا للمتنبى ولقيه) (٩٥) قال : « الذى أعرفه من نسب أبى الطيب أنه أحمد بن الحسين بن مرة عبد الجبار الجعفى ، كان مولده بالكوفة سنة ثلاث وثلاثمائة ، وأرضعته امرأة علوية من آل عبيد الله »(٩٦)

وفى ابن خلكان انه « أبو الطيب احمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفى الكندى الكوفى المعروف بالمتنبى الشاعر المشهور ، وقيل : هو احمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار . والله أعلم ... ومولده فى سنة ثلاث ثلاثمائة بالكوفة فى محلة تسمى «كندة» فنسب اليها ، وليس هو من كندة التى هى قبيلة بل هو جعفى القبيلة .. ويقال ان أبا المتنبى كان سقاء بالكوفة ، ثم انتقل الى الشام بولده ونشأ ولده بالشام . والى هذا أشار بعض الشعراء فى هجو المتنبى حيث قال ...

أى فضــل لشــاعر يطلب الفضــ
ــل من النــاس بكـرة وعشيا (٩٧)
عاش حينــا يبيع فى الكــوفة المــا
ء وحينــا يبيع مــا المحيــا ؟

ولابن لنكك فى هجائه :

متنبيكــم ابن ســقاء كــوفا
ن ويوحى من الكنيف اليــه (٩٨) .

اما صاحب خزانة الادب فانه ينقل عن كتاب « ايضاح المشكل لشعر المتنبى» (وصاحبه هو أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الاصفهانى ، الذى عاصر ابن جنى وجعل كتابه هذا مقصورا على شرح ابن جنى لديوان المتنبى) قوله : « حدثنى ابن النجار ببغداد أن مولد المتنبى كان بالكوفة فى محلة تعرف بكندة بها ثلاثة آلاف بيت من بين رواء ونساج . واختلف الى كتاب فيه أولاد اشراف الكوفة ، فكان يتعلم دروس العلوية شعرا ولغة واعرابا فنشأ فى خير حاضرة ، وقال الشعر صبيا ، ثم دفع الى خيــر بادية بادية اللاذقية » (٩٩) . فهذا ماذكره معاصروه أى من سمعوا من معــاصريه عنــه .

ونخرج من هذه الروايات بأن شاعرنا قد ولد بالكوفة ، وأنه جعفى كندى ، وأن أباه كان سقاء ٠ والواقع أنى لا أجد فى هذه الروايات ما يجعلنى اردها ، ولا أوافق الاستاذ شاكر على تكذيبة للقاضى التنوخى لصلته بالوزير المهلبى ، الذى أغرى الشعراء بذم المتنبى لترفعه عن مدحه (١٠٠) ، فان هذه الصلة لاتكفى فى حد ذاتها لان تدفع هذا القاضى ليختلق للمتنبى مثل هذا النسب ،والا لبرز اسمه بين من هيجهم المهلبى على المتنبى حينما كان هذا فى بغداد ٠ ثم كيف يختلق الانسان لانسان نسبا غير نسبه ؟ وأين كان الذين يهمهم أمر المتنبى ويرون ان هذا النسب كاذب أريد به الحط من شأن الشاعر ، كابن جنى راويته وتلميذه وصديقه والمعجب به أشد الاعجاب أو على بن حمزة البصرى ، الذى كان من أعلام الادب فى عصره والذى نزل عنده المتنبى عندماقدم بغداد ،أوخادمه أبو بكر الشعرانى ، أو الجرجانى صاحب «الوساطة» وكان معاصرا له، أو المعرى ، الذى رأيناه يسميه بـ «الجعفى» ، هكذا باطلاق دليلا على أنه لايجد أية شبهة فى هذه النسبة فاستخدمها مجردة واثقا ان الناس بلا تردد ستفهم أنه يقصد المتنبى ؟ بل هل يمكن أن يجرؤ انسان ان يقول عن رجل ذى نسب شريف ان أباه كان سقاء ؟ ان من الممكن الغض من اخلاق انسان أو نتاجه الادبى ولكن من الصعب جدا التلاعب بنسبه هذا التلاعب وحوله من لابد أنهم يعرفون النسب الحقيقى أو على الاقل يعلمون أن ما يقوله هو ليس بالنسب الصحيح ٠

كذلك فات الاستاذ شاكر ان رواية التنوخى تخلو تماما من محاولة التحقير من شأن المتنبى تصريحا أو تلميحا ، بل على العكس تمدح عقله وفهمه وموهبته الادبية وحبه للعلم ، وتذكر بالخير جدته وتقول انها من صلحاء الكوفة ، وتصحح نسبته الى جعفى ، ونسبة جدته فى همدان ٠ وقد كان هذا القاضى يستطيع ، لو كان سىء النيه قاصدا الاهانة والذم ، ان يقول انه لايعرف له نسبا ٠ أما تشكيك الاستاذ شاكر فى القاضى ابن أم شيبان الذى روى عنه التنوخى روايته بأن هذا الشيبانى له صلة قريبة جدا بالمتنبى ومالقيه من العلويين (١٠١) فانه مجرد وهم من أوهامه

الكثيرة التى قد فرغنا منها من قبل بعد ان بينا ان المتنبى يستحيل أن يكون من العلويين الا ان يكون قد رضع منهم ، وهذا غير ذاك ٠ أما استبعاده ان يجرؤ التنوخى ، الذى كان ، كما يقول ، فى السابعة والعشرين من عمره على سؤال المتنبى ، الذى كان قد نيف على الخمسين عن نسبه ، لتعالى المتنبى وترفعه حتى على الخلفاء والوزراء وايضا لما يعلمه من صلة القاضى بالوزير المهلبى وتحققه بخدمته (١٠٢) فهو استبعاد على غير أساس ، فقد رأينا الحاتمى وهو من رجال الوزير المهلبى وكان من الكارهين للمتنبى يقصد اليه حيث هو ولم يسأله سؤالا هينا مثل هذا بل هاجم شعره واتهمه بالسرقة ، والمتنبى يرد عليه ويسمع منه حتى تصافيا فى نهاية الجلسة الطويلة ٠ ثم ماذا يقول فى الربعى ، الذى أورد سلسلة نسب المتنبى هكذا أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار الجعفى ؟ أيتهمه هو ايضا أنه صاحب ترة عند المتنبى وهو الذى قال ان امرأة من العلويين أرضعته ، ولو كان يقصد اليه اساءة ما ألحقه بالعلويين قط ولو رضاعة ؟ وما قوله ايضا فى ما قاله ابن النجار من ان مولد المتنبى كان بالكوفة فى محلة تعرف بكندة بها ثلاثة آلاف بيت من بين رواء ونساج ، وهو وان كان لايذكر صراحة مهنة أبيه فان كلامه يشير فى هذه الاتجاه باشارة واضحة وهو القول الذى أورده الاصفهانى معاصر ابن جنى ؟ انه يرى فى عدد الآلاف الثلاثة مبالغة تكذب جميعها (١٠٣) ، فهل عد الاستاذ شاكر بيوت الكوفة ووجد أن هذه نسبة عالية بالقياس الى عدد بيوت المدينة كلها ؟ثم ان الرجل لم يكن يتكلم من احصاءات مكتوبة أمامه ٠ وكثير من الاخبار القديمة المتعلقة بالارقام والاعداد والاحصاءات حتى عند أدق المؤرخين تحوطها المبالغات الشديدة ، ومع ذلك فليس الموقف الصحيح منها هو رفضها جملة لهذا السبب ٠

وأيضا من مذاهبه التى لا أدرى كيف توصل اليها أنه يقول ان الاصفهانى مورد رواية ابن النجار قد ألف كتابه الذى يتضمن هذه الرواية وهو كتاب «ايضاح المشكل» ، لبهاء الدولة أصغر أبناء عضد الدولة ، مضيفا قوله «فلعل بهاء الدولة هذا كان ممن يحقد على المتنبى اذ لم يمدحه ولم يذكره فى شعره (مع صغره اذ ذاك) فكتب الاصفهانى كتابه تقربا

وزلفى اليه » (١٠٤) ، فالامر كله كما ترى تخمينات وخيالات ، اذ لماذا يحقد بهاء الدولة على المتنبى ، وهو الذى مدح أباه وفضله على ملـــوك الارض ومدح أخويه الكبيرين ؟ (أما لماذا لم يمدحه فلانه كان طفلا لا دخل له فى أمر الحكم ولا الشعر وليس لان المتنبى تعالى على مدحه) • لقــد كان الأحرى بالأصفهانى ، لو صحت هذه الاوهام جدلا ، أن يجهد جهده فى تحقير شعر المتنبى ، لأن حقد بهاء الدولة (الموهوم) على المتنبى كان بسبب هذا الشعر •

كلذك مما يدل على ان المتنبى لم يكن ينتسب الى أسرة عالية القدر (على ما تواضع الناس فى هذه المسائل ، فانى لا أرى أيه غضاضة على الاطلاق فى أن يكون أبوه سقاء أو أدنى من ذلك ، مادام يكسب قوته بشرف ولم يقصر على قدر وسعه فى تربية ابنه وتعليمه واغداق الحنان عليه ، اذ ان علو القدر أو اتضاعه انما يكون بأخلاق الانسان وعقله وعلمه وأدبه وجده لابالاسرة التى ينتمى اليها أوالمال الذى ورثهولافضللهفيه) انالعميدى يتحدث عن نسب المتنبى الذى أوردناه بوصفه أمرا مقررا لاشبهة ولاشك فيـــــه • صــــحيح ان العميـــــدى قد ألف كتـــــابه : « الابانـة عن سرقات المتنبى » ليغض من شـــعره ، الا أنـــه كــان يســتطيع ، لــو أن قصده الاســـاءه المتنبى بكل ســبيل ، ان يعييـــه من جهة نســبه وان يطيــل القـــول فى ذلك ، لكنــــه لم يفعــــل ، بل أكــد ان نسب الشاعر لايضره فى شىء مع اشتهار ذكره كما لم يكن لتغنيه فى شىء جلالة نسبة مع ضعف أدبه • بل يقول ان « الادب يجعل الوضيع فى نسبه رفيعا •• •والمتنبى كان يفتخر بأدبه لابنسبه ويعتد بفضله لا بأهله » (١٠٥) كذلك فان سؤال الحاتمى الاستنكارى له حينما تجاهله فقـــام وهو مقبل عليه قبل ان يبلغه وانصرف حتى لايضطر الى الوقف له لمصافحته : «أبن لى ، عافاك الله ، ما الذى يوجب ما أنت عليه من العظمة والكبرياء ؟ وما الذى يوجب ما انت عليه من التجبر والتنمر ؟ هل ها هنا نسب فى الابطح تبحبحت فى بحبوحة الشرف وفرعت سماء المجد به ؟ » وعدم رد المتنبى عليه لماله دلالته التى لاتخفى (١٠٦) • ولايقالن ان الحاتمى يكذب ، والا لرد المتنبى وقال : « ان مثل هذا الكلام لم يوجهه الى وانى صاحب حسب ونسب » ، فانى لا أظن الرسالة الا ظهرت فى حياة المتنبى ، لانها ليست بحثا بل حكاية لما حدث بينهما وحتى لو كانت قد ظهرت بعدوفاة المتنبىفلملم

يرد على الحاتمى ابن جنى أو الجرجانى أو غيرهما من محبى الشاعر المعاصرين له ؟ وأيضا مماله دلالته أن المتنبى لم يكذب ما ذكره بعضهم فى شعره من أن أباه سقاء وهو ايضا (١٠٧) · لقد أبدى المتنبى احتقاره لهؤلاء الذين هاجموه ، وذكر أنهم لايستحقون أن يرد على هجانهم بهجاء مثله ، لانه لايحب ان يهبط من عليائه اليهم · لكننى لا أتحدث هنا عن مهاجاته لهم ، بل عن تكذيب ما ذكروه عن نسبه لو كان كذبا · وليس من المعقول ، لو كان ما ذكروه كذبا ، ان يسكت فلا يتحدث بذلك لاصدقائه ومحبيه وعارفى فضله ·

ان سلسلة نسب المتنبى تجعله جعفيا كنديا ، وان اختلاف رواياتها فى هذا الاسم أو ذاك لايقدح فيها ، اذ لو كانت مصنوعة لما وصلنا الا سلسلة واحدة ، أما هذا الاختلاف فهو دليل على ان الناس كلهم كانوا يعرفون أنه جعفى كندى وان اختلفوا فى أسم جده هذا أو ذاك · وليس نسب المتنبى بدعا فى هذا ، وبخاصة فى تلك الاعصر ، وعلى الاخص لانه لم يولد فى اسرة شهيرة محط لانظار الناس · وقد تصفحت سريعا الجزء الثانى من بروكلمان (وهو الجزء الذى فيه ترجمة المتنبى) فوجدت عددا من الشعراء والعلماء قد اختلف الرواة فى أسمائهم أوكناهم أو مولدهم أو أسماء آبائهم ··· الخ · فأبو العتاهية قالوا انه ولد فى عين التمر بالحجاز ، وقيل قرب الانبار (١٠٨) · وأبو الشيص الشاعر المشهور ذكروا أنه ابن عم الشاعر دعبل ، وقيل : بل كان عمه (١٠٩) · والشاعر أبو بكر الصنوبرى (المعاصر للمتنبى ، والذى كان مثله من شعراء سيف الدولة) رووا أن أسمه « محمد بن أحمد » ، وقيل : أحمد بن محمد (١١٠) وأبو الفرج الببغاء (وهو أيضا من شعراء سيف الدولة) قالوا انه : عبد الواحد بن نصر ··· الخ وقيل : عبد الملك بن نصر (١١١) · واختلفوا فى كنية سيبويه النحوى الشهير ، فقالوا : أبو بشر ، وقالوا : أبو الحسن (١١٢) · وأبو جعفر محمد بن أبى سارة الحسن الرؤاسى ، الذى قيل انه هو الذى أسس مدرسة النحو بالكوفة واستفاد الخليل من بعض مصنفاته ، اختلفوا فى الحسن أبيه ، فقالوا : بل «على» (١١٣) · والمفضل

الضبى اختلفوا فى كنيته فقالوا : أبو عبـــد الرحمن ، وقالـــوا : أبـــو العباس (١١٤) • ومثله محمد بن خلف بن المرزبان الدميرى البغدادى • قالوا فى كنيته : «أبو بكر» ، وقالوا : «أبو العباس» (١١٥) • وســـواء استطعنا تفسير بعض هذه الاختلافات بقولنا ان الكنيتين مثلا تدلان على ان صاحبهما كان يكنى بابنين له مختلفين أو لم نستطع ، فانه يبقى أمامنا ان هناك اختلافا فى سلسلة النسب وأن المتنبى لم يتفرد بهذا ، واننا لا نستطيع أن نشك فى نسب هؤلاء جميعا (وهم مجرد عينة عشوائية وجـد محدودة) ، وبخاصة أنه لم تكن هناك سجلات مواليد فى ذلك الزمان (بل اننا فى عصرنا حيث كل شىء يسجل أولا بأول فى الدفاتر الرســمية لا يستطيع الواحد منا الا فى الشاذ النادر أن يصعد فى سلسلة نسـبه لأبعد من الجد الثانى او الثالث) •

المتنبى اذن جعفى كندى ، فهو يمنى اذن ، ومع ذلك فانى لا أوافق د • النعمان القاضى ، رحمه الله ، فى تدليله على أنه يمنى الاصل على أساس بيته الذى يخاطب به الحسن بن اسحاق التنوخى متنصلا فيه من أن يكون قد هجاه كما أشاع عنه بعض الناس ، وهو :

ابت لك ذمى نخـــــوة يمينـــــة
ونفس بهـــــا فى مأزق أبدا ترمى (١١٦)

لان هذا فهم للبيت خاطىء ، اذ ان صاحب «النخوة اليمنية» هنا ليس هو الشاعر بل الممدوح ، فالنخوة هى الكبر ، ولايعقل أن يقول المتنبى لمدوحه التنوخى « ان نخوتى ، أى كبرى ، تمنعنى من ذمك » ، فهذا هجاء لا مدح لان معنى الكلام حينئذ هو أن فى المـــدوح ما يذم لكن المتنبى يعف عن ذكره • أما التفسير السليم للبيت فهو ما يقوله العكبرى من أن « تكبرك عن النقائص ونفسك التى ترمى بها أبدا فى المضايق من الحرب يأبيـــان ذمى لك » (١١٧) •

أما قول بلا شير انه كان طول حياته مقتنعا بأفضلية عرب الجنوب على عرب الشمال فهو قول متهافت ، فقد رأينا المتنبى يعلى من شأن كل واحد من ممدوحيه وأرومته على الناس جميعا حتى لو كان أعجميا ٠(١١٨) وهناك من يرى أنه كندى المحلة لا القبيلة (١١٩) ٠ أما القائلون بأنه كندى القبيلة فيبدو أنهم بنوا ذلك على أساس ان المحلة المسماة بهذا الاسم فى الكوفة فى ذلك الزمان انما سميت باسم القبيلة التى كانت تنزلها (١٢٠) ، وربما لانهم قالوا ان جعفيا هو جعفى بن سعد العشيرة،أبو حى من كندة وان أبا فراس قال له مرة ، «يا دعى كندة» (١٢١) ولهذا قال القدماء : « بدىء الشعر بكندة ، يعنون امرأ القيس ، وختم بكندة ، يعنون المتنبى » (١٢٢) ٠

أما كون أبيه سقاء فقد سبق أن رأينا ابن لنكك وغيره يذكرون ذلك على مسمع من المتنبى نفسه وأصدقائه ، ورأينا أنه لا المتنبى ولا أحد ممن يحبونه ويعجبون به وبشعره قد انبرى لتكذيب هذا الكلام ، بل أن الاشارة الى مهنة أبى المتنبى هذه قد حدثت فى بلاط سيف الدولة حين قال له أبو العباس النامى : كم تفضل على ابن عيدان السقاء ! (١٢٣) الا ان بعض المعاصرين يعتمدون فى تكذيبه على كون الثعالبى حين اورد أبيات ابن لنكك قد علق عليها بقوله : «زاعما» وأن ابن خلكان قدم الخبر هكذا : ويقال ان أبا المتنبى كان سقاء» (١٢٤) ٠ بيد أنه فات هؤلاء أنه لا الثعالبى ولا ابن خلكان قد ذكر لنا عمل أبى الشاعر الحقيقى ، ولا قدم لنا حيثيات رفضه لهذا الكلام أوشكه فيه ٠ كذلك فات هؤلاء ان الذين ذكروا هذه المهنة لابى المتنبى كانوا معاصرين له ، أى أسبق من الثعالبى وابن خلكان ، وان الخطيب البغدادى (وهو أسبق من ابن خلكان ، الذى ولد فى ٦٠٨ هـ على حين ولد هو سنة ٣٩٢ هـ ، وتعاصر مع الثعالبى احدى وثلاثين سنة ، اذ كان ميلاده ووفاته سنتى ٣٩٢ و ٢٦٣ هـ ، وميلاد الثعالبى ووفاته سنتى ٣٥٠ و ٤٢٩ هـ) لم يبد أى تشكك فى الرواية التى ساقها عن مهنة أبى المتنبى : السقاية قد يقال ان الثعالبى قد تقدم عليه فى الوجود بنحو أربعين سنة ، بيد أنه ينبغى ألا ننسى أنهما كليهما لم يريا المتنبى :

الخطيب البغدادى لأنه ولد بعد وفاة المتنبي بنحو أربعين عاما ، والثعالبى لانه عندما مات المتنبى كان عمره أربع سنوات • على كل حال كان ابن جنى مثلا أوالقاضى الجرجانى صاحب «الوساطة» أولى أن ينفى هذه القصة لو كانت غير صحيحة • أما استبعاد الاستاذ شاكر ان يتمدح ابن سقاء بالمكارم والعلا كما كان المتنبى يفعل دائما من مثل قوله عند هروبه من مصر :

فلمـــا انخنـــا ركـــزنا الرمـــا
ح بين مكارمنـــــا والعـــلا (١٢٥)

فليس بشيء فان الشعراء هم أكثر الناس دعوى • ومن قبل افتخر بشار مثلا بأنه من سلالة الملوك مع ان اباه كان طيانا ، وافتخر جرير بأبيه ولم يكن فيه مفتخر •

أما المازنى فانه يتشكك فى أن يكون والد المتنبى سقاء ، ولكنه لايذكر لنا أسباب شكه فى هذا (١٢٦) • ولايقدح فى أن أبا المتنبى كان سقاء انه كان يسمى «حسينا» و «عيدان» ، فالاسم الاول هو اسمه بينما الثانى لقبه • أما قول الاستاذ عمر فروخ ان لقب ابيه ، بناء على ما جاء فى قاموس الفيروزا بادى ، هو «عيدان السقاء» ـ «عيدان» بعين مكسورة بعدها ياء ، و«السـقاء» بتشـــديد الســـين وكسرها ، وفتح القـــاف فقط من غير تشديد) وان والد المتنبى كان فيما يبدو طويل الاطراف دقيقها ، ولذلك شبه بعيدان السقاء ، وهى العيدان أو العصى التى تنصب ليقـــام عليها السقاء ، فلا يكون حينئذ لهذا اللقب صلة بسقى الماء (١٢٧) ، فانه لايحسم القضية ، لاكثر من سبب : الاول أنه اذا كانت بعض الكتب تذكر لقب أبى المتنبى على هذا النحو فماذا فى تلك التى تقول انه « عبدان السقاء » («عبدان» بعين مفتوحة وباء ساكنة ، و «السقاء» بتشديد كل من السين

الاستاذ عمر فروخ هو الصواب الذى لا يأتيه الباطل
خلفه ، فكيف لصق هذا اللقب بأبى المتنبى الا اذا كان
كانت ساقاه كثيرا ما تنكشفان للناس حتى لفتتاهم
الى أن يخترعوا له لقبا بسببهما ؟ واذا عرفنا ان مه
التى تخطر على بالنا أول شىء لان السقاء دائما ما يـ
يبتل أسفل ملابسه ، وأنه كثيرا ما تشتق الالقاب من
تلقب اليوم مثلا أحد الجزارين بـ « المعلم كرشة » و
«الواد بلية») فماذا يكون رد الاستاذ فروخ ومن يتابعو
ان صح هذا الاستنتاج ، أنه كان يساعد أباه فى عـ
سبب قول بعضهم فى بغداد يهجوه :

أى فضـــــل لشـــاعر يطلب القـــ
ـــل من النـــاس بكـرة وعشـــ
عاش حينـــــا يبيـــع فى الكـــوفة المـــا
ء وحينـــــا يبيع مـــاء المحيـــا

ان كاتب هذه السطور لا مأرب له فى تحقير المتنبى فـ
فضلا لاحد على أحد الا بالتقوى والعمل الصالح ، وا
لاتسىء اليه عندى فى قليل أو كثير بل بالعكس ترفع ا
نظرى ، اذ انها لم تمنع اباه أن يهتم بتعليم ابنه على ما
المكاتب المختلفة ولم تمنع المتنبى أن يتفوق ويفرض اسـ
وحدهم بل على الاجانب ايضا ، ولا أدل على ذلك من
وآخـــر انجليزيا يؤرخ كل منهما لاداب العالم يذكران ،
العرب القلائل الذين يؤرخان لهم ، أبا الطيب المتنبى (ا

الآراء اقناعا لى (مع احتمال أن اكون مخطئا طبعا ، فما أنا بعد الا بنشر أصيب وأخطىء ، ولكن العبرة بالاقتناع ولا على بعد ذلك اذا أخطأت) ٠

ومهما يكن مقطع الحق فى هذا كله فقد كانت أسرة المتنبى فقيرة ٠ وأغلب الظن أن هذا أحد الاسباب فى عدم ترحيبه بالاجابة على من يسأله عن نسبه ، معللا ذلك بأنه يخاف ان انتسب أن يكون بين أحد من قبيلته وأى انسان آخر ثأر فيأخذه بهذا الثأر ٠ وهناك عدة أبيات ذات دلالة خطيرة وردت فى قصيدة يمدح بها أبا عبيد الله محمد بن عبد الله القاضى الانطاكى وهى :

ومدقعين بسبروت صحبتهمو
عارين من حلل كاسين من درن

خراب بادية ، غرثى بطونهو
مكن الضباب لهم زاد بلا ثمن

(مكن : بيض)

يستخبرون فلا أعطيهمو خبرى
وما يطيش لهم سهم من الظن

وخلة فى جليس أتقيه بها
كيما يرى أننا مثلان فى الوهن

وكلمة فى طريق خفت أعربها
فيهتدى لى فلم أقدر على اللحن

وارجح أنها تشير الى أيام صعلكتة واشتراكه مع أمثال هؤلاء المجرمين الذين تتحدث عنهم الابيات فى قطع الطريق ، فهو لايريد أن يعرفوا حقيقته ربما لانه كان يقدر ان مستقبله انما هو فى دنيا الادب وأن أيام الفقر والتشرد والصعلكة انما هى غمامة سوداء عابرة فى سماء حياته وبقعة

ينسبه ينبغى أن يزيلها من ثيابه ، وربما أيضـــا لانه كانت تدور بينــه وبين قطاع الطرق هؤلاء معارك وقتالات فهويريدان يحتفظ بشخصيته غامضة حتى لايعرف فينتقم منه لاعتداءات وقعت منه قبلا ، ولكن لماذا اذن أشاراليها هنا؟ أما لو أخذنا بتعليل المتنبى فانه كان ينبغى على كثير جدا من العرب ان يخفوا أنسابهم ،لان هذا الاحتمال كان قائما فى حالة كل واحد منهم ٠ من هنا فانى أضيف الى هذا السبب سببا آخــر هو فقر أسرته وضالة مهنة والده من ناحية الوجاهة الاجتماعية ٠ ومن هنا فانه حتى شعره (حيث لا خوف عليه من ذكر نسبه) يخلو خلوا تاما من ذكر اسم أبيه أوجده أو حتى اسم جدته ، التى رثاها رثاء حارا ورائعا ، بل وأيضا أسم زوجته وابنه (أو أبنائه ؟) ٠ لقد كان من رأيه ، كما رأينا قبلا ، أن قيمة الفتى فى نفسه ، ومع ذلك فانه فى مدائحه كان حريصا بشكل دائم أو شـــبه دائم على ان ينسب ممدوحه الى أبيه وربما الى جده ايضا وقبيلته ٠ وقد تكرر ذلك عشرات المرات ٠ فهذا «ابن أسحاق» ، وذاك «ابن منصـــور» والثالث «من عجل» ، والرابع «ابن على» ، والخامس «ابن أبى سليمان»، والسادس «ابن عبد الله» ، والسابع «ابن أحمد» ، والثامن «أبوه من أشرف بيت فى لؤى بن غالب » ، وهؤلاء «بنو عجل» ، وغيرهم «بنو عبد العزيز بن الرضا» ، وأولئك بنو أوس بن معد بن الرضا ، وهذا أخو أبيه معاذ ، وهذا ابن يحيى بن الوليد ، وآخر «سيار بن محمد » ، وغيره «تميم بن مر» ، أما ذاك «فتغلب بن داود» ، وذلك « أبو الهيجا بن حمدان وحمدان حمـــدون وحمدون حارث وحارث لقمان راشد ٠٠ الخ ، الخ » ٠ حتى ملك الروم ينسبه الى أبيه فيقول : «ابن لاون» ، بل انه فى احدى قصائده يفترض امكان انتساب نوائب الدهر :

عرفت نـــوائب الحــــدثان حتى
لو انتســـبت لكنت لهـــا نقيبـــا

ولكنه عندما يأتى الى نفسه لايذكر أبا ولاجدا (وفى المرة الوحيدة التى ذكر اسم نفسه (وكان ذلك فى صباه) نجده لايشفعه باسم أب أو قبيل يقول :

جمعت بين جسم أحمد والسقـ
ـم وبين الجفون والتسهيد)

بل يتركه لصدور الرماح ان تنسبه لمن يجهله :

جهلوني وان عمرت قليلا
نسبتني لهم صدور الرماح

والملاحظ أن الممدوح الوحيد تقريبا الذى وقف منه فى موضوع النسب نفس موقفه من نفسه هو كافور الاخشيدى ، اذ قال له :

ويغنيك عما ينسب الناس أنه
اليك تناهى المكرمات وتنسب

فعلام يدل هذا ؟ الا يدل على أنه ، ككافور ، لايجد فى نسبه (على حسب العرف الاجتماعى) ما يدفعه الى ذكره ؟

صحيح أنه قد كرر على مسامع ممدوحيه ما قاله عن نفسه من ان قيمة الانسان تكمن فى ذاته هو ، مثل قوله من قصيدة يمدح بها أبا القاسم طاهر بن الحسن العلوى :

اذا لم تكن نفس النسيب كأصله
فماذا الذى يغنى كرام المناصب ؟

ولكنه فى نفس القصيدة نسب ممدوحه الى الفاطمين مرة :

كذا الفاطميون الندى فى بنانهم
أعز امحاء من خطوط الرواجب

والى أبيه على مرة أخرى :

نصرت عليـــــا يا ابنـــــه ببـــواتر
من الفعل لافـــــل لهـــــا فى المضـــارب

والى رسول الله ﷺ وعلى ختنه كرم الله وجهه ثالثة :

هو ابن رســـول الله وابن وصـــيه
وشـــبههما شـــبهت بعـد التجـارب

وأخيـرا الى اشرف بيت فى لؤى بن غالب :

فحييت خيـــر ابن لخيـــر أب بها
لأشرف بيت فى لـــؤى بن غـــالب

وهو نفس ما فعله فى مدحتــه فى أبى عبيـد الله محمد عبد الله القاضى الانطاكى اذ قال :

أفعـــاله نسب ....

ليقول بعدها مباشرة تكملة للبيت :

... لـــو لم يقـــل معهـــــا
جدى الخصيب عرفنـــا العـرق بالغصـن

وقبله بستة أبيات :

ألقى الكـــرام الألى بادوا مكـــارمهم
على الخصـــيبى عنـــد الفرض والسـنن

وبعده بخمسة أبيـــات :

كان مال ابن عبـــد الله مغتـــرف
من راحتيه بأرض الـــروم واليمن (١٣١)

(هوامش الفصـــل الاول)

(١) المتنبى بين ناقديه سى القديم والحديث ص ٣٢٦ .

(٢) انظر مثلا « يتيمة الدهر» جـ/١ ص ١٢٦ ـ ١٣٢ ، وابن عساكر وابن العديم فى شاكر / السفر الثانى ص ٣١٣ وما بعدها وص ٢٤٩ دصاعدا ،«تاريخ بغداد» جـ/١ ص ١٠٢ ـ ١٠٥ ، «وفيات الاعيان » مجلد/ ٤ ص ١٠٢ـ١٠٥ ، «وخزانة الادب » جـ/٢ ص ٣٤٧ـ٣٤٩ الخ .

(٣) انظر طه حسين . مع المتنبى ص ١٤،٢٢،٢٥،٣٢،٨٩، ومحمود شاكر/المتنبى/السفر الثانى ص ٣٥ـ٧٩ ، وانظر د . محمد عبد الرحمن شعيب / المتنبى بين ناقديه ص ٣٢٦ـ٣٢٧ ، ود . مصطفى الشكعة / أبو الطيب المتنبى فى مصر والعرافين ص٢١ـ٢٤ وبخاصة ص ٢٣ حيث يصف فزعه الشديد هو وزملائه لما زعمه استاذهم فى الجامعة طه حســين فى كتابه المشار اليه وفى محاضراته بعد ذلك على مدار سنوات من أن المتنبى ولد من سفاح ، وزهوه بأنه أول من اكتشف هذا الامر . ومن المهم هنـا أن نذكر ما قاله د . الشكعة من أن فزعه هو وزملائه لم يكن مداره حب المتنبى أو اعجابهم بشــعره بل حبهم للحقيقة ، التى أصابها استاذهم فى مقتل .

(٤) هـ ع المتنبى ص ٨،٩ .

(٥) مع المتنبى ص ٩ـ١٠ .

(٦) المرجع السابق ص ١٠ .

(٧) انظر ايضا «مع المتنبى» ص ٢٧٨ـ٢٧٩ .

(٨) السابق ص ١٢ ٠

(٩) السابق ص ١٣ ٠

(١٠) السابق ص ٢٠ ٠

(١١) السابق ص ٢٠ ٠

(١٢) السابق ص ٢٠ ٠

(١٣) مع المتنبى ص ١٢ ، ١٣ ٠

(١٤) المرجع السابق ص ١٩ ٠

(١٥) أنظر مثلا ص ٤٢،٤٥،٤٦ ٠

(١٦) مع المتنبى ص ٧٢-٧٣ ٠

(١٧) العكبرى ٠ جـ/٢ ص ٣٣٤ ٠

(١٨) مع المتنبى ص ١٢ ٠

(١٩) الســـابق ص ١٥ ٠

(٢٠) الســـابق ص ٢٢ ٠

(٢١) السابق ص ١٦ ٠

(٢٢) السابق ص ٢٢ ٠

(٢٣) أبو الطيب المتنبى فى مصر والعراقين ص/٢٤

(٢٤) مع المتنبى ص ١٤ ٠

(٢٥) وأنظر العكبرى ٠ جـ/٢ ص ٢٦٧ ٠

(٢٦) مع المتنبى ص ١٥ ٠

(٢٧) الســـابق ص ١٦ ٠

(٢٨) انظر فى أخبار الناشىء فى مصر وتلمذة المتنبى عليه فى الكوفة «المتنبى فى مصر والعراقين » ٠ ص ٣٠٧ـ٣٠٨ ٠ وانظر كذلك شاكر / المتنبى / السفر الاول ص ١٢٢ ، حيث يذكر سماع المتنبى شـــعر الناشىء وكتابته اياه مع الكاتبين فى المسجد الجامع بالكوفة سنة ٣٢٥ هـ، أى عندما كان سن المتنبى اثنتين وعشرين سنة ٠

(٢٩) العكبرى جـ ٣ ص ٢٧٠ ٠

(٣٠) مع المتنبى ٠ ص ٢٢ ٠

(٣١) انظر مع المتنبى ٠ ص ٣٤ ـ ٣٥ ، ٤٥، ٤٧ ٠

(٣٢) المتنبى / السفر الثانى ٠ ص ٩١ ٠

(٣٣) مع المتنبى ٠ ص ٢٤ ٠

(٣٤) السابق ٠ ص ٢٥ ٠

(٣٥) وهو يقصد بها جدته ، على ما يقول د ٠ عزام انظر « ذكرى أبى الطيب بعد الف عام » ٠ ص ٣٨ ٠

(٣٦) شاكر/المتنبى/السفر الثانى ٠ ص ٢٥١ـ٢٥٢ ٠

(٣٧) انظر ترجمة المقريزى للمتنبى ٠ ص ٣٤٣ من المرجع السابق٠

(٣٨) انظر شاكر / السفر الثانى ص ٣٠٩،٣٥٩ـ٣٦٠ ٠

(٣٩) أورد طه حسين هذا الخبر فى كتابه « تجديد ذكـــرى أبى العلاء » ص ٥٣ مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر ١٩٣٧ ٠ وانظـــر انيس المقدس / أمراء الشعر فى العصر العباسى ٠ ص ٣٩٣ والقصة فى «معجم الادباء » جـ/١ ص ١٧٠ ٠

(٤٠) العكبرى ٠ جـ ٢ ص ٢٩٢ فى تقدمته للابيات التى فيها الاشارة الى مقتل هذا الغلام ٠

(٤١) انظر «تاريخ بغداد» ٠ ص ١٠٤ ٠

(٤٢) انظر رسالة الحاتمى (فى ذيل «الابانة عن سرقات المتنبى» للعميدى) ص ٢٥٣ـ٢٥٦ ٠

(٤٣) انظر التعريف به ص ١٥ من كتـــــابه «الابانة عن سرقات المتنبى » ٠

(٤٤) السابق ص ٢٦٩ـ٢٧٠ ٠

(٤٥) انظر د ٠ الشكعة / ابو الطيب المتنبى فى مصر والعراقين ٠ ص ٢٤ ٠

(٤٦) محمود شاكر / المتنبى / السفر الاول ٠ ص ٤٥ـ٤٦ ٠

(٤٧) السابق ص ٤٢ ٠

(٤٨) المتنبى / السفر الأول ٠ ص ٤٤ ٠

(٤٩) السابق ٠ ص ٤٥ ٠

(٥٠) السابق ٠ ص ٣٨ ٠

(٥١) السابق ٠ ص ٥٦ ٠

(٥٢) السابق ٠ ص ٤٢ ٠

(٥٣) د ٠ محمد عبد الرحمن شعيب / المتنبى بين ناقديه ٠ ص ٣٢٩ ٠ وقد حذفت بعد قوله : «ألم يجد العلويين بعد من شهرة الرجل وبعد صيته » عبارة : « بل ومن مناصرته لهم وتشيعه لدعوتهم » ووضعت مكانها ثلاث نقط ، لان شيعيته دعوى سأناقشها فى فصل لاحق ، وخفت ان يفهم من ابقائى هذه العبارة أني أوافق على مضمونها ٠

(٥٤) أنظر السابق ٠ ص ٥٧ـ٥٩ ٠

(٥٥) السابق ٠ ص ٥٩ـ٦٠ ٠

(٥٦) السابق ٠ ص ٦٠ـ٦١ ٠

(٥٧) السابق ٠ ص ٥١ـ٥٢ ٠

(٥٨) «يتيمة الدهر» ٠ ج ١ ٠ص٠ ١٣١ ٠

(٥٩) العكبرى ٠ج/٢ ٠ ص ٣٧٠ ٠ ولاحظ أنه قال ذلك وهو حديث عهد بالصعلكة ، اذ كان عند أبى العشائر لم ينتقل بعد الى سيف الدولة ، فان القصيدة التى ورد فيها هذا البيت هى فى مدح أبى العشائر ٠

(٦٠) المتنبى ٠ السفر الاول ٠ ص ٧٠ ٠

(٦١) انظر د ٠ درويش الجندى / الشعر فى ظل سيف الدولة ٠ ص ٥٥،٧٣،٧٤،٧٥،٧٧، و د ٠ الشكعة / سيف الدولة الحمـــدانى أو

مملكة السيف ودولة الاقلام ٠ ص ٣٠١_٣٠٢ ، و / فنون الشعر فى مجتمع الحمدانيين ٠ ص ٦٩_٧٠،٨٤،٨٩،٩٠

(٦٢) المتنبى/السفر الاول ٠ ص ١٨٢_١٨٣ ٠

٦٣ ـ السابق ٠ ص ١٨٦ ٠

(٦٤) انظر مثلا «الصبح المنبى» ٠ ص ٨٩ ٠

(٦٥) المتنبى/السفر الاول ص ١٨٩_١٩١ ٠

(٦٦) المرجع السابق ٠ ص ٢١٨ ٠

(٦٧) المتنبى / السفر الاول ، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ ٠

(٦٨) السابق ٠ ص ٢٢١ ٠

(٦٩) السابق ٠ ص ٢٢٢_٢٢٣ ٠

(٧٠) السابق ٠ ص ٢٥٦ ٠

(٧١) السابق ٠ ص ٢٧٣ ٠

(٧٢) السابق ٠ ص ٢٧٨_٢٨٣ ٠

(٧٣) المتنبى/السفر الاول ٠ ص ٥١ ٠

(٧٤) المتنبى / السفر الثانى ٠ ص ٨٠ ٠

(٧٥) السابق ٠ ص ٨١ ٠

(٧٦) سورة «الشعراء» / ٢٢٤ـ٢٢٦ ٠

(٧٧) بروكلمان / تاريخ الادب العربى ٠ جـ ٢ ٠ ص ٦٢ ٠

(٧٨) انظر بروكلمان ٠ جـ ٢ ٠ ص ٦٢ ٠

(٧٩) انظر مثلا فائدة من هذه الفوائد بهامش/١ ص/١٠ من كتاب العميدى/الابانة عن سرقات المتنبى ٠

(٨٠) انظر بروكلمان ٠ جـ ٢ ص ١٩٤ ٠

(٨١) انظر فى ترجمة برولكمان ٠ جـ ٠ ص ١٠٠ ٠

(٨٢) العكبرى ٠ جـ ١ ٠ ص ٣٥٥ ٠

(٨٣) السابق ٠ جـ ٢ ٠ ص ١٥٧ ٠

(٨٤) السابق ٠ جـ ٤ ٠ ص ٩٥ ٠

(٨٥) شاكر/المتنبى/السطر الاول ص ٢٨ـ٣٢ ٠

(٨٦) محمود شاكر/المتنبى/السفر الثانى ٠ ص ٢٥٢ هامش ٢ ٠

(٨٧) د ٠ الشعكة/أبو الطيب المتنبى فى مصر والعراقين ٠ ص ٢٤ـ٢٥ ٠

(٨٨) أنظر فى أخبار الامام محمد بن الحسن العسكرى مثلا «القاموس» الاسلامى» لاحمد عطيه الله ، مواد : « اثنا عشرية» و «الحجة» «والحسن العسكرى» ، وكتاب «الفرق بين الفرق » للبغدادى ٠ ص ٤٧ ، «والاعلام» للزركلى ٠ مادة «المهدى المنتظر» ، «والملل والنحل» للشهرستانى جـ ١ ٠

ص ١٧١ ، و «الغلو والفرق الغالية فى الحضارة الاسلامية » للدكتور عبد الله سلوم السامرائى ٠ ص ١٦٩ ٠

(٨٩) د ٠ الشكعة ٠ ص ٢٦ ـ ٣١ ٠

(٩٠) انظر مثلا الشهر ستانى ص ١٧٠ـ١٧١ حيث يورد رأى احدى الفرق الامامية الا ثنى عشرية فى جعفر والحسن ابنى على محمد التقى الامام العاشر ٠

(٩١) يتيمة الدهر ٠ جـ ١ ٠ ص ١٢٩ ٠

(٩٢) السابق ٠ جـ ١ ٠ ص ١٢٨ ٠

(٩٣) تاريخ بغداد ٠ مجلد ٤ ٠ ص ١٠٢ـ١٠٤ ٠ وقد نقله عنه فيما يبدو البديعى (المتوفى ١٠٧٣ هـ) ٠ ص ٢٠ ٠

(٩٤) رسالة الغفران ٠ ص ٥٣٠ ٠

(٩٥) انظر محمود شاكر/المتنبى/السفر الثانى ٠ ص ٢٥٢ ٠

(٩٦) السابق/السفر الثانى ٠ص ٣١٤ ،وانظر أيضا ما ذكره ابن العديم عن الربعى هذا نفس المرجع ٠ ص ٢٥٢ ٠

(٩٧) وفيات الأعيان ٠ جـ ١ ٠ ص ١٠٢ ، ١٠٥ ٠

(٩٨) «الصبح المنبى» ٠ ص ١٤٥ ٠ وانظر شاكر ، السفر الاول ٠ ص ٣٣ ٠ وانظر رواية أوردها ابن العديم عن شريف دخل على مجلس فيه المتنبى فنهض الحاضرون الا اياه فجعل كل واحد يسأله عن الأحوال فى الكوفة ، فلما سأله المتنبى عن الأسعار هناك قال يعرض بمهنة أبيه : كل

رواية برطلين خبز (والرواية هى قربة الماء) · انظر شاكر/السفر الثانى ص ٢٨٢ـ٢٨٣ ·

(٩٩) البغدادى / خزانة الادب · جـ ٢ · ص ٤٧ ، وانظر أيضا المقريزى (٧٧٦ـ٨٤٥ هـ) ، الذى يورد عددا من الروايات عن نسب المتنبى بما لايخرج عن ذلك · شاكر/السفر الثانى · ص ٣٤١ـ٣٤٤ ·

(١٠٠) السابق/السفر الاول · ص ٢٠ ·

(١٠١) السابق/السفر الاول · ص ٢٠ ·

(١٠٢) السابق/السفر الاول · ص ٢٠ ·

(١٠٣) السابق/السفر الاول · ص ١٨ ·

(١٠٤) السابق/السفر الاول · ص ١٨ـ١٩ ·

(١٠٥) نفسه ص ٢٢٠ـ٢٤٠ ·

(١٠٦) انظر الرسالة الحاتمية فى ذيل « الابانه عن سرقات المتنبى» ص ٢٥٤ـ٢٥٥ ·

(١٠٧) انظر فى هذه الاشعار « الصبح المنبى » · ص ١٤٤ـ١٤٥، وكذلك محمود شاكر / المتنبى / السفر الاول · ص ٣٣ · والشاعر هو ابن لنكك ·

(١٠٨) ص ٣٤ ·

(١٠٩) ص ٦٩ ·

(١١٠) ص ٩٧ ·

(١١١) ص ٩٨ ٠

(١١٢) ص ١٣٤ ٠

(١١٣) ص ١٩٧ ٠

(١١٤) ص ٢٠١ ٠

(١١٥) ص ٢٣٩ ٠

(١١٦) د ٠ النعمان القاضى / كافوريات أبى الطيب ٠ دراسة نصية ص ٧٠ ٠

(١١٧) العكبرى ٠ جـ ٤ ٠ ص ٥٨ ٠

(١١٨) انظر مادة « المتنبى » لبلاشير ، فى The Encyclopaedia of Islam. جـ / ٢ ص ٧٨١ ٠

(١١٩) انظر مثلا ابن خلكان ٠ جـ ١ ٠ ص ١٠٥ ، وفصل «التعريف بأبى الطيب المتنبى » فى ذيل شرح العكبرى للديوان ٠ جـ ٤ ٠ ص ٣٨٦ ٠

(١٢٠) انظر شفيق جبرى / وطن المتنبى / مجلة المجمع العـــلمى العربى بدمشق ٠ مجلد ٠ جـ ٥ أيار سنة ١٩٣٠ ٠ ص ٢٧٧،٢٧٩ ٠

(١٢١) انظر فى نسب جعفى هذا بطرس البستانى / محيط المحيط/ مادة «جعف» وانظر كذلك «أيام العرب فى الجاهلية » لمحمد احمد المولى وعلى محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل ابراهيم ٠ ص ١٣٢ ٠ هـ ١ ، حيث ورد « بنو الحارث وسعد العشيرة وجعفى وزبيد فى مذحج » ، وص ٤١١ حيث ورد أن مذحج وكندة قبيلتان تتفرعان من كهلان ، الذى نسب اليه ابن خلكان «جعفى» جد المتنبى الاعلى ، وان كان قد نفى أن يكون

المتنبى من كندة ٠ جـ ١ ٠ ص ١٠٥ ، وحيث ذكرت «السكون» بوصفها واحدة من بطون كندة ٠ والسكون هذه كانت محلة فى الكوفة ، وقد ذكرها المتنبى فى بيت له بوصفها من مغانى صباه وذلك فى قوله (برواية الواحدى) :

امنسى السكون وحضر موتا ووالدتى وكندة والسبيعا ٠

ويورد جورجي زيدان (فى «العرب قبل الاسلام » ص ٢٠٣٠) قائمة موجزة بالقبائل اليمنية اعتمد فيها على ما قاله نسابو العرب ٠ وفيها مذحج وكندة تنتميان كلاهما الى كهلان ٠ وفى «تاريخ اداب اللغة العربية ٠ جـ ٢ ٠ ص ٢٤٨ يقول عن المتنبى انه كندى المحلة لا القبيلة ، فالمتنبى اذا اخذنا بالتفرقة الصارمة بين مذحج وكندة ان لم يكن كنديا صميما فهو من ابناء عمومتهم ، وهو على كل حال يمنى ٠ أما ان اخذنا بما قال البستانى فهو كندى ٠ وعلى كل حال فيبدو ان هذه التصنيفات ليست مجمعا عليها ٠ ونظرة واحدة الى ص ١٣٢ ، ٤١١ وما شابهها فقط تبين ذلك ٠ وهو على كل حال قد ذكر فى البيت السالف من مغانى صباه ، التى سميت باسماء من ينزلها من القبائل «كندة والسبيع» (وهذه الاخيرة بطن من كندة) ٠ وانظر «القاموس الاسلامى» لعطيه الله جـ ١ مادة «جعفى» حيث يتفق مع البستانى فى شىء ومع مؤلفى «أيام العرب» فى شىء آخر ، اذ يجعل «جعفى» ابن سعد العشيرة ولكنه ينتهى به الى كهلان ولايذكر شيئا عن كندة ومثله الزركلى فى «الأعلام» نفس المادة ، مما يدل على صحة ما قلت من أن هذه التقسيمات غير دقيقة تماما ٠

(١٢٢) شفيق جبرى / وطن المتنبى / مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ٠ مجلد ١٠ جـ ٥ ٠ آيار سنة ١٩٣٠ ٠ ص ٢٧٩ ٠ وانظر كذلك د ٠ النعمان القاضى ، الذى يعرض الرايين كليهما ص ٦٩ـ٧٠ ٠

(١٢٣) انظر مثلا ابن عساكر فى شاكر ٠ السفر الثانى ٠ ص ٣٢٢ ٠

(١٢٤) انظر مثلا ابراهيم العريض / فن المتنبى بعد الف عام ٠ ص ٥٩ ، وانيس المقدسي / امراء الشعر فى العصر العباسى ٠ ص ٣٤٨ ـ

٣٤٩ ، د · النعمان القاضى ص ٦٦ـ٦٧ ·

(١٢٥) شاكر / السفر الاول · ص ٢٦٩ ·

(١٢٦) حصـاد الهشيم · ص ١٤٠ ·

(١٢٧) انظر عمر فروخ / عبقرية اللغة العربية · ص ٣٠ـ٣١ ، ٦٢ـ٦٣ ، «والقاموس المحيط» للفيروزابادى · مادة «عـود» ، وابراهيم العريض · ص ٥٩ ، وجوزف الهاشم / أبو الطيب المتنبى · ص ١٦ ، ود· النعمان القاضى · ص ٦٧ ·

(١٢٨) انظر «تاج العروس» مادة «عود» وشاكر / المتنبى / السفر الثانى · ص ٢٥٠ ، ٢٥١ ، و «الصبح المنبى فى حيثية المتنبى » للبديعى ص ٢٠ هامش ١ ·

(١٢٩) ابن خلكان · ص ١٠٥ ·

(١٣٠) الكتابان هما : Panorama des Littératures : لصاحبه Léon Theorens ص ٧٦ ـ ٧٧ · و The Penguin companion to Literature by D.R. Dudley & D.M. Lang (Classical & Byzantine & African Literature). ص ٢٨٣ـ٢٨٤ · وهذان مجرد مثالين عابرين ، والا فانه ما من كتـاب عن الادب العربى يكتبه أى مستشرق وما من موسوعة محترمة الا ويحتل المتنبى فيه أو فيها مكانا بارزا ·

(١٣١) وانظر فى هذا ايضا د · مهدى علام / دراسات أدبية · ص ٢٦ـ٣٠ ·

الفصل الثانى

حبســـه

حبس المتنبى : هذا مالايشك فيه أحد ، لسبب بسيط هو أنه هو نفسه يتحدث عن هذا فى شعره ، فى أكثر من مقطـوعة · ولكن الذى حيـــر الباحثين وأثار الخلاف بينهم هو سبب حبسه · وهناك عدة تفســـيرات لدخوله السجن حيث قضى فيه عامين كان متماسكا فى بدايتهما ، ثم انقلب ساخطا حانقا فراجيا الوالى ان تأخذه الشفقة به ويمن عليه باطلاق سراحه، فتفسير يقول انه تنبأ ، وثان يقول انه قاد ثورة سياسية ، وثالث لايحـدد شيئا صريحا ، مكتفيا باشارته الى «الفضول الذى نبز به ، ورابع يقول : بل حبس بسبب علويته · وسبب هذه الحيرة أن المتنبى لم يذكر فى شـعره سبب حبسه ، ولا وصلتنا وثيقة تاريخية مسجلة فى نفس الوقت الذى دخل فيه المتنبى السجن · وأقدم ماوصلنا عن هذا الامر ما قاله ابن جنى فى شرحه لديوان المتنبى ، ونصه : « وكان قوم قد وشوا به الى السلطان فى صباه وتكذبوا عليه وقالوا له : قد انقاد له خلق كثير من العرب ، وقد عزم عـــلى أخـــذ بلـــدك ، حتى أو حشـــوه منه فاعتقلــــه وضـــيق عليه » (١) · وماجاء فى «يتيمة الدهر» للثعالبى ، الذى سبق أن ذكرنا أنه ولد قبل وفاه المتنبى بأربعة أعوام ، من أنه « بلغ من كبر نفسه وبعـد همته أن دعا الى بيعته قوما من رائشى نبلـــه ، على الحداثه من ســـنه والغضاضة من عوده · وحين كاد يتم له أمر دعوته تأدى خبره الى والى البلدة ورفع اليه ماهم به من الخروج ، فأمر بحبسه وتقييده ·· » (٢) · والملاحظ ان الثعالبى لايحدد شيئا ، بل يتكلم عن بيعة ونية فى الخروج ، أى بيعة ؟ وأى خروج ؟ لاتوضيح · فهذا ما قاله الثعالبى نفسه ، وان كان قد ذكر بعد ذلك أنه « يحكى أنه تنبأ فى صباه ، وفتن شرذمة بقوة أدبـــه وحسن كلامه » ، هكذا بصيغة المبنى للمجهول مما يدل على أنه مجـــرد حاك للكلام غير معتقد فى صحته · ويؤكد هذا الفهم أنه ساق عقب ذلك ما حكاه أبو الفتح بن عثمان عن المتنبى فى سبب تلقيبه بهذا اللقب وأنه يرجع

ألى تشبيه نفسه من أهل البادية الذين عاش بينهم فى صباه وشبابه زمنا بالأنبياء مع أقوامهم (٣) . كما يؤكد ذلك أنه يعود فيقول : « ومازال فى برد صباه الى ان أخلق برد شبابه وتضاعف عقود عمره يدور حب الولاية والرياسة فى رأسه ، ويظهر مايضمر من كامن وسواسه فى الخروج على السلطان والاستهتار بالشجعان والاستيلاء على بعض الاطراف .. » (٤). وفى هذا النص الاخير نشيم أن الثعالبى يرى ان المتنبى كان فى نيته القيام بثورة مسلحة للوصول الى الحكم .

وفى رسالة ابن القارح الى أبى العلاء المعرى ان القطربلى وابن أبى الأزهر قد حكيا فى كتاب صنفاه سويا أن المتنبى أخرج ببغداد من الحبس الى مجلس أبى الحسن على بن عيسى الوزير رحمه الله ، فقال له : أنت أحمد المتنبى ؟ فقال : أنا أحمد النبى . وكشف عن بطنه فأراه سلعة فيه ، وقال : هذا طابع نبوتى وعلامة رسالتى فأمر بقلع جمشكه (خفه) وصفعه به خمسين ، وأعاده الى محبسه » (٥) ، فرد أبو العلاء بأنه قد يجوز مثل ما ذكره القطربلى وابن أبى الازهر ، وان لم يعرف عن المتنبى انه حبس بالعراق ، بل بالشام . ثم مضى فقال : « وحدثت أنه كان اذا سئل عن حقيقة هذا اللقب قال : هو من النبوة ، أى المرتفع من الارض . وكان قد طمع فى شىء قد طمع فيه من هو دونه وانما هى مقادير يديرها فى العلو مدبر يظفر بها من وفق ولايراع بالمجتهد ان يخفق » (٦) . فها هو ابن القارح يحكى عن كتاب للقطربلى وابن أبى الازهر ان المتنبى ادعى النبوة ببغداد وأنه حبس هناك ، وقد استغرب المعرى فى رده ، كما رأينا ، حكاية حبس المتنبى فى بغداد ، اذ المشهور المتعارف أنه سجن فى الشام .

ولكن ما هذا الشىء الذى ذكر المعرى أنه طمع فيه ؟ أهو النبوة أم الرئاسة ؟ وهل عبارته التى تلت ذلك وهى « (كان قد طمع فى شىء) طمع فيه من هو دونه ، وانما هى مقادير يديرها فى العلو مدبر يظفر بها من وفق ولايراع بالمجتهد أن يخفق » يقصد بها النبوة ؟ ان كلام المعرى اذن خطير جدا . والظاهر انه يقصد به البنوة ، فقد قال بعد ذلك ما نصه : « حدثنى الثقة عنه (عن المتنبى) حديثا معناه : أنه لما حصل فى بنى عدى وحاول ان

يخرج فيهم قالوا له وقد تبينوا دعواه : ها هنا ناقة صعبة ، فان قدرت على ركوبها أقررنا أنك مرسل ، وأنه مضى الى تلك الناقة ، وهى رائحــة فى الابل ،فتحيل حتى وثب على ظهرها ،فنفرت ساعة وتنكرت برهة ،ثمسكن نفارها ومشت مشى المسمحة ، وأنه ورد بها الحلة وهو راكب عليها ، فعجبوا له كل العجب وصار ذلك من دلائله عندهم ٠ وحدثت أيضا أنه كان فى ديوان «اللاذقية» ، وأن بعض الكتاب انقلبت على يده سكين الأقــلام فجرحته جرحا مفرطا ، وأن أبا الطيب تفل عليها من ريقه وشـــدها غير منتظر لوقته ، وقال للمجروح : لاتحلها فى يومك ٠ وعد له أياما وليالى، وان ذلك الكاتب قبل منه فبرىء الجرح ، فصاروا يعتقدون فى أبى الطيب أعظم اعتقاد ويقولون : هو كمحيى الأموات (٨) ٠ وحدث رجل كان أبو الطيب قد استخفى عنده فى اللاذقية أوفى غيرها من السواحل أنه أراد الانتقال من موضع الى موضع ، فخرج بالليل ومعه ذلك الرجل ، ولقيهما كلب ألح عليهما فى النباح ثم انصرف ، فقال أبو الطيب لذلك الرجل وهو عائد : انك ستجد ذلك الكلب قد مات ، فلما عاد الرجل ألفى الامر علىماذكر ولا يمتنع أن يكون أعد له شيئا من المطاعم مسموما ، وألقاه له وهو يخفى عن صاحبه ما فعل ٠ والخربق سم الكلاب معروف» (٩) فمثل هذه الحكايات انما تشير الى أن من تدور حوله يدعى النبوة وأن الناس تنظر اليه على هذا الأساس لا على أساس أنه زعيم سياسى ٠

وفى «العمدة» لابن رشيق ، الذى ولد بعد وفاة المتنبى بأقل من أربعين عاما (٣٩٠ هـ) أن أبا محمد عبد الكريم بن ابراهيم الهشلى زعم أنه سمى « متنبئا » لفطنته ٠ (١٠) ويأتى البغدادى صاحب « تاريخ بغداد » المولود بعد ابن رشيق بسنتين فيقول : « وقد كان المتنبى لما خرج الى كلب وأقام فيهم ادعى أنه علوى حسنى ، ثم ادعى بعد ذلك النبوة ثم عاد يدعى أنه علوى ، الى ان أشهد عليه بالشام بالكذب فى الدعوتين ، وحبس دهـــرا طويلا ، وأشرف على القتل ، ثم استتيب وأشهد عليه بالتوبة ، وأطلق »(١١) ثم يورد عن التنوخى هذا الخبر قال : « أخبرنا التنوخى : حدثنى أبى ، قال حدثنى أبو على بن أبى حامد ، قال : سمعت خلقا بحلب يحكون ، وأبوالطيب بها اذ ذاك ، انه تنبأ فى بادية السماوة ونواحيها الى ان خرج اليه لؤلؤ

أمير حمص من قبل الاخشيدية فقاتله وأنفره ، وشرد من كان اجتمع اليه من كلب وكلاب وغيرهما من قبائل العرب وحبسه في السجن حبسا طويلا ، فاعتل وكاد أن يتلف حتى سئل فى أمره ، فاستتابه وكتب عليه وثيقة أشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه الى الاسلام وأنه تائب منه ولايعاود مثله ، وأطلقه » (١٢) · ليس ذلك فقط بل يورد أبو على هذا بعضا مما قيل انه القرآن الذى ادعى المتنبى نزوله عليه · يقول : « وكان قد تلا على البغدادى كلاما ذكر انه قرآن أنزل عليه · وكانوا يحكون له سورا كثيرة نسخت منهاسورة ضاعتوبقى أولها فى حفظى، وهى:«والنجم السياروالفلك الدوار ، والليل والنهار : ان الكافر لفى أخطار · امض على سننك ، واقف اثر من كان قبلك من المرسلين ، فان الله قامع بك زيغ من ألحد فى دينه وضل عن سبيله » قال : وهى طويلة لم يبق فى حفظى منها غير هذا » (١٣) وزاد على ذلك بأن ساق هذه الحكاية : « وكان المتنبى اذا شوغب فى مجلس سيف الدولة ، ونحن اذ ذاك بحلب ، نذكر له هذا القرآن وأمثاله مما كان يحكى عنه فينكره ويجحده قال : وقال له ابن خالوية يوما فى مجلس سيف الدولة: لولا ان الآخر (١٤) جاهل لما رضى أن يدعى بالمتنبى ، لأن «متنبى» معناه كاذب ، ومن رضى أن يدعى بالكذب فهو جاهل ! فقال له : انا لست أرضى أن أدعى بهذا وانما يدعونى به من يريد الغض منى · ولست أقدر على الامتناع » (١٥) · ويضيف التنوخى : « قال لى أبى : فأما أنا فانى سألته بالأهواز فى سنة أربع وخمسين وثلاثمائة عند اجتيازه بها الى فارس فى حديث طويل جرى بيننا عن معنى «المتنبى» لأنى أردت أن أسمع منه : هل تنبأ أم لا ؟ فأجابنى بجواب مغـــالط لى وهو ان قال : هذا شىء كان فى الحداثة أوجبته الصورة · فاستحييت أن أستقصى عليه ، وأمسكت » (١٦)

واضح أن أحدا بعينه لم ير المتنبى ويسمعه وهو يدعى النبوة ، اللهم الا ما سيأتى عن معاذ بن اســــماعيل اللاذقى مما ذكره ابن العـــديم وسنناقشه فى حينه وانما الأمر لايخرج عن رواية التنوخى عن أبيه عن ثالث انه سمع خلقا بحلب يحكون أنه تنبأ ·· الخ ، أما التنوخى عن أبيه عن ثالث أنه سمع خلقا بحلب يحكون أنه تنبأ ·· الخ ، أما التنوخى نفســه

فانه حين أراد أن يعرف من المتنبى نفسه هل تنبأ أولا لم يجد من الرجل الا الانكار والاستنكار ، وهو نفس موقفه من سؤال ابن خالويه الاستفزازى. وأخيرا فاننا اذا عرفنا أن الخطيب البغدادى هذا قد أورد روايات تشوه الصورة العلمية لأبى حنيفة الفقيه المعروف فى ترجمته له فى نفس الكتاب الذى أورد فيه ترجمة المتنبى التى بين أيدينا ، عرفنا الى أى مدى يمكن أن نركن لمثل هذه الروايات التى أوردها عن المتنبى .

أما ابن عساكر (٤٩٩ـ٥٧١ هـ) فانه يذكر أنه قرأ فى بعض الكتب أنه لما خرج المتنبى بأرض سلمية من عمل حمص فى بنى عدى الكلبيين قبض عليه ابن على الهاشمى فى ضيعة له يقال لها «كوتكين» ، وأمر النجار فجعل فى رجله قرمة ، وفى عنقه من خشب الصفصاف ، فقال المتنبى :

زعم المقيم بكوتكين بأنه
من آل هاشم بن عبد مناف

فأجبته : مذ صرت من أبنائهم
صارت قيودهم من الصفصاف

ولما أن صار معتقلا فى الحبس كتب الى الوالى رحمه الله تعالى :

بيدى أيها الأمير الاريب
لا لشىء الا لانى غريب

أولأم لها اذا ذكرتنى
دم قلب بدمع عين سكوب

ان اكن قبل أن رايتك أخطأ
ت فانى على يديك أتوب

عائب عابنى لديك ، ومنه
خلقت فى ذوى العيوب العيوب » (١٨)

ومن الواضح أنه لايحدد ما هية هذا الخروج ، وان كان قد نقل عن أبى عبد الله ياقوت الرومى (ياقوت الحلبى) أنه قرأ فى سيرة بعض أهل الأدب أن كافورا أجاب المتنبى لما طلب منه ولاية بقوله : أنت فى حال الفقر وسوء الحال وعدم القوت والمعين سمت نفسك الى النبوة ، فضلا عن الملك والامارة ۰۰۰الخ » (١٩) الا أن الملاحظ عدم تعقيبه على هذه الرواية بشىء ۰

ونصل الى ابن العديم (٥٥٨ـ٦٦٠) ، الذى وان كان ينقل عن الثعالبى وابن خلكان كثيرا من أخبار المتنبى وبخاصة عن دعوى تنبئـه فانه يمدنا بجديد فى هذه القضية الشائكة ، اذ ذكر عن الربعى معـاصر المتنبى وصاحبه أن المتنبى كان يذم أهل الكوفة لأنهم يضيقون على انفسهم فى كل شىء حتى فى الأسماء فيتداعون بالألقاب ، مضيفا أنه « لما لقبت بالمتنبى ثقل ذلك على زمانا ثم ألفته » (٢٠) ۰ كما ذكر عن ياقوت أنه نقل من خط أبى الريحان البيرونى « أن المتنبى لما ذكر فى القصـــيدة التى أولها :

« كفى أرانى ويك لومك ألوما »

النور الذى تظاهر لاهوتيه فى ممدوحه ، وقال :

« أنا مبصر وأظن أنى حالم »

ودار على الألسن ، قالوا : قد تجلى لأبى الطيب ربه ! وبهذا وقع فى السجن والوثاق الذى ذكره فى شعره :

« أيا خدد الله ورد الخـدود »

ولم يذكر [illegible] على صدقه (يقصد أن المتنبى فى هذه الابيات لم يذكر،

انا فى أمـــــة تداركهـــــا اللـــــ
ـــه غـــريب كصـــالح فى

وانما هو أن الخيوط فى رأسه كانت تديره وتزعجه ،
الدولة فى بعض غزواته ، وقصد أعراب الشام واستة
منهم ، واتصل خبره بسيف الدولة فكر راجعا وعاج
أصحابه ، وجىء به أسيرا ، فقال له : أنت النبى ؟ قال
تطعمونى وتسقونى ، فاذا فعلتم ذلك فأنا احمد بن الح
جأشه وجرأته فى جوابه ، وحقن دمه ، وألقاه فى الس
قرر عنده فضله ، فأطلقه واستخصه • ولما أكثروا ذ
كيلا يصير ذما اذا احتشم اخفى عنه وشتما لايشافه
على ما تولى التلقب به » (٢١) ، ولايدع ابن العديم خ
غير تعليق بل يقول : « قول أبى الريحان انه تحين غ
بعض غزواته ••• الى آخر ما ذكره ليس بصحيح ، فار
من الرواة لم ينقلوا أن المتنبى ظهر منه شىء من ذلك ا
ومملكته بحلب والشام ولا أنه حبسه منذ اتصل به ،
أيام لؤلؤ الاخشيدى أمير حمص » (٢٢) •

ومن الجديد الذى اتى به ابن العديم قوله : « قر
الى من شعر أبى الطيب المتنبى ذكر فيها عن قوله :

ابـــا عبـــــد الالـــــه معـــاذ الى
خفى عنـــك فى الهيجـــــا ا

ذكــــرت جســـــــيم ما طلبى وأنا

ولو بـــرز الزمـــــان الى شـــــصا

لخضـب شـــعر مفرقه حســـــامى

وما بلـــغت مشـــيئتها الليــــالى

ولا ســــارت وفى يـــدها زمامى

اذا امتـــلأت عيـــون الخيل منى

فويـــل للتيقـــظ والمنــــام

وقال : قال أبو عبد الله معاذ بن اسماعيل اللاذقى : قدم المتنبى اللاذقيـة سنة نيف وعشرين وثلاثمائة ، وهو كما عذر (لعل الصواب : « وهو لما يعذر » أى « لم ينبت عذاره بعد » ، كما يرى الأستاذ شاكر) (٢٣) · وله وفرة الى شحمتى أذنه ، وضوى الى فأكرمته وعظمته لما رأيت من فصاحته وحسن سمته · فلما تمكن الأنس بينى وبينه وخلوت معه فى المنزل اغتناما لمشاهدته واقتباسا من أدبه تمكن الأنس بينى وبينه وخلوت معه فى المنزل اغتناما لمشاهدته واقتباسا من أدبه وأعجبنى ما رأيت قلت : والله انك لشاب خطير ، تصلح لمنادمة ملك كبير ، فقال لى : ويحك أتدرى ما تقول ؟ أنا نبى مرسل ! فظننت أنه يهزل · ثم ذكرت أنى لم احصل عليه كلمة هـزل منذ عرفته فقلت له : ما تقول ؟ فقال : أنا نبى مرسل · قلت له : مرسـل الى من ؟ قال هذه الأمه الضالة المضـلة · قلت : تفعل ماذا ؟ قال : أملؤها عدلا كما ملئت جورا ، قلت : بماذا ؟ قال : بادرار الارزاق والثواب العاجل والآجل لمن اطاع وأتى ، وضرب الأعناق وقطع الأرزاق لمن عصى وأبى ، فقلت له : ان هذا أمر عظيم أخاف منه عليك أن يظهر · وعذلته على قوله ذلك ، فقال بديها :

ابـــا عبـــد الالـــه معـــاذ انى

خفى عنـــك فى الهيجـــا مقامى

الأبيات · فقلت له : قد ذكرت أنك بنى مرسل الى هذه الأمة ، افيـــوحى

اليك ؟ قال : نعم قلت : فاتل على شيئا من الوحى اليك • فاتانى بكلام ما مر بسمعى أحسن منه ، فقلت : وكم أوحى اليك من هذا ؟ فقال : مائة عبرة وأربع عشرة عبرة • قلت : وكم العبرة ؟ فأتى بمقدار اكبر الآى من كتاب الله • قلت : فأسمع فى هذه العبر أن لك طاعة فى السماء ، فما هى ؟ قال: أحبس المدرار لقطع أرزاق العصاة الفجار • قلت : اتحبس من السماء مطرها ؟ قال : اى ، والذى فطرها ، افما هى معجزة ؟ قلت : بلى والله • قال : فان حبست عن مكان تنظر اليه ولاتشك فيه هل تؤمن بى وتصدق على ما أتيت به من ربى ؟ قلت اى والله • قال : سأفعل ،ولاتسألنى عن شىء بعدها حتى آتيك بهذه المعجزة ، ولاتظهر شيئا من هذا الأمر حتى يظهر وانتظر ما وعدته من غير أن تسأله • فقال لى بعد ايام : أتحب أن تنظر الى المعجزة التى جرى ذكرها ؟ قلت : بلى والله • فقال لى : اذا أرسلت اليك أحد العبيد فاركب معه ولاتتأخر ، ولايخرج معك أحد • قلت : نعم • فلما كان بعد ايام تغيمت السماء فى يوم من ايام الشتاء ، واذا عبده قد أقبلفقال: يقول لك مولاى : أركب الموعد • فبادرت بالركوب معه وقلت : أين ركب مولاك ؟ فقال : الى الصحراء ، ولم يخرج معه أحد غيرى ، واشتد وقع المطر ، فقال : بادر بنا حتى نستكن معه من هذا المطر فانه ينتظرنا بأعلى تل لايصيبه فيه المطر ، قلت : وكيف عمل ؟ قال : أقبل ينظر الى السماء أول ما بدا السحاب الأسود وهو يتكلم بما لا أفهم ، ثم أخذ السوط فأدار به فى موضع ستنظر اليه من التل وهو يهمهم والمطر مما يليه ولاقطرة منه عليه فبادرت معه حتى نظرت اليه ، واذا هو على تل على نصف فرسخ من البلد فأتيته واذا هو عليه قائم ما عليه من ذلك المطر قطرة واحدة ، وقد خضت فى الماء الى ركبتى الفرس والمطر فى أشد ما يكون • ونظرت الى نحو مائتى ذراع فى مثلها من ذلك التل يابس ما فيه ندى ولاقطرة مطر • فسلمت عليه فرد على وقال : ما ترى ؟ فقلت : ابسط يدك فانى أشهد انك رسول الله ! فبسط يده فبايعته بيعة الاقرار بنبوته ، ثم قال لى : ما قال هذا الخبيث لما دعا بك ؟ يعنى عبده فشرحت له ما قال لى فى الطريق لما استخبرته فقتل العبد ، وقال :

أى محــــل أرتـــقى

أى عظـــيم أتـــقى

وكـــل مـــا خـــلق اللـــــ

ـــه ومـــا لـم يخـــلق

محتقـــر فى همـــــــتى

كشـــعرة فى مفـــــرقى

واخذت بيعته لأهلى ، ثم صح بعد ذلك أن البيعة عمت كل مدينة بالشـام وذلك بأصغر حيلة تعلمها من بعض العرب ، وهى «صدحة المطر» يصرفهبها عن أى مكان أحب بعد أن يحوى عليه بعصا ، وينفث بالصدحة التى لهم ٠ وقد رأيت كثيرا منهم بالسكون وحضرموت والسكاسك يفعلون هذا ولا يتعاظمونه ، حتى ان احدهم يصدح عن غنمه وابله وبقره من القرى فلا يصيبها من المطر قطرة ، ويكون المطر مما يلى الصدحة ، وهو ضرب من السحر ٠ ورأيت لهم من السحر ما هو أعظم من هذا ٠ وسألت المتنبى بعد ذلك : هل دخلت السـكون ؟ قال : نعم ، ووالدى منها ٠ أما سـمعت قـــولى :

أمنسى الســـــكون وحضرموتا

ووالـــدتى وكنـــدة والســـبيعا

فقلت : من ثم استفاد ماجوزه على طغام أهل الشام ٠ وجرت له أشـــياء بعد ذلك من الحروب والحبس والانتقال من موضع الى موضع ، حتى حصل عند سيف الدولة وعلا شأنه » (٢٤) ٠

وبعد أن يورد ابن العديم عن ابن فورجة ما أخبره به أبو العلاء من القصة التى أوردناها من قبل لأبى العلاء مع الاختلاف الذى أشرنا اليـــه في الهامش ، وهو أن الجرح قد برىء لساعته وأن المتنبى أخبرهم أن ذلك

من مجزاته ، يذكر عن ابن فورجة أيضا أنه « مما كان يمخرق به علـى أبيات البادية أنه كان مشاء قويا على السير سيرا لاغاية بعده · وكان عارفا بالفلوات ومواقع المياه ومحال العرب بها ، فكان يسير من حلة الى حلة بالبادية وبينهما مسيرة ثلاث ليال ، فيأتى ماء فيغسل يديه ووجهه ورجله، ثم يأتى أهل تلك الحلة فيخبرها عن الحلة التى فارقها ، ويريهم أن الارض طويت له · فلما علت سنه رغب عن ذلك وزهد فيه ، وأقبل على الشعر وقد وسم بتلك السمة » (٢٥) ·

ثم هذا الخبر الهام بما فيه من نصوص جد هامة · قال : « أخبرنى ياقوت بن‌عبد الله الحموى · قال : وقع لى كتاب مصنف فى أخبار أبى الطيب صغير الحجم ، تصنيف الأستاذ أبى القاسم عبيد الله بن عبد الرحيم الأصبهانى ، وذكر فيه ادعاءه النبوة ، وقال فيه : وقد هجاه الشعراء بذلك ، فقال الضب الضرير شامى فيه :

اطللت يا أيها الشقى دمك
لارحم الله روح من رحمك

اقسمت لو أقسم الأمير على
قتلك قتل العشار ما ظلمك

ويروى « قبل العشاء » ، فأجابه المتنبى فقال :

ايها أتاك الحمام فاخترمك
غير سفيه عليك من شتمك

همك فى أمرد تقلب فى
عين دواة من صلبه قلمك

وهمتى فى انتضاء ذى شطب
اقد يوما بحده أدمك

فاخســـــا كليبــا واقعــد عــلى ذنب
واطــل بما بين أليتيـــــك فمــك

قال : وهجاه شاعر آخر فقال (ويقال هو ضب ايضا) :

قد صـــح شـــعرك والنبـــوة لم تصـــبح
والقـــول بالصـــدق المبين يتضـــح

الـــزم مقـــال الشـــعر تحظ برتبـــة
وعن التنبى لا ابـــنالك فانتـــزح

تربـــح دمــا قد كنت توجب ســـفكه
ان المتـــع بالحيـــاة لمن ربح

فاجابه بابيات وهي :

نار الدراية من لســـانى تقتـــدح
يغـــدو على من النهى مــا لم نـزح

بحـــر لو اغتـــرفت لطـــامة موجـــه
بالأرض والســـبع الطبـــاق لما نزح

امـــرى الى فان ســـمحت بمهجـــة
كرمت عــلى فـــان مثلى من سمح» (٢٦)

ومثله هذا الخبر عن علي بن همام الحسينى الطالقانى ببغداد ، الذى قال: « هجا أبو عبد الله بن الحجاج ابا الطيب المتنبى لما دخل بغداد بمقطعات منها :

يــا ديمـــة الصـــفع هبى
عـــلى قفـــا المتنبى

ويـاقفـــــاه تقـــــــــدم
تعـــــال واجـــــلس جنبى

ويـــا يـــدى فاصفعيـــــه
بالنعـــــــل حتى تـــدبى

ان كـــان هـــذا نبيــــــا
فالقـــــرد لاشـــــك ربى

فلما بلغ أبا الطيب قال :

عارضنى كـــلب بـــنى درام
فصــــنت منــه الوجــــه والعرضـــا

ولم أكلمـــــه احتقـــــارا بـــه
من ذا يعض الكـــــلب ان عضـــا » (٢٧)

وفى « وفيات الأعيان » يقول ابن خلكان : «انما قيل له «المتنبى» لأنه ادعى النبوة فى بادية السماوة ··· وقيل غير ذلك ، وهذا أصح · وقيل : انه قال : أنا أول من تنبأ بالشعر » (٢٨) · أما المقريزى (٧٧٦ــ٨٤٥ هـ) فانه يروى عمن سبقه ولايأتى بجديد سوى أنه قال : « وقد اختلف فى تسميته بالمتنبى ، فقيل انه ادعى النبوة فى حداثته ، وقيل غير ذلك » (٢٩) · وهو ما يدل على أنه كان متوقفا فى هذه المسألة · ومثل المقريزى فى عدم ايراده جديدا عن تنبؤ المتنبى الشيخ يوسف البديعى (المتوفى ١٠٧٣ هـ) صاحب «الصبح المنبى عن حيثية المتنبى » فهو يكتفى بالنقل عمن سبقه كأبى العلاء وابن عساكر ·

قلنا ان الرواة لم يذكروا لنا أحدا بعينه شاهد وسمع المتنبى يدعى النبوة الا معاذ بن اسماعيل اللاذقى المنسوب اليه الخبر الطويل الذى مر بنا · وأول ما نلاحظه على هذا الخبر أن أحدا من المتقدمين لم يورده ولم يشر

اليه مجرد اشارة ، وانما ورد عند ابن العديم كما رأينا ، وهو متأخر عن وفاة المتنبى بأكثر من قرنين كاملين ، علاوة على ما فى الخبر من متناقضات بين بعضها الأستاذ محمود شاكر حين أشار الى ان اللاذقى ذاك كان يعرف أمر الصدحة وأنها سحر يتقنه كثير من أهل اليمن ومع ذلك آمن بالمتنبى (٣٠) ، وحين أكد أنه أنه لايمكن أن تعم دعوة المتنبى والبيعة له كل مدينة بالشام ، وفيهم العلماء والوعاظ والخطباء (٣١) ، وذلك فضلا على ان المتنبى لم يذكر نبوة فى شعره وانما الهيجاء ومطلبه الذى هو على استعداد للمخاطرة فيه بمهجته الغالية ، والنبوة لاتطلب ، وانما هى أمر من الله (٣٢) • وهذا الرد على قوته يحتاج الى فضل توضيح فان قول المتنبى لأبى معاذ هذا : « ذكرت عظيم ما طلبى ••• الخ » يكذب دعواه النبوة لو أنه ادعاها فعلا ، ولايعقل أن يكذب المتنبى نفسه بنفسه ، أما اذا اعترض معترض بأن ذكر المتنبى الهيجاء انما كان ردا على ماخوفه محدثه من محاربة السلطان له فان الرد عليه هو أنه كان المنطقى ان يجيبه المتنبى بأن الله ناصره ومؤيده ومجرد على يديه المعجزات الكفيلة بسحقهم • من هنا فليس أمامنا الا أن نأخذ بما قدم به العكبرى ، رحمه الله لهذه الأبيات • وهذا نص كلامه : « وقال وقد عذله معاذ فى اقدامه فى الحرب » (٣٣) • وأنا لا أستبعد أن يكون معاذ هذا قد عرف بمغامراته فى البادية فنصحه أن يترك هذه الحياة الخطرة التى لا تليق بشاب مثله ذى مواهب أدبيه تبشر بمستقبل طيب • أما اشارة العكبرى الخاطفة فى الهامش الى رواية معاذ هذا عن ادعاء المتنبى فقد أوردها بلفظة « وذكر ان •••» ، علاوة على انه قد صرح بأنه لم يستجز أن يذكر الحكاية القبيحة التى أوردها معاذ (فى الرواية الملفقة) عن المتنبى ، فهذا التحرج يدل على أن العكبرى لايوليها اعتقاده •

كذلك فان الأستاذ شاكر محق تماما فى تعجبه من الا يحفظ له هذا اللاذقى ، الذى آمن بنبوته ، شيئا من قرآنه رغم وصفه له بأنه ما مر بسمعه أحسن منه (٣٤) • هذا ما ذكره الأستاذ شاكر من متناقضات الخبر ، ونزيد عليها أننا لانفهم اصرار المتنبى على أن تكون مشاهدة معجزته مقصورة

على اللاذقى المنسوب اليه الخبر ، مع أن مصلحته أن يشاهدها الناس جميعا والى جانب هذا فان المتنبى قد ذكر أن معجزة ايقاف المطر انما هى عقوبة لمكذبيه ، فكيف أتاها أمام اللاذقى هذا ليجعله يؤمن به لا ليعاقبه على شكه فى دعواه وعدم مسارعته للايمان به أول ما صارحه بحقيقة أمره ؟ ثم لماذا قتل العبد والعبد لم يكفر به ، بل كان كما يتبين من موقفه وكلامه يطيع سيده ويوقره ويؤمن به وبمعجزاته وان لم يفهم ما كان المتنبى (فى الرواية) يهمهم به ؟ وكيف لم يتدخل اللاذقى ولو بالشفاعة لهذا العبد المسكين وكأن الأمر ليس قتل نفس بشرية بل قتل ذبابة أو بعوضة ؟ ان من الواضح أن ملفق الرواية قد أراد أن يقول ان أحدا لم يشاهد هذه المعجزة الا اللاذقى حتى لايثور السؤال : ولم لم يذكر لنا ذلك غير اللاذقى ؟ ومع ذلك فقد سها هذا الملفق بعد ذلك حين ذكر أن المتنبى قد استهوى أهل الشام بمعجزته هذه وان لم يسم أحدا منهم بعينه ٠ كذلك فنحن لانفهم أية علاقة بين قتل المتنبى عبده وقوله على اثر ذلك :

أى محـــل أرتـقى
أى عظـيم أتـقى ٠٠ الـخ

والعجيب أن اللاذقى يسمى من آمن بالمتنبى « طغام الشام » على حين ذكر أنه هو نفسه أول مؤمن به !

أيضا فات ملفق الخبر ان البيت الذى استشهد المتنبى به لمعاذ اللاذقى على أنه يمنى ، وهو :

أمذنى السـكون وحضر مـوتا
ووالدتى وكنـدة والسـبيعا

انما هو من قصيدة أولها :

ملث القطـر أعطشـها ربـوعا
والا فاسـقها السم النقيعـا

وهذه القصيرة لم تكن قد أنشئت بعد ، لانه قالها فى مدح على بن ابراهيم

التنوخي بعد خروجه من السجن بوقت غير قصير واضطرا به فى طلب الرزق عند هذا الممدوح أو ذاك ·

يضاف الى ذلك ان للمتنبى فى هذا اللاذقى (٣٦) أبياتا تقول :

معـــاذ مـــلاذ لـــزواره
ولاجـــار أكـــرم من جـــاره
كأن الحطيم عـــلى بـــابه
وزمـــزم والبيت فى داره
وكـم من حـــريق رأت داره
فلم يعمـــل المـــاء فى نـــاره

وهو كلام لايقوله نبى لتابعه ، علاوة على أن البيت الثانى يدل على ايمان المتنبى بالاسلام وتوقيره لشعائر الله ،وهو ما يتعاكس مع ادعائه النبوة أول ما ادعاها أمام هذا الرجل ودعوته اياه للدخول فى طاعته · هذا ، ولا داعى للوقوف عند مازعمته الرواية من معجزات المتنبى فانه لايصدقه عقل·

ويبدو لى أن الذى هذه الرواية قد لفقها وفى ذهنه أصداء من خبر أمر المتنبى بقتل عبده فى الصحراء حين سرق فرسه وهم بقتله ، ومما ذكره الخطيب البغدادى فى «تاريخ بغداد» من قرآن منسوب الى المتنبى (وسوف نتناول هذا بعدا) ، ومن الحديث النبوى الذى دعا فيه نبينا عليه السلام ربه أن يسقط المطر حول المدينة لاعليها قائلا : « اللهم حـــوالينا ولا علينا » ·

وبعد أن ثبت لدينا زيف هذه الرواية ، وهى الرواية الوحيدة التى يحكيها شخص بعينه شاهد ، فيما يقال ، المتنبى وسمعه وهو يدعى النبوة فاننا نجد أنفسنا أمام الآتى :

١ ــ أن أحدا بعينه معروفا لنا (فان معاذا هذا لايعرف عنه أحـد اكثر مما قاله المتنبى له أو فيه من هذه الأبيات القليلة جدا) لم يحك انه سمع أنه سمع المتنبى وهو يدعى النبوة ·

٢ – ان المتنبى ينكر ذلك بشدة · يتضح ذلك من ردوده على من استفسروا منه عن حقيقة هذا اللقب أو شعره الذى ناضل به عن نفسه ما رماه به بعض الشعراء من انه ادعى النبوة (وان كان شعره هذا لم يرد فيما نعرف ، الا فى كتب متأخرة نقلته عن كتب سبقتها لم تقع لنا) ·

٣ – ان المتقدمين الذين رووا قصة تنبؤه قد أوردوا معها تفسيرات أخرى لتلقيبه بـ «المتنبى» ، بل ان الثعالبى وهو أقدم من أشار الى سجن الشاعر لم يحدد فى البداية شيئا بعينه بل تكلم فقط عن البيعة والخروج كما رأينا ، وحين ذكر النبوة قال «ويحكى أنه تنبأ فى صباه ·· الخ » بصيغة المبنى للمجهول التى تدل على تشككه فى الأمر · ومن هنا رأينا بعض المعاصرين يتردد فى قبول هذه التهمة أو يرفضها (٣٧) ·

أما ما أورده ابن العديم منسوبا الى ابن فورجة من أنه كان يمخرق على أهل البادية بسرعته فى المشى وايهامهم أنه ممن تطوى لهم الارض فانه لايوجد فيه شىء يتصل بادعائه النبوة أو ثورته على السلطان ، وانما هو ان صح عبث كان يستهويه وهو صبى صغير ، ولما علت به السن تركه من نفسه كما تقول الرواية · ومع ذلك فان هذا العبث لا يدخل العقل ، اذ ما الذى يدفع صبيا الى الجرى حتى تتقطع أنفاسه ؟ ألكى يتوهم أهل البادية أنه مما تطوى له الأرض ؟ ثم ماذا بعد ؟ وهذه السرعة الخارقة هل يمكن أن يهضمها المنطق ؟ ولاحظ أن المتنبى لم يتمدح قط فى شعره بأنه عداء كما كان يفعل الشعراء الصعاليك فى الجاهلية ، ولا ذكر قط فى شعره أنه كان يجوب البوادى فردا · لهذا كله أعدى عنها ·

وبالنسبة لأبى الريحان البيرونى ، فانى أستغرب أشد الاستغراب ان يردد ، وهو العالم المحقق فى الديانات والرحالة الشهير والفلكى العظيم والأنثروبولوجى الفذ ، هذين الخبرين المضطربين اللذين لايستندان الى الواقع · ان حبس سيف الدولة للمتنبى يتعارض مع الترتيب التاريخى والموضوعى لشعر المتنبى فى السجن ، الذى قاله وهو صبى ، على حين لم يعرف سيف الدولة ويدخل فى معيته الا بعد ذلك ببضع عشرة سنة ،

وهذا هو المتعارف عليه · ومثله القول بأن دخوله السجن انما كان بسبب قصيدته :

كفى أرانى ويك لومك ألوما

لقوله فيها :

أنا مبصر وأظن أنى حـــالم
من كــان يحلم بالالـــه فأحلمـــا

اذ قالوا : قد تجلى لأبى الطيب ربه ، فانه قال هذه القصيدة فى صباه المبكر لأبى الفضل الذى اتهمه بعض مترجميه بأنه هوسه وأضله· والبيرونى على كل حال هو الوحيد ، فيما نعرف ، الذى روى هذين الخبرين ، كما ان ابن العديم قد رفضها لأول وهلة لمخالفتهما المتعارف بين الناس · وفىبعض تفاصيل القصة أصداء من حكاية المتنبى الذى ظهر ببغداد ، وهو غير أبى الطيب ، كما سيأتى بيانه ·

والآن الى ما أورده الخطيب البغدادى من قرآن قيل ان المتنبى كان يدعى نزوله عليه · وملاحظاتى على هذا ان البغدادى هو ، فيما نعلم ، أول من ذكر مسألة القرآن هذه ، وبين ولادته ووفاة المتنبى نحو أربعين عاما ، فأين كان هذا القرآن ما بين تلاوة المتنبى له اثر الوحى الذى ادعى نزوله عليه ، وكان ذلك وعمره ثمانى عشرة سنة أو نحوها ، وبين تاريخ تصنيف البغدادى كتابه ، وهى مدة قد تصل الى قرن وقد تزيد ؟ ثم ان الافكـــار والروح المبثوثة فى تلك الآيات المعزوة الى المتنبى غريبة على شخصيتــه وشعره واهتماماته وأقواله · لا أقصد البته أنه كان زنديقا · لا (وسوف يأتى دور هذه القضية لمناقشتها ، وذلك فى فصل خاص بها) ، ولكنى أقصد أن هذه الآيات لاتصدر الاعن ذهن وقلب يهتم صاحبهمابالدين اهتماما فوق العادى ولو تدجيلا ، وهو ما لانعرفه للمتنبى لامن سيرته ولامن شعره· ثم ان ألفاظ هذه الآيات وصياغتها تختلف عن معجم المتنبى وتراكيبـــه الشعرية وبالذات فى فترة الشباب الأول التى قيل أنه تنبأ فيها ، فلا حذلقة ولا اغراب ولاعثكلة ، وذلك على عكس ما تظهره هذه الآيات من سهولة وسماحة فى التعبير ، علاوة على السجع ، الذى هو بالوعاظ والخطبـاء

لا بالمتنبى أشبه ، ليس هذا فقط ، فانى قد حاولت أن أتتبع «الاقتباس» فى شعر المتنبى طول عمره (أى قبل وبعد التنبؤ والقرآن المزعومين) فوجدته نادرا ندرة شديدة وذلك على عكس ما فى هذه الآيات المسندة اليه من لفظ وروح قرآنى • وأخيرا أليس من الغريب ألا يصلنا الا هذه الآيات القلائل من قرآن المتنبى المزعوم ، برغم أن العصر كان عصر كتابة وتدوين ، ورغم أن التحرج الذى ربما منع المسلمين الأوائل من تسجيل قرآن مسيلمة لابد أنه كان قد خف كثيرا فى ذلك العصر ؟ بل ان هذه الآيات (أو العبر ، كما تقول الرواية) لم تصلنا كتابة •لا ،بل لم تظهر أصلا الا بعد قرن وربماأكثر• أفلم يكن المتنبى وهو يعرف الكتابة يسجل الوحى الذى ادعى ، كما يتهمه المتهمون ، أنه يتنزل عليه أو على الأقل يصطنع كتبة للوحى يكتبونه له تشبها بسيد الخلق ﷺ ، تنفيقا لبضاعته عن طريق هذه المشابهات الشكلية ؟

أما ما قاله عبد الكريم بن ابراهيم النهشلى (وقدم له ابن رشيق فى «العمدة» بقوله «زعم») من ان المتنبى لقب بذلك لفطنته ، فما أكثر الفطنين فى تاريخ المسلمين ، ولابد أنهم يعدون من بين العلماء وحدهم بالآلاف المؤلفة ، ولم نسمع أن أيا منهم سمى «متنبئا» ، فضلا عن ان هذا اللقب ليس للمدح ، بل لايدل على أن الناس هم الذين شبهوه بالأنبياء وانما هو الذى أدعى أنه واحد منهم •

ونبلغ ابن القارح والمعرى ، وهنا مسألتان : الأولى هى ما يحكيه ابن القارح عن كتاب للقطربلى وابن أبى الأزهر من أن المتنبى أدعى النبوة ببغداد وأنه حبس هناك • ولقد رأينا كيف استغرب المعرى ذلك ، اذ المشهور المتعارف بين الناس أنه سجن فى الشام. ، ورغم أن بنت الشاطىء ذكرت أنها رجعت الى «الفهرست» فلم تجد فى ترجمة هذين العالمين اشارة الى كتاب لهما عن المتنبى (٣٨) ، فانها تعليقا على رواية ابن القارح (٣٩) قد نقلت التعقيب الذى وجدته مكتوبا على هامش مخطوطة رسالته المرموز لها بـ «ج» ونصه : « فى جزء من تذكرة ابن العديم بخطه ما نصه : وهذا عجيب ، فان المتنبى ولد سنة ٣٠٣ هـ على ما رواه ابن الساريال وغيره من الرواة ،فكيف تصح هذه الحكاية قبل مولده؟ وقد جاء فى بعض الرواياتأنه

ولد سنة احدى وثلاثمائة · فعلى كل حال ، لايصح ما نقل ابن أبى الأزهر وأبو محمد ، أو يكون هذا المتنبى غير أبى الطيب المتنبى · والله أعلم » ، ثم ذكرت أن هذه الحاشية قد ذيلت بما نصه ما صح بعد ذلك أنه غيـر أبى الطيب ، وهو أحمد بن عبد الرحيم الاصبهانى ، ثم عقبت قائلة : « ولم أفهم وجه التعليق والانكار هنا وقد كان على بن عيسى وزيرا للقاهر ببغداد حوالى سنة ٣٢١ هـ وسن المتنبى اذ ذاك حول العشرين » وهو ما يفهم منه ضمنا أنها ، ان لم تكن تعتقد فى صحة التهمة الموجهة الى المتنبى ، فانها لاتنفيها أو على الاقل لاتجد فى تعارض التاريخين المذكورين مستندا لنفيها لأن لاتعارض هناك فى نظرها ·

فأما كتاب القطربلى وابن أبى الأزهر فيفهم مما قاله ابن العديم عنـه أنه لم يكن كتابا خاصا بترجمة المتنبى كما فهمت الدكتورة بنت الشاطىء بل كتابا فى التاريخ · وعلى أى حال فالكتاب حقيقى ، ومن ثمة فـلا محل لاستغراب أبى العلاء فى اجتماع (٤٠) عالمين على تأليفه ، (بغض النظر عن الطريقة التى ألفاه بها ، فهذا لايعنينا هنا) ·

هذا من ناحية الكتاب أما من ناحية ما ورد فيه وما نقله منـه ابن القارح فهذا قول ابن العديم فيه : « وقرأت فى رسالة على بن منصور الحلبى المعروف بدوخلة وهى التى كتبها الى أبى العلاء بن سليمان ، وأجابه عنها برسالة الغفران ، وذم فيها أبا الطيب المتنبى ، وقال : وذكر ابن أبى الأزهر والقطربلى فى التاريخ الذى أجتمعـا على تصنيفه : أن الوزير على بن عيسى احضره الى مجلسه فقال له : أنت أحمد المتنبى ؟ فقال : أنا أحمـد النبى ، ولى علامة فى بطنى خاتم النبوة وأراهم شبيها بالســـلعة على بطنه ، فأمر الوزير بصفعه فصفع وقيد ، وأمر بحبسه فى المطبق · ثم طالعت التاريخ المشار اليه فقرأت فيه فى حوادث سنة اثنتين وثلاثمـائة · قال : وفيها جلس الوزير على بن عيسى للنظر فى المظالم ، وأحضر مجلسه المتنبى، وكان محبوسا ليخلى سبيله ، فناظره بحضرة القضاة والفقهاء ، فقال : أنا أحمد النبى ، ولى علامة فى بطنى خاتم النبوة · وكشف عن بطنه وأراهم شبيها بالسلعة على بطنه ، فأمر الوزير بصفعه فصفع مائة صفعة ، وضربه

وقيده وحبسه في المطبق . فبان لى أن أبا الحسن على بن منصور الحلبى رأى في تاريخ أبى الأزهر والقطربلى ذكر أحمد المتنبى فظنه أبا الطيب احمد بن الحسين ، فوقع فى الغلط الفاحش لجهله بالتاريخ ، فان هذه الواقعة مذكورة فى هذا التاريخ فى سنة اثنتين وثلاثمائة ، ولم يكن المتنبى قد ولد بعد ، فان مولده على الصحيح فى سنة ثلاث وثلاثمائة ، وقيل ان مولده سنة احدى وثلاثمائة ، فيكون له من العمر سنة واحدة . وأبو محمد عبد الله بن الحسين الكاتب القطربلى ومحمد بن أبى الأزهر ماتا جميعا قبل أن يترعرع المتنبى ويعرف . وهذا المتنبى الذى أحضره على بن عيسى هو رجل من أهل أصبهان تنبأ فى أيام المقتدر يقال له: أحمد بن عبد الرحيم الاصبهانى، ووجدت ذكره هكذا منسوبا فى كتاب عبيد الله بن احمد بن طاهر الذى ذيل به كتاب أبيه فى تاريخ بغداد » (٤١) .

ومن هذا النص يتضح لنا ان الدكتورة بنت الشاطىء قد تسرعت حين دافعت عما قاله ابن القارح ، فان التاريخ الذى تنبأ فيه متنبىء بغداد هو اثنتان وثلاثمائة للهجرة . ولامعنى اذن لاعتراضها ، فان على بن عيسى كان وزيرا للقاهر ببغداد حوالى سنة ٣٢١ وسن المتنبى اذ ذاك حوالى العشرين ، بل لا أدرى لم اختارت سنة ٣٢١ هجرية بالذات حينما كانت سن المتنبى حوالى العشرين كما تقول . ومع ذلك فان لها عذرها فيما يبدو ، اذ لم يكن كلام ابن العديم قد نشر بعد وهى تطبع رسالة الغفران للمرة الخامسة سنة ١٩٦٩ ، لأن الأستاذ شاكر هو أول من نشر ترجمة ابن العديم للمتنبى وذلك فى ذيل سفره الثانى ، سنة ١٩٧٧ (أى بعد نحو ثمانى سنوات من ظهور تلك الطبعة من رسالة الغفران ، وهى الطبعة التى استعملها وفيها تعليقها المشهور الذى نحن بصدده) . ففى كلام ابن العديم هذا ما يبين ان القطربلى وابن أبى الأزهر قد ذكرا حادثتى التنبؤ والمحاكمة فى حوادث سنة اثنتين وثلاثمائة للهجرة ، كما أنه قال ان ذلك كان فى عهد المقتدر لا القاهر الذى قالت بنت الشاطىء ان على بن عيسى كان وزيرا له فى سنة ٣٢١ هـ وسن المتنبى اذ ذاك حوالى العشرين .

فهذه هى المسألة الأولى ، أما الثانية فهى موقف المعرى مما ذكره

ابن القارح وجوابه عليه ٠وقد مر بنا كيف أنه قال تلك العبارة التى ذكر فيها طمع المتنبى فى الشىء الذى طمع فيه من هو دونه والتى قلت انه ان كان يقصد بها النبوة (وهو فيما يبدو يقصدها) كان كلاما خطيرا ٠ وهى على كل حال توحى ولو من بعيد بأنه يعتقد أنه ادعى النبوة ٠ ويؤيد فهمناهذا أنه وان استشهد بشعر للمتنبى يدل على ايمانه بالله فانه سرعان ما أثار زوبعة من الريبة حول اعتقاده الحقيقى اذ قال انه « اذا رجع الى الحقائق فنطق اللسان لا ينبىء عن اعتقاد الانسان ، لأن العالم مجبول على الكذب والنفاق ويحتمل أن يظهر الرجل بالقول تدينا ، وانما يجعل ذلك تزينا يريد أن يصل بذلك الى ثناء ، أو غرض من أغراض أم الفناء ٠ ولعله قد ذهب جماعة هم فى الظاهر متعبدون ، وفيما بطن ملحدون » (٤٢) وذلك الى جانب أنه نقل بعض أخبار عن ادعاء المتنبى النبوة وقدم أولها بقوله « وحدثنى الثقة عنه ٠٠٠ » (وهو خبر الناقة التى استطاع أن يروض جماحها فكان ذلك دليلا على نبوته عند أصحابها) وعقب على آخرها وهو خبر موت الكلب بأنه ربما كان أعد له شيئا من المطاعم مسموما وألقاه له وهو يخفى عن صاحبه ما فعل ٠٠ الخ » (٤٣) وعلى هذا فلست أفهم قول العقاد ان أبا العلاء ، الذى ولد بعد مقتل المتنبى بتسع سنوات فقط ، قد وقف موقف الشاك المتردد ، وانه لو كان ثمة سبيل الى التثبت من هذا الخبر لتثبت منه أبو العلاء ، وبخاصة أنه كان عالما ومحيطا بأخبار المتنبى ولايتهيب دعوى النبوة (٤٤) ٠ والسؤال هو : هل فهم العقاد قول أبى العلاء ان نطق اللسان لاينبىء بالضرورة عن اعتقاد الانسان على أن رهين المحبسين يشير به الى ادعاء المتنبى النبوة ، بمعنى أننا ينبغى ألا نؤاخذ المتنبى بما قاله اذا كان لايعتقده فى قلبه وضميره ؟ انه اذن قد عكس المعنى ، فان المعرى لم يذكر هذا بعد ايراده بعض شعر المتنبى الدال على ايمانه بالله الا ليقول ان مثل هذا الشعر لايلزم عنه بالضرورة أن يكون صاحبه مؤمنا حقا ٠ ويبدو لى أن العقاد رحمه الله لم يمض فى القراءة عدة صفحات أخرى فلم ير أثناء نقله ما نقل من «الغفران» ما أورده المعرى من أخبار نبوة المتنبى وتعليقه عليها والا لتنبه الى أنه فهم عكس ما قصد المعرى ٠ أيا ما يكن الصواب فى هذه النقطة فان الاستاذ شفيق جبرى

على حق فى تخطئة العقاد فى فهمه نص المعرى (٤٥) ٠ وبالمثل لا أفهم قول الدكتور طه حسين ان أبا العلاء « كان يشك فى ذلك (أى فى تنبؤه وما روى من قصص حول هذا الأمر) شكا ظاهرا ، ويروى بعض الاحاديث الشعبية التى أثيرت حول سجن المتنبى » (٤٦) ٠

ومع ذلك فان خطأ المرحوم العقاد والدكتور طه حسين فى فهم كلام المتنبى شىء ، وموافقتى على رأى المعرى الذى لم يستبعد تنبـؤ المتنبى (ومثله فى ذلك الاستاذ شفيق جبرى (٤٧) وسوف نتناول رأيه بالتفصيل فيما بعد هو والاستاذ العقاد ، الذى برغم خطئه فيما هو واضح فى فهم مقصد أبى العلاء لم يستبعد هو أيضا دعوى النبوة على المتنبى) شىء آخر ٠ ان قول أبى العلاء ان نطق اللسان لاينبىء عن اعتقاد الانسان صحيح لامماراة فيه فى حق بعض الناس ، ولكن أكان المتنبى من هؤلاء الناس ؟ هذا ما أشك فيه شكا قويا عنيفا ٠ ان المتنبى قد مدح كثيرا من أعيـان الشام وملوك زمانه وغالى فيهم مغالاة ظاهرة ، وكان يردد على مسامع كل منهم تقريبا أنه فرد زمانه وأنه فاق البشر جميعا ٠ ولكن هذا لاينبغى أن يجعلنا نسارع باتهامه بأنه كذاب ، فهكذا كانت بوجه عام التقـاليد الشعرية التى أرساها الشعراء والنقاد معا ، علاوة على أن المتنبى كان فى الوقت ذاته يفتخر بنفسه افتخارا شديدا جنبا الى جنب مع مدحه ممدوحه ، وكان كثيرا ما يتجاوز المقدار المعقول فى هذا أيضا ٠ وثالثا فانه فى مديحه كان صاحب غرض وهو المال أو الولاية أوهما معا (حسب الممدوح) ، وكان ينظم القصيدة خصيصا لهذا الغرض ، أما فى أبياته التى تدل عـلى ايمانه بالله ، فماذا كان غرضه ؟ ان الرجل لم يكن يسعى الى تولى أى منصب دينى حتى يقال انه كان يتظاهر بذلك من أجله ٠ فضلا عن ان شعره الذى يدل على ايمانه بالله انما هو ، على كثرته كما سابين ذلك تفصيلا فى فصل خاص به ، أبيات متناثرة هنا وهناك تجرى الى لسانه عفوا ٠ وفى هذه الأبيات يظهر المتنبى مؤمنا بالله ورسله وقرآنه وملائكته واليوم الآخر ومعتزا بالاسلام وبانتصاراته على الروم الذين يحقـرهم ويهزأ من دينهم هم واليهود والمانوية وغيرهم ، وان كانت له بعض الأبيات القليلة التى قد

تصدم المسلم وبخاصة اذا لم يتمعن فيها أبعد من ظاهرها ٠

اما حكاية ترويضه جماح الناقة الصعبة التى كانت لبنى عدى فمن غير المعقول ان تكفى هؤلاء البداة الغلاظ العقول والقلوب حتى يؤمنـــوا بذلك الصبى الغريب بينهم الذى لايعرفون له أصلا ولافصلا وليست له فيهم عصبية ولا هو ذو رئاسة أو مال أو قائد جيش جرار فنقول انهم اذعنوا لدعواه النبوة لسبب أو أكثر من هذه الأسباب ٠ وقد رأينا أهل مكة يطلبون من الرسول أن يقلب الصفاء ذهبا أو يصعد فى السماء وينزل ومعه كتاب يقرأونه ٠٠٠ الخ ٠ هذا ، والرسول بعد هو واحد من أشرف قبيلة فيهم وله عصبيه ويعلمون أنه الصادق الأمين ٠ فكيف يكتفى هؤلاء البدو الشاميون بهذه المعجزة (العيالى) ؟ ان هؤلاء البدو أنفسهم قد خرجوا على سـيف الدولة وعلى غيره وازعجوا الدول من حولهم فى الشام ، فكيف يلينون كل هذا اللين بل يسارعون فيه لولد قد بلغ الحلم ولما يكد ؟ ولد كما قلت غريب لاعصبية له ، فقير لا مال معه ، أعزل بلا جيش وراءه يأتمر بأمره ٠

ثم حكاية الجرح ٠ وساخذ بما ورد فيها فى «الغفران» لا بالرواية التى ذكر ابن فورجه أن أبا العلاء حدثه بها (٤٨) بما يعنى أن أبا العلاء قد خانته ذاكرته فى احدى الروايتين ، وهو ما يدل على أنه ليس بالحافظ الضابط المدقق أو أن ابن فورجه هو الذى نسى ، فيدل على ان من السهل جدا على تلك المرويات أن يدخلها الغلط والتزيد ٠ وسبب عدم أخذى برواية ابن فورجه هو استحالة أن يبرأ جرح السكين المفرط (وهذا تعبيـــر أبى العلاء) لساعته مهما يتفل عليه المتنبى أو مليون مثل المتنبى ٠ فلنأخذ اذن برواية أبى العلاء فى رسالة الغفران ٠ فهل يعقل أن يكون شفاء يد الكاتب الذى جرحته سكين البرى فى أيام وليال شيئا معجزا يعده كتـاب ديوان اللاذقية كاحياء الموتى ؟ فما الزمن الذى كان سيستغرقه الجرح لو أن المتنبى لم يتفل عليه ؟ شهورا ؟ أعواما ؟ ألا ترى معى أنها قصة لامختلقة فقط بل سخيفة لا تجوز على العقل أيضا ؟

ومثل ذلك قصة الكلب ، التى من الواضح أن المعرى لم يستبعدها بدليل انه حاول تفسير موت ذلك الحيوان تفسيرا عاديا ٠ ان تفسير المعرى ، وهو التفسير الذى يحاول أن يضفى عليها المعقولية ولولاه لرفضتها لأول وهلة ، قد فاته أشياء كثيرة ، اذ لماذا أعد المتنبى فى جيبه طعـــاما مسموما ؟ ان الكلب كما هو واضح من القصة ومن تنكيـر الرواى لــه (هكذا : «لقيهما كلب») قد قابلهما مصادفة ، فكيف يعد المتنبى طعاما مسموما لهذا الكلب الذى قابلهما مصادفة ؟ وكيف ألقى الطعام للكلب دون أن يحس رفيقه اللاذقى ؟ سيقال ان ذلك كان ليلا ، ولكن ألم يكن الكلب سيتلهي بالطعام فيسكت عن النباح فجأة ويقبل على الطعام الملقى اليه فيحدث بمضغه صوتا يشعر اللاذقى أن طعاما قد ألقى اليه ؟ واذا تغاضينا عن هذا وذاك فكيف لم يلتفت اللاذقى الى عواء الكلب الحاد وهو يعانى سكرات الموت بعد قليل ، أو ما وجده بعد عودته متساقطا من فم الكلب من قىء مثلا ، مما من شأنه أن يجعله يشتبه فى أن هناك شيئا غير طبيعى فى الأمر ؟ ذلك ، وهذا هو تفسير المعرى على أية حال ، أما القصة فانها تريد أن تقول ان المتنبى كان يدعى معرفة الغيب وربما القدرة على التحكم فى حياة الاخرين ايضا ، وهو ما لانسلم به أبدا ٠

نخلص من هذا الى أن موقف المعرى من أخبار تنبؤ المتنبى لاينبغى أبدا أن يجعلنا نصدق شيئا من ذلك ٠ واذا كنا قد رأينا أن الثعالبى وهو أقرب من كتبوا عن المتنبى زمنيا اليه يكتفى بالكلام عن «البيعـــــة» و «الخروج» وحبه للولاية والرئاسة طول عمره ،وعندما يسوق مايقوله الناس عن تنبئه يقدمه بقوله « يحكى انه تنبأ فى صباه ٠٠ الخ » (٤٩) وجدنا أنه لايوجد فى ماكتبه مترجمو المتنبى عن ادعائه النبوة ما هو جدير بالقبول ٠ هل تكون معاكسات سيف الدولة وبعض حاشيته له بذلك هى الدليل اذن ؟ لا اخال ٠ والسبب هو ان سيف الدولة ورجال الحاشية لم يروا أو يسمعوا تنبؤ المتنبى بأنفسهم ، بل انه كان قد مرطويل على حادثة السجن ومعاكسا سيف الدولة انما هى مداعبة للمتنبى ،والا لما أعزه كل هذا الاعزاز ولسمعنا ابا فراس وغيره من منافسى ابى الطيب فى بلاط سيف الدولة مثــلا يذمون

عنده بهذا ويحاولون أن يقنعوه بأن يطرده من حاشيته حتى لايجلب على نفسه سوء السمعة · ان قصارى ما كان من ابن خالويه ، كما رأينـــا ، وكان من ألد أعداء الشـــاعر وزعيم الحزب المناوىء له فى البلاط الحمدانى هو أنه سخر منه لقبوله التلقب بـ «المتنبى» لما يعنيه هذا اللقب من أنه كاذب · فكان جواب المتنبى ما معناهأن الناس هم الذين يدعونه بهذا ، وهو لايستطيع أن يغلق أفواهم (٥٠) · فهذا كل ما هناك · وأيضا ، لو أن تنبؤ المتنبى صحيح فلم لم تطارده هذه التهمة أينما حل عند هذا الممدوح أو ذلك من أعيان الشام وأمرائه قبل الاتصال بسيف الدولة ، وقد كانت حادثة التنبؤ والسجن وقتها قريبة ؟ بل لم بقى المتنبى بعدها فى الشام أصـلا ولم يحمل عصاه ويرحل الى بلاد بعيدة لا تطوله فيها لعنة هذه السقطة الخطيرة وبخاصة أنه كان كما قلت صبيا غريبا فقيرا لا أهل له ولا مال ؟

كذلك لا أظن أن كافورا قد قال انه يخاف أن يولى المتنبى ولاية لأنه، كما قال ، اذا كان قد ادعى النبوة وهو فقير ضعيف فماذا يكون منه وهو وال على ولاية ؟ اذ انه اذا صـــــح ذلك فكيف لم يسلط عليه شـــعراءه ينهشون لحمه وسمعته ودينه بهذه التهمة بعد أن هرب منه وأصماه من سهام هجائه القاتلة ؟ بل كيف حرص على استقدامه الى عاصمة الدولة التى حبسه لتنبؤه أحد عمالها فى الشام ؟ بل كيف أكرمه ذلك الاكرام الكبير ، واكتفى عندما فتر كل منهما تجاه الآخر بمداجاته فلم يهنه أو يجدد له التهمة القديمة على نحو ما ويلقيه فى السجن مثلا وهو الحاكم بأمره فى الفسطاط ؟ ثم كيف يقول كافور هذا ويظل المتنبى ، الذى لابد أن يكون هذا الكلام قد بلغه ، يطلب منه الولاية الى آخر لحظة ؟ (٥١) ·

وبالنسبة للشعراء الذين هجوه بالعراق يلاحظ أنه لم يشركهمفى ذلك كبار مبغضيه كالحاتمى ، وقد كان شاعرا وناقدا ولغويا كبيرا ، ووضع كتابا فى ثلب شعر المتنبى ومحاولة اثبات أن كثيرا منه مسروق من شعر المتقدمين ، أو الصاحب بن عباد ، الذى عرض على المتنبى أن يشاطره ماله فى سبيل أن يمدحه وكان آنذاك لايزال شابا صغيرا ، فاستكبر المتنبى ، فحقدها عليه ، وصب حقده فى كتابه «الكشف عن مســـاوىء المتنبى » ،

وتولى الوزارة وكان من كبار الأدباء والنقاد فى عصره · لم يهجه اذن الا مثل ابن لنكك ، الذى كان أكثر شعره ملحا وطرفا جلها فى شكوى الزمان وأهله وهجاء شعراء عصره والذى كان يحقــد على المتنبي (٥٢) والأبيات التى هجا بها المتنبى هى :

ما أو قــــح المتنبـــى
فيمـــا حـــكى وادعـــاه
أبيـــح مالا عظيـــا
حتى أبـــنـــاح قفـــناه
يا ســـائلى عن غنـــاه
من ذاك كـــان غنـــاه
ان كـــان ذاك نبيـــنا
فالجـــاثليق الـــــه

وقد عاد د· الشكعة ، الذى استشهد أولا بهذه الأبيات للتدليل على ادعاء المتنبى النبوة فشعر أن مثل هذا الشعر المراد به الهجاء والتشهير ليس دليلا قويا ، (٥٣) فاستشهد ببيتين من الشـعر رثى بهما المتنبى أحـد المعجبين به ، وسماه فيهما «المتنبى» ولا أدرى كيف فات الاستاذ الدكتور أن هذا على سبيل الحكاية · ان اسرائيل مثلا تسمى ، بنفس الطريقة ، المنظمة التى يرأسها ياسر عرفات « منظمة التحـرير الفلسـطينية » . فهل يدل هذا على أنها ترى فيما تفعله هذه المنظمة تحريرا لفلسطين ؟ وهل هى تعترف بفلسطين أصلا ؟ جدير بالذكر أن د · الشكعة قد عاد وتوقف فى الحكم فى هذه القضية ·(٥٤) وممن هجوا المتنبى كذلك ابن الحجاج الشاعر المفحش الذى يمتلىءشعره بالهزل والمجون المشوب بألفاظ المكدين والخلديين والشطار والذى نهى بعض المحتسبين فى عصر متأخر قراءة شــعره مع الصبيان ، والذى نحى عن حسبة بغداد لاتهامه بالعبث ، والذى تعـرض بالهجاء لكثير من معاصريه من أمراء وأدباء كابن عباد وابن العميد (٥٥)· وعلى كل فقد رماه المتنبى ببيتين اثنين وصفه فيهما بأنه كلب ، وأن أحـدا لايعض الكلب اذا عضه ، وأنه من ثم لايرد عليه احتقارا له وصيانة لعرض نفسه · وهو رد عنيف كرده على من اتهمه وهو فى السجن فيما هو واضح

بالشام ، مما يدل على انه لم يكن يشعر بالتخاذل أبدا أمام هذا الاتهام . وليس هذا بموقف من اجترح مثل ذلك الاثم الرهيب الذى يمكن أن يودى بحياته ٠

أما اتهامه وهو فى السجن بالتنبؤ فلم يقع الا من شاعر واحد فقط ، فيما نعرف ، هو الضب الشامى الضرير ، الذى هجاه قائلا (كما مر بنا) :

اطللت يا أيهـــا الشـــقى دمـــك
لا رحم الله روح من رحمـــك
أقســـمت لو اقســـم الأمير على
قتـــلك قتل العشـــار ما ظلمـــك

وقد رد عليه المتنبى ردا عنيفا جدا حقره فيه أشد التحقير وافتخر بنفســه اعظم الفخر اذ اتهمه بأن همه فى اتيان الغلمان المرد على حين همه هــو أن يقتله بالسيف ، ووصفه فى النهاية بأنه كلب بل كلب صـــغير حقيــر «كليب» ٠٠٠ الخ ٠ وهذه هى ابيات المتنبى :

ايهـــا اتـــاك الحمـــام فاختـــرمك
غير ســـفيه عليـــك من شـــتمك
همك فى امـــرد تقـــلب فى
عين دواة من صـــلبه قلمـــك
وهمتى فى انتضـــاء ذى شـــطب
أقد يومـــا بحـــده أدمـــك
فاخســـأ كليبـــا واقعـد على ذنب
واطـــل بمـــا بين اليتيـــك فمـــك

ومثل هذا الرد العنيف لايمكن صدوره عن رجل مرفوع فوق رأسه ورقبتــه سيف هذا الاتهام الخطير ٠ لقد كان المنطقى ، لو أن هذه التهمة صحيحة ، أن يسكت المتنبى فلا يزيد هياج مثل هذا الشاعر الذى يحرض على قتله أو على الأقل يلين فى الرد عليه ليستل سخيمته ٠ كذلك لا أظن أن رجــلا يصفه المتنبى بما وصف به هذا الشاعر فى هذه الأبيات ، مع أخـذنا فى

الحسد بان أنها أبيات هجائية قيلت فى وقت الغضب ، ينبغى أن تكون شهادته محل ثقه واطمئنان . وعلى كل فليتهم من يشاء من شاء بما شاء، فهذا شيء وثبوت التهمة شيء آخر مختلف تماما . ثم انه لا يبدو أن هذا الشاعر قد سمع المتنبى وهو يدعى النبوة ، والا فأين شعره آنذاك ؟ ان هذين البيتين ومثلهما الأبيات الثلاثة الأخرى المختلف على نسبتها بين هذا الشاعر وغيره انما قيلت والمتنبى فى السجن . فهى أبيات قالها شاعر فى صبى سمع أنه متهم بالتنبؤ فلم يتثبت حتى يتأكد له ما اتهم به ، بل انطلق يحرض على قتله متظاهرا طبعا بالغيرة الشديدة على الدين ، ففضحه المتنبى وكشف سلوكه وخلقه فى أبياته الصاعقة .

ومن هذه الردود بل الردود العنيفة، يتضح لنا أن ملاحظة العقاد أنه كان يسكت عن الخوض فى هذا الحديث ، وأن ذلك مما يعـــزز الشبهة عليـــه غير صحيحة (٥٦) .

وبعد هذه الرحلة الطويلة نوعا والتى غربلنا فيها ووزنا بما نعتقـد أنه ميزان معتدل دقيق ما قيل عن نبوة المتنبى أجـــد لزاما على أن أبدى استغرابى لموقف هؤلاء المحدثين الذين صدقوا دعوى تنبؤ أبى الطيب أو على الاقل لم يستبعدوها ، مثل ابراهيم اليازجى (٥٧) وجرجى زيدان(٥٨) والعقاد وسعيد الأفغانى (٥٩) وشفيق جبرى ، والدكتور أحمد أمين (٦٠) وفرنشيسكو جبريللى (٦١) ونيكلســـون (٦٢) وفيليب حتى (٦٣) وتديتون (٦٤) وســامى الكيالى (٦٥) ، أما الدكتور مصطفى الشكعة فقد أنتقل من الاعتقاد بتنبؤ المتنبى الى التوقف عن القطع برأى انتظارا لما يمكن أن ينشر من مخطوطات مجهولة لنا الآن ، فربما ساعدتنا على الوصول الى شيء قاطع فى هذه القضية (٦٦) . ومع ذلك فانه ، فيما يبدو ، لايزال فى أعماقه مشتبها فى المتنبى ، كما سيأتى توضيحه ومناقشته بعد .

لقـــد فات هؤلاء المحـــدثين ، علاوة عـلى ما مر كله مما فنـدت به دعوى التنبؤ ، الحقائق التالية :

١ ـ أن عمر المتنبى فى الوقت الذى قيل انه ادعى فيه النبوة كان ثمانية عشر عاما أو عشرين على أكبر تقدير ، أى انه كان صبيا ، فكيف يدعى النبوة وهو فى هذه السن ويتبعه ناس كثيرون ، ولم نعهد أن يكون النبي أو المتنبى صبيا ، على الأقل فى بلاد الاســـلام حتى ذلك الحين ؟ ونظرة الى من ذكرهم ابن القارح من المتنبئـة والزنادقة ومن أشـــبههم ترينا أنهم كانوا جميعا رجالا أو كهولا ٠ وفوق ذلك فان المتنبى كان وحيدا غريبا بلا عصبية تؤازره وتتبعه ، فقيرا لايملك درهما ولا دينارا يمكن أن يغرى بهما الناس على طاعته ، ولا كان صاحب جيش جرار يخضع الناس به عنوة وتجبرا ٠

٢ ـ أنه لو تنبأ لكان قتله السلطان أو حاكمه وآذاه على مشـــــهد ومسمع من الناس جميعا يتصدرهم العلماء والأعيان ٠ ولكن ما حدث أنهم سجنوه سنتين لم نسمع أنه أهين بله ضرب أو اتجهت النية الى قتله ٠ لقد رأينا متنبىء بغداد (الذى وهم بعض المؤرخين أنه هو المتنبى نفسه) يعقد له الوزير مجلس محاكمة ، وينتهى الأمر بأن يخلع جمشكه ويضربه به ٠ ويخيل الى أن الرجل كانت به حماقة والا لقتل ، فقد أعدم ناس على أقل من ذلك كصالح بن عبد القدوس والحلاج ، وضرب بشار ضربا قاســـيا حتى أفضى الى الموت بعد قليل ٠ صحيح أنهم قالوا انهم أشـــهدوا على المتنبى قبل ان يطلقوا سراحه وكتبوا بذلك ورقة ، ولكن أين هذه الورقة المكتوبة ؟ بل أين كانت حين كان سيف الدولة وحاشيته يعابثون المتنبى ويثيرون هذه الدعوى والفرق بين التاريخين سنوات معدودات ؟ أكان يعجز سيف الدولة أن يحصل عليها أينما كانت لو كان لها وجـود ، بدلا من اضاعه الوقت والجهد فى سؤاله ؟ وعلى كل حال ، فما الذى كان فى هذه الوثيقة ؟ ما الأسئلة التى وجهت الى المتنبى ؟ وكيف أجاب عنها ؟ وهل استمر يدعى النبوة زمنا بعد حبسه أم هل انهار منذ اللحظة الأولى وتراجع عن كل مزاعمه ؟ كل ذلك لاذكر له ولا اشارة اليه ، ولو أن المتنبى تنبأ فعلا لكان لابد ان يحدث ويسجل ويطلع عليه على الأقل علماء العصر ومنافسو الشاعر ومبغضوه (٦٧) ٠ ثم انه قد قيل انه تابعـــه خلق كثير ،

فكيف أسلم هذا الخلق الكثير نبيهم بهذه السهولة فلم ينافحوا عنه وتدر المعارك العنيفة بينهم وبين الدولة كما هو الحال فى كل حركة من هذا القبيل ؟ ثم لو أغمضنا العين عن هذا فأين الشعر والمجادلات التى دارت بينهم وبين شعراء السلطان ، كما هو شأن مثل هذه الدعوات ؟ بل كيف حبس المتنبى وحده ، وليس هو الوحيد الذى يستحق العقاب مادام قد آمن به ناس ، أى أنهم يستوون معه فى الجريرة ؟ ثم من الذى وشى به ؟ ما اسمه ؟ وما مدى عدالته وأهليته للشهادة فى هذه القضية الخطيرة التى هى قضية موت أو حياة ؟ وماذا قال بالضبط ؟ ثم ان المتنبى قد هجا اسحاق بن كيغلغ (أمير حمص التركى الذى أطلقه من السجن) حين منعه فى طرابلس من مواصلة طريقه قبل أن يمدحــــه ، فأصر المتنبى على موقفه ، وتغفله وهرب وأنشأ فيه قصيدة هجائية عنيفة مزق فيها عرضه تمزيقا . ترى لو كان المتنبى قد تنبأ أكان يجلب على نفسه معاداة هذا الأمير الذى يعرف حقيقة الأمر ؟ ألم يكن الأحــــرى به أن يداريه حتى لا ينبش له هذا الماضى العفن ويفضحه ويشهر به كرة أخرى بين العالمين (٦٨) ؟ وحتى لو قلنا أنها كانت حماقة منه فلم لم يفضحه ابن كيغلغ بعد أن هجاه وهو الأمير الذى كتب عليه وثيقة التوبة حين كان أميرا لحمص آنذاك (وهو الآن أمير لطرابلس) بل لم لم يفحمه منذ البداية حين اعتذر عن مدحه بأنه حلف ألا يقول مديحا فى أحد مدة معينة بقوله مثلا : « ومتى كان لك أيهــا المتنبى الكافر أيمان تحترمها وتبر بها ؟ ثم ألم يكن سيف الدولة أو أحد من منافسى المتنبى فى بلاطه كأبى فراس وابن خالويه قادرا على تقصى هذا الأمر بين أتباع المتنبى المزعومين أو من شهدو تنبؤه أو من قبضوا عليه وحاكموه ، بدلا من اقتصار الأمر على معابثة الشاعر ، الذى كان يذكر فى كل مرة ؟ لقد أصبحت سليمة والسماوة اللتان زعم أن المتنبى قد تنبأ فيهما واقعتين تحت سلطان سيف الدولة ، وما كان أسهل هذا التقصى اذن لحسم الأمر مع الشاعر الذى كان يذهب فى الاعتداد بنفسه وشعره واحتقار منافسيه مذهبا بعيدا !

٣ ـ ثم أين شعره هو الذى يدعى فيه النبوة ويصف فيه المعارك التى

دارت بينه وبين الدولة وشجاعته وبلاءه فيها وهو شاعر قبل كل شيء ؟ أن الدكتور الشكعة يرد بأن المتنبى قد حذف كثيرا من شعره ، معتمدا على حوار نقله ابن وكيع التنيسى المتحامل على المتنبى وفحواه أنه ، كما قال له شيخ هازل بحضرة على بن حمزه البصرى اللغوى صديق المتنبى ، قد فارق الكوفة وله ثلاثمائة قصيدة فكيف يعود بعد ثلاثين سنة وله مائه ونيف فقط؟ أكان يفرقها على المنقطعين من أبناء الســـــبيل (٦٩) ؟ بيد أن لنا عـدة ملاحظات على هذا الخبر : فأولا ، ينبغى أن نعرف أن الشيخ المتسائل كان ذا شخصية هزلية كما لاحظ على بن حمزه وكما يفهم من رد المتنبى عليــه بقوله : ألا تدع هزلك ؟ وثانيا ، ان فى كلام الشيخ الهازل مبالغـــة غيـر معقولة ، اذ كيف يكون المتنبى قد نظم ثلاثمائة قصيدة وهو بعد صبى لم يبارح الكوفة ، وكانت سنة اذ ذاك بضع عشرة سنة ٠ وثالثا ، فان كل الذى ذكره هذا الشيخ الهازل من شعر المتنبى الذى تساءل عنه لايعدو قصيدة من قصائد النظم الأول عارض بها المتنبى الخبز أرزى وأهملها لأنها ، كما قال ، من هفوات الصبا (٧٠) ٠ من هنا فانى لا أظن أن الذى سقط من الديوان كان كثيرا أو كان ذابال ، والا فلماذا أبقى المتنبى شعره الذى قاله فى السجن استعطافا للوالى ؟ ولم أبقى شعره فى كافور ؟ ولم لم يحذف من كل قصيدة الأبيات التى تتنافى مع ما كان يحب أن يعرفه عنه الناس من كبرياء واعتداد بالذات ؟ ولم لم يتخلص من قصيدته فى هجاء ضبة وفيها فحش وغل قد تجاوزا كل حد ؟ ٠٠ الخ ٠٠ الخ ٠ وعلى كل حال ، فان العلماء والكتاب والنقاد قد ذكروا من شعر المتنبى ما لم يتضمنه ديوانه ٠ ان المتنبى لم يكن ينظم شعره ويسر به الى نفسه بل كان يذيعه على الناس ، واذا كان هو قد حذف شيئا لهذا السبب أو ذاك فانه لايمكنه أن يحذفه من ذاكرتهم أو دفاترهم ، أم ماذا ؟ واذن فاذا كان هناك شعر قد ضاع تماما فلابد أن يكون قليلا جدا ومن التفاهة بمكان بحيث لم يهتم به أحد فنسى وأهمل ٠ واذا كانوا قد حفظوا بعض آيات (أو عبر) من قرآنه المزعوم الذى بينا أنه بعيد عنأسلوب المتنبى وروحه ، فكيف لم يحفظوا لنا مقطوعة أو اثنتين من شعره فى نبوته ، والشعر أسهل فى الحفظ من النثر مهما يكن مسجوعا ؟ على أن للمسألة وجها آخر ، وهو أن شعره الذى بين أيدينا

(سواء مما وصلنا فى ديوانه أو مماجمعه العلماء والنقاد) ، والذى نظمه فى الفترة التى قيل أنه ادعى فيها النبوة لايدل أبدا على اهتمامات دينية غير عادية من شأنها أن تجعلنا نصدق أنه ادعى النبوة آنذاك ٠ ودونك شعره وهو فى السجن ، سواء منه ما قال متجلدا متماسكا أو هاجيا شاتما أو مستعطفا مسترحما ، فهل تجد فيه هذه النزعة الدينية الحادة التى يتميز بها المتدينون المتحمسون ، ويتظاهر بها الأدعياء الزائفون ؟

٤ ـ كما فاتهم أن قصيدته التى قالها فى استعطاف الأمير ليخرجه من السجن وقيوده وكرباته لاتشير أدنى اشـــارة الى تنبؤ ، بل تذكر أنه اتهم بالعدوان على العالمين :

وقيل :

عـــــدوت علـــى العالميــ

ــن بين ولادى وبين القعـــــود

وأن الأمير لايعرف ما اتهم به المتنبى الا من خلال ما نقله له الآخـــرون ، الذين لم تكن لهم منزلة اجتماعية تذكر ٠ وهذا قاطع فى أنه لم تكن هناك حرب بينه وبين الوالى أو غيره كما تزعم الروايات ، وانمـــا الأمر ليس أكثر من وشاية ٠ يقول المتنبى :

فما لك تقبـــل زور الكـــــلام

وقـــدر الشــــهادة قـــدر الشـــهود

بل ان البيت الذى يلى ذلك يصرح بأجلى عبارة أن ناقل التهمة أو أحد نقلتها يهودى :

فــلا تســمعن من الكاشـــحين

ولاتعبـــأن بمحـــك اليهـــــود

فهل ، لو كانت تهمة المتنبى هى ادعاء النبوة ، تصدق شهادة يهودى فى مسلم ؟ وفى هاذا ؟ فى أمر النبوة ؟ أيكون اليهود غيارى على اسلامنا ونحن لاندرى ؟ وعلى كل حال فان البيت التالى يدل على أنه حتى تهمة العدوان (العدوان على العالمين ، كما قال ، لا النبوة !) لم تخرج من حيز النية الى حيز الفعل :

وكن فارقـــا بين دعـــوى أردت

ودعـــوى فعلت بشـــأو بعيد (٧١)

أى ببساطه لم تكن هناك حرب ولاجيوش كما تدعى الروايات ، التى ظلمت المتنبى ظلما شديدا · وتمعن فى البيت الذى يلى هذا البيت ، فانه حين أراد أن يشبه ذنبه المزعوم بأشنع ذنب قد شبهه بذنب عاقر الناقة :

وفى وجـــود كفيـــك ما جـدت لى

بنفسى ولـــو كنت أشـــقى ثمـــود

ولو كان تنبأ لذكر أحد المتنبئين ، وبخاصة من تاب منهم وحسن اسلامه بعد ذلك وثمة أبيات أخرى يسترحم فيها المتنبى قلب الأمير ويذكر أنه تائب على يديه :

ان أكن قبل أن رأيتـــك أخطـــأ

ت فانى عـــلى يديك أتـــوب

وهنا يقبض الدكتور الشكعة على لفظة «التوبة» فيرى أن التوبة لاتكون الا من احدى الخطايا الدينية وادعاء النبوة أولاها (٧١) · والحق أن الأمر ليس بهذه البساطة ، فان التوبة تكون من أى خطأ ، سياسيا كان أو أخلاقيا أو دينيا ، الخ ، وحتى لو اقتصرت على الخطايا الدينية فلم ينبغى أن تكون الخطيئة هى ادعاء النبوة بالذات؟ على أى حال فالبيت الذى يلى يبين أن المسألة أهون من هذا كثيرا وأن الأمر ليس أمر تنبؤ والا لما ماطل فيه المتنبى ، لأن الناس جميعا سيكونون شهودا عليه ومن ثم فلا يمكنه التملص من الاتهام وكان المنطقى أن يعترف به بكل صراحة ويعلن توبته وتبرؤه ممـــا فعل ، ويبذل كل ما فى وسعه لانقاذ رقبته من سيف الجلاد · لكن انظـــر ماذا ترى :

عائب عابنى لديـــك ومنـــه

خـــلقت فى ذوى الذنـــوب الذنـــوب

كذلك فان صبيا غريبا بعيدا عن بلاده وأهله (ان كان له أهل الاجدته) لا يمكنه أن يظهر لمن شمت به وأخبره بانه باق فى السجن مثل هذا التحدى الذى أظهره المتنبى لـ «أبى دلف» سجانه ، لو كان قد أرتكب هذا الاثم

الشنيع ، اثم ادعاءه النبوة . لقد كان المتوقع حينذاك أن يتخاذل ويعوى من الرعب ، أو على الأقل يضع لسانه فى فمه ويسكت بدلا من تهييج أعدائه عليه ودفعهم الى أعمال السيف فى رقبته . يقول المتنبى :

أهـــون بطـــول الثـــواء والتلف
والســـجن والقيـــد يـــا أبـــا دلف !
غيـــر اختيـــــار قبلت بـــرك بى
والجـــوع يرضى الأســـود بالجيف
كن أيها السجن كيف شـئت فقـــد
وطنت للمــــوت نفس معتـــرف
لو كان ســـكناى فيـــك منقصـــة
لم يكن الـــدر ســـاكن الصـــدف (٧٢)

٥ ـ ان الروايات التى تتحدث عن تنبؤه أو خروجه تقول ان ذلك كان فى بنى كلب وكلاب وغيرها من القبائل فى أرض سلمية وبادية السماوة (٧٣) والذى يرجع الى ديوان المتنبى فسوف يجد أنه كان يظهر احتقاره وكراهيته لبنى كلب فى صباه ، أى فى حدود الوقت الذى ادعى عليه أنه تنبأ فيهم (وان لم يمنع هذا أن يكون له بعض الاصدقاء بينهم) (٧٤) . يقول فى بنى كلب ، الذين أقام بينهم زمنا بأرض نخلة :

ما مقـــامى بأرض نخـــلة الا
كمقـــام المســيح بين اليهـــود

وفى آخر نفس القصيدة :

أنا فى أمـــة تداركهـــا اللـــ
ـــه غـــريب كصـــالح فى ثمـــود

فهو هنا يشبههم باليهود مرة ، وثمود قوم صالح مرة أخرى . وحتى لو قلنا انه يقصد بالأمة هنا كل المسلمين أو العرب منهم بالـــذات فان الذم سينطبق أول ما ينطبق على من كان يعيش بينهم ، لأنه لم يكن يعرف من المسلمين الا اياهم ، ثم عمم الحكم . وان شكواه فى هذا القصيدة من الفقر وتقتير الرزق ، الذى كان يجوب الفيافى والقفار عبثا فى طلبه ، ويأسه مما

فى أيدى الناس واتجاهه بأمله الى العزيز الحميد ليدل على أن قائل هـذا الكلام لايمكن أن يكون ادعى النبوة فى تلك الفترة · أسمعه يقول ·

أين فضـــلى اذا قنعت من الدهــ
ـــر بعيش معجـــل التنكيـــد ؟

ضـــاق صـــدرى وطال فى طـــلب الـــرز
ق قيـــامى ، وقل عنـــه قعـــودى

أبـــدا أقطـــع البـــلاد ونجمى
فى نحـــوس وهمتى فى ســـعود

ولعـــلى مؤمـــل بعض ما أبـــ
ـــلغ باللطف من عـــزيز حميـــد

ومثله فى الدلالة على أنه لم يتنبأ أنه فى هذه القصيدة أيضا يفتخـــر بشـــعره ويتحـــدث عن أعـــدائه وحساده · وليس هذا كلام أنبيـــاء ولا متنبئين :

أنا تـــرب النـــدى ورب القـــوافى
وســـمام العـــدا وغيظ الحســـود

كما يصرح بالغيظ والحقد اللذين يملآن قلبه لفقره الشديد :

عش عزيزا أومت وأنت كـــريم
بين طعن القنـــا وخفق البنـــود

فرؤوس الـــرماح أذهب للغيـــ
ـــظ وأشـــفى لغل صـــدر الحقود

ومن الواضح أنه مشغول بنفسه وفقره لابدعوه عامة · ولو كان ينوى التنبؤ لأظهر زهده فى حطام الدنيا ولما أعلن ضعفه وتغيظه وأحقـاده على هذا النحو ، بل ولما افتتح قصيدته بالغزل ووصف ورد الخدود وأعنـــاق الحسان وعيون المها وقبلاته التى كن يترشفنها من فمه ويجد لها لذة أحلى

التى ادعى أنه تنبأ فيها ، يمدح فيها أحد الكلابيين
الله بن الحسين الكلابى المنبجى ، ويشرح له ما لاق
حتى وصل اليه «بنفس مات أكثرها» ،ويطلب منه
من المعقول أن يتنبأ فى قوم كان يمد يده من قبل
يشترى بها طعاما وشرابا · ومعروف أن المتنبى لم
مع ممدوحيه ، الذين كان قصارى حظه من عطائهم
هو سر ما نسمعه من حنق على الفقر والحاجة ف
الحسين الكلابى ، ومن حنق على القبائل التى رمت
فعاش بينها زمنا (كما مر بنا من ذمة الشديد لبنى ك

كذلك ليس من المعقول أن ينبرى لايلوى على ش
الذين اتهم أنه تنبأ فيهم (وغيرهم من القبائل التى ش
الدولة) ، غير خاش أن يهب أحد شعرائهم فيعيره با
الذى لم يكتف بالشغب على الحكومة كما فعلـــوا
فينكشف المستور الذى كان ينكره كلما سئل فى بلاط س
لقبه · والملاحظ أنه يذكر هنا سلمية والسماوة وما ا
بأولئك الخارجين فيهما ، وهما المكانان اللذان زعم أن
فيهما · ترى أكانت تطاوعه نفسه على ذكر هذين ال
ما ذكر من تنبؤه فيهما صحيحا ؟ وهل كان الخارجون
يسمعونه يذكر هذين الموضعين ؟ (٧٦) ولنفترض أنه
هذه القصيدة واثارة ما كان ينبغى أن يظل مستورا
ولو واحدا من هذه القبيلة ؟ (٧٧)

ان الدكتور مصطفى الشكعة يعد ورود اسم «
التى تتحدث عن تنبؤ المتنبى كفيلا « بأن يدفع الباحث ا
لأن سلمية كذلك ...

الباحث الى ضرورة التفكير فى الخروج « ذى الطابع الدينى والثورة ذات المبادىء المتصلة بالعقيدة » (٧٨) لقد رأينا المتنبى فى هجائه لبنى كلاب وغيرهم ، لايجمجم بذكر سلمية والسماوة بل يذكرهما بأعلى صوته ، وعلاوة على ذلك فاننى قد ناقشت روايات النبوة كلها وفندتها بما فيها من ذكر لسلمية وغيرها · اننى بالعكس أرى أن ذكر «سلمية» كفيل بأن يجعلنا نكذب الروايات التى تتحدث عنتنبؤ المتنبى ،اذ ليس يعقل أن يستطيع المتنبى اعلان بنوته فى هذه المدينة بين الباطنية وهو ليس علويا (وقد فرغنـــا من ذلك) بل ليس شيعيا ولا اسماعيليا (كما سيأتى بيـــانه) · ثم لو افترضنا أنه ادعى شيئا ألم يكن الأحرى أن يدعى الامامة لا النبوة مادامت الامامة هى السلعة الرائجة فى تلك الأنحاء وهى مفضلة فيها على النبوة ؟ ثم ماكنه تلك العقيدة الباطنية التى دعا اليها المتنبى ؟ (٧٩)

وفى أواخر حياة المتنبى نجده ينشىء قصيدة فى مدح دليربن لشكروز الذى جاء للدفاع عن الكوفة ضد مهاجميها من بنى كلاب بقيادة زعيمهم الخارجى ، وان لم تقع حرب بين الطرفين لانصراف الخارجى عن المدينة قبل وصول دلير اليها ، وقد اشترك المتنبى فى صد هذا الهجوم ، لابشعره فقط ، بل بسيفه أيضا ، فلم لم نسمع هذا الخارجى أو أحد أتباعه يهجـو المتنبى ويذكره بخروجه وتنبؤه فيهم ويرميه بالخيانة لهم لأنه انقلب عليهم وأخذ يحاربهم مع أعدائهم رغم أنهم لم يفعلوا شيئا غير ما فعلـــه هو فى صباه حين كان يعيش بينهم ودعاهم الى نبوته فصدقوه وآمنوا به ؟ وان فىهذين البيتين وحدهمالدليلا على احتقاره لهؤلاء الخارجين وكراهيته لهم ولما فعلوه من ترويع الآمنين بالكوفة :

أرادت كلاب أن تقوم بدولة
لمن تركت رعى الشويهات والابل
أبى ربهـــا أن يترك الوحش وحـــدها
وأن يـــؤمن الضـــب الخبيث من الأكل

٦ ـ وأخيرا نسى هؤلاء المحدثون الذين يصدقون دعوى تنبؤ المتنبى أو على الأقل لايستبعدونها أن مؤرخا معاصرا للمتنبى ، مؤرخا واحدا فقط

لم يذكر فى حوادث تلك السنة التى ادعى على المتنبى انه اظهر فيها النبوة شيئا من ذلك البتة ، مع أنه لو حدث لسارت بذكره الركبان ورددت صداه الآفاق . لقد رأينا ابن أبى الأزهر والقطربلى يذكران فى تاريخهما حادثه التنبؤ التى عاصراها فى بغداد (سنة ٣٠٢ هـ) والتى ظن ابن القارح وغيره أن بطلها هو المتنبى نفسه ، نظرا لتشابه الاسم الأول لنبى بغداد مع اسم شاعرنا ، اذ كان اسمه هو ايضا «أحمد» ، فلماذا لم يحدث ذلك مع المتنبى لو أنه تنبأ فعلا ؟

أخلص من ذلك كله الى أننى لا أستطيع أن أصدق أبدا أن المتنبى قد ادعى النبوة . وأرجو من الله سبحانه أن تضع هذه الدراسة المستفيضة والمفصلة لتلك القضية نهاية لذلك الاتهام الذى أعتقد أقوى الاعتقاد أنه اتهام ظالم . وأنا بعد لا يعنيى الأمر شخصيا فى قليل أو كثير ، فلست من المدلهين فى حب المتنبى كبعض من يكتبون عنه ، وأظن أن ذلك واضح فيما مضى ، وسيتضح أكثر وأكثر فيما سنستقبل من فصول ان شاء الله ولكنى واحد من الباحثين عن الحقيقة ، التى آمل ألا أكون أخطأتها .

والآن وقد فرغنا من تفنيد تهمة التنبؤ ننتقل الى التفسير الثانى الذى يرى أنه سجن لقيامه بثورة سياسية . ويرى الدكتور الشكعة « أن نصا صريحا واحدا حول أن ما اقترفه المتنبى من ذنب كان ثورة سياسية غير وارد » (٨١) أى أن المحدثين لا القدماء هم الذين قالوا بهذا (ومن هؤلاء المحدثين د . عبد الوهاب عزام والمستشرق الفرنسى ريجيس بلا شير و د . طه حسين ، وزكى المحاسنى ، وابراهيم العريض وانعام الجندى) ، وهذا صحيح ، وان كان ما ورد فى الثعالبى من اشارة الى أنه كان طامحا فى الملك والسيادة منذ صباه وما ذكره ابن جنى من أن قوما وشوا به الى السلطان وزعموا أنه ينوى الاستيلاء على حكم الولاية ، وما كان يلهج به أبو الطيب فى صباه وشبابه من الحديث عن ضرب رقاب الملوك هو الذى جعل هذا الفريق من المحدثين يفسر دخول الشاعر السجن بقيامه بثورة سياسية .

والحق أن قيام المتنبى بثورة مسلحة وهو صبى لم يبلغ العشرين بعد ، غريب عن بلاده ، بلا أهل ولا مال ولاعصبية ، يبدو لى غير معقول ولا مقنع ، مثله مثل ادعائه النبوة · ان الروايات قد ذكرت «خروجه» فى بنى كلب وبنى كلاب ، وهؤلاء قبائل ، ولا أدرى كيف اتبعوه وهو ليس منهم أى ليس ذا عصبية فيهم ، والعصبية ذات أهمية قصوى فى حياة القبيلة سلما وحربا · فكيف يمكن أن نصدق أن صبيا يستطيع أن يحرك هذه القبائل وهو الذى كان يمد يده الى بعض أعيانها يلتمس الرفد ويشكوهم الفقر وضيق الرزق ، وفى ذات الوقت يفتخر بنفسه عليهم افتخارا شديدا ويظهر لهم احتقاره ؟

ان شعره فى صباه وشبابه يكثر فيه حقا التهديد بتجييش الجيوش وتهديد الملوك ، بيد أن ذلك كله ليس أكثر من كلام فى الهواء ، والا فقد عاش المتنبى بعد خروجه من السجن ثلاثين سنة ، فلم لم يضع هذه التهديدات يوما موضع التنفيذ ؟ لقد عذله مثلا فى صباه أحد معارفه على تركه لقاء الملوك فقال :

أبا سعيد جنب العتابا
فرب رائى خطأ صوابا
فانهم قد أكثروا الحجابا
واستوقفوا لردنا البوابا
وان حد الصارم القرضابا
والذابلات السمر والعرابا
يرفع فيما بيننا الحجابا

وهى أبيات تبين أن ضيقه من ملوك عصره انما كان بسبب عجزه عن الوصول اليهم والفوز بعطاياهم الجزيلة ، وهو ما يتضح من ذكره «البواب» «والحجابا» و «رده» هو أمثاله · كما يتضح أيضا من البيتين التاليين (وقد قالهما أيضا فى صباه) :

اذا لم تجد ما يبتر الفقر قاعدا
فقم واطلب الشىء الذى يبترا لعمرا

هما خلتـــان : ثـــروة أو منيـــة
لعلك أن تبقى بواحـــدة ذكـــرا

وعلى هذا النحو يجرى المتنبى فى تهديداته للملوك ، ففي قصيدة يمـــدح بها المغيث بن على بن بشر العجلى يقول :

وان عمـــرت جعلت الحـــرب والدة
والســـــمهرى أخـــا والمشرفي أبـــا
بكل أشـــعث يلقى المـــوت مبتســـما
حتى كأن له في قتلـــه أربـــا
قح يكـــــاد صـهيل الخيـل يقـذفه
من سرجه مرجـــا بالعـــز أو طـربا
فالمـــوت أعـــذر لى والصـــبر أجمـل بى
والبر أوسع ، والدنيـــا لمن غلبـــا

ولو كان يقصد فعلا تهديداته هذه ما مد يده الى هذا الممدوح وأمثاله ، ولما قال قبل هذه الأبيات مباشرة :

لما أقمت بأنطـــاكية اختـــلفت
الى بالخبـــر الركبـــان فى حلبـــا
فسرت نحـــوك لا الـــوى على أحـــد
أحث راحـــلتى : الفقـــر والأدبـــا
اذاقنى زمنى بلـــوى شرقت بهـــا
لو ذاقهـــا لبكى ما عاش وانتحبـــا

وهو ما يدل على ان تهديداته ليست الا صرخات الجوع والحرمان تنفيسا عن أحقاده وآلامه اذ يرى نفسه وهو الفتى الموهوب محروما من العيش الطيب الناعم ، وكل من حمل سيفا ونجح فى ثورته امتلك زمام الحـــكم ودانت له الدنيا · ويدلنا على ان عزوفه عن دق أبواب الملوك هو عـــزوف العجز لاغيره أنه هنا لايجد غضاضة من مدح من هو دون الملوك بكثيـــر وقبول عطائه الضئيل · ولقد عمر المتنبى بعد قوله هذه القصـــيدة عدة عشرات من السنين ولم نره يجعل « الحرب والدة والسمهرى أخا والمشرفى أبا » بل بالعكس نجده بعد اتصاله بسيف الدولة وجرى المال أنهارا فى

يديه تختفى شكاواه وتهديداته ٠

وبالمثل فاننا فى ذات القصيدة التى يقول فيها :

ساطلب حقى بالقنــــا ومشـايخ
كأنهمو من طول ما التثمـــوا مــرد
ثقال اذا لاقـــوا خفـــاف اذا دعـــوا
كثيــــر اذا شـــدوا ، قليل اذا عـدوا

. . . .

انم الى هذا الـــزمان أهيـــله
فاعلمهم فـــــدم وأحـــــزمهم وغـد
واكرمهم كـــلب ، وابصرهم عم
واســـهدهم فهـــد ، واشجعهم قـــرد

والتى يظن سامعها أن المتنبى مشغول لشعر رأسه ، وهو يقولها ، بتجهيز الجيش الذى سيغير به وتنظيم صفوفه واصدار أوامره الى قادته بالهجوم نجده يقول لمحمد بن سيار بن مكرم التميمى ، الذى نظمها فى مدحه :

ويمنعنى ممن سوى ابن محمـــد
أياد له عنـــدى يضيق بهـــا عند
توالت بـــلا وعـــد ولكن قبلهـــا
شمائله من غيــــر وعـد لها وعـــــد
بنفسى الذى لايزدهى بخـــديعة
وان كثـرت فيهــــا الذرائع والقصـد
ومن بعـــده فقــر ومن قربه غنى
ومن عرضـــه حر ومن مالــــه عبـــد

فنعرف أن تلك التهديدات والقعقعات انما هى فقـــاعات سرعان ما تذوب فى الهـــواء ٠ ومثلها قوله من قصيدة أخرى يمدح بهـا على بن أحمـــد بن عامـــر الأنطاكى ، وهى أيضا من قصائد ما بعد السجن :

ولاتحســـبن المجـــد زقا وقينـــة
فما المجـــد الا السيف والفتكـــة البكـر

وتضريب أعناق الملوك وأن ترى
لك الهبوات السود والعسكر المجر
وتركك فى الدنيا دويا كأنما
تداول سمع المرء أنمله العشر
اذا الفضل لم يرفعك عن شكر ناقص
على هبة فالفضل فيمن له الشكر
. . . .
وجنبنى قرب السلاطين مقتها
وما يقتضينى من جماجمها النسر

وهو لو كان صادقا فلم لم يحاول أن يطيح برقابهم ويقدم جماجمهم للنسور طعاما ؟ اننا سرعان ما نكتشف أن هذه الضجة المدوية تنتهي الى ان يقول :

وخرق مكان العيس منه مكاننا
من العيس فيه واسط الكور والظهر
ويوم وصلناه بيوم كأنما
على متنه من دجنه حلل خطر
. . . .
وليل وصلناه بيوم كأنما
على أفقه من برقه حلل حمر
ومازلت حتى قادنى الشوق نحوه
يسايرنى فى كل ركب له ذكر
وأستكبر الأخبار قبل لقائه
فلما التقينا صغر الخبر الخبر

فهل الذى يعزف عن القرب من الملوك ويمقتهم ويطوى كشحه لهم على هذه النية الدموية تتدهدى همته الى ان يقطع الفيافى والقفار مواصلا ليله بنهاره ، مقاسيا لهيب الشوق ليقابل ممدوحا من الذين كل عطائهم لمادحيهم لايعدو بضعة دراهم معدودة ؟

واذا كنا قد رأيناه يتظاهر بعزوفه عن لقاء الملوك ، لأنهم لايستحقون

الا جزر رقابهم فسوف نراه بعد ذلك لايقصد الا الملوك ، أما أمثال ممدوحه هذا وغيره ممن كان يضرب أكباد الابل قاطعا الصحراء المهلكة اليهم فانه يضرب عنهم صفحا ولايعيرهم أدنى التفـاف ٠ ونفس الشئ يقـال عن القصيدة التى يمدح بها على بن أحمد المرى الخراسانى (٨٢) ، فهو فى ابياتها ال ٧ـ١٠ يفتخروا افتخارا عنيفا ويهدد كعادته فى تلك الفترة ويتوعد الحجاز ونجدا والعراقين وبلاد الشام بأنه سيسقيهم الرماح حتى يشرقوا ، أى سيقتلهم قتلا ، ومع ذلك فانه فى البيتين الـ ٣١،٣٢ لايجد أى حرج فى أن يقول لمدوحه :

خيـــر أعضـــائنا الرؤوس ولكن
فضـــلت بقصـــدك الأقـــدام

خفت ان صرت فى يمينـــك أن تـأ
خـــذنى فى هبـــاتك الأقـــوام

ولا فى أن يقول لمدوح آخر (هو الحسين بن اسحاق التنوخى) من قصيدة يبلغ فيها تمدحه بنفسه وفضائله درجة سحيقة : (٨٣)

واســـمع من ألفـــاظه اللغـــة التى
يلـــذ بهـــا سمعى ولو ضمنت شتمى

لم يكن المتنبى اذن جادا فى تهديداته وقعقعاته ، وهل يفشى من ينوى الخروج على السلطان والقيام بثورة دموية نيته على مسمع ومرأى من الخلق كلهم ؟ ان ذلك شأن القوالين لا الفعالين ، الذين يكتمون سرهم ويجمعون أمرهم ، ويخططون ، ويتصلون بهذا وبذاك ، ويهيجون الجماهير ويظلون يبذلون جهودهم فى التكتم والخفاء انتظارا للحظة الحاسمة ٠

وعلى هذا فانى لا أوافق د ٠ عبد الوهاب عزام الذى يرى أن « أبا الطيب كان يفكر فى الثورة والغلبة ولايجد وسائلها فيرتقب أن تتاح له » وبرهانه أنه هم بالثورة أول عهده وحبس وأنه أعرب عن عزمه على الحرب بعد أن ذهبت عنه نشوة الصبا وبعد أن كف عن الكلام الثائر ٠٠ سنين كثيرة » ٠ ويستشهد الأستاذ الدكتور على ذلك بما قاله المتنبى في

رثاء أبى شجاع فاتك الرومى ، الذى كان من غلمان الاخشيد ، ولكنه لم يكن له من الدهاء وحسن التخطيط ماكان لكافور فلم يفزبما فاز به هذا من السيطرة على مقاليد الحكم بعد موت الاخشيد :

مازلت اضحك ابلى كلما نظرت
الى من اختضبت أخفافها بدم
من كل قاضية بالموت شفرته
ما بين منتقم منه ومنتقم

ما قاله فى مدح دلير بن لشكروز ، الذى جاء ليدفع عن الكوفة غارة خارجى بنى كلاب ولكنهم كانوا قد ارتدوا عن المدينة قبل وصوله :

محب كنى بالبيض عن مرهفاته
وبالحسن فى أجسامهن عن الصقل
وبالسمر عن سمر القنا غير أننى
جناها أحبائى وأطرافها رسلى

ثم ما قاله فى مدح ابن العميد الفارسى :

ان لم تغثنى خيله وسلاحه
فمتى أقود الى الأعادى عسكرا ؟

ويقفى د . عزام على ذلك باستنتاجه أن « الرجل الذى جن بذكر الحرب والضرب فى شبابه ويعود اليه فى سن الخمسين فما أحسبه الا طوى نفسه على ثورة وحرب وهوى مطله به الزمان ثم قتله دونه » (٨٤) .

وعدم موافقتى للاستاذ الدكتور ترجع ، الى جانب ما تقدم ذكره ، الى أن المتنبى لم يكن يراعى الدقة فى كلامه بل كان كثيرا ما يبالغ فيهحتى فى المواقف التى لاتحتمل ذلك ، كقوله عن كافور بعد أن تركه :

جوعان يأكل من زادى ويمسكنى
حتى يقال : عظيم القدر مقصود

وحتى لو قلنا ان « الزاد» هنا هو مدائحه فيه فيبقى أن طريقة المتنبى فى

التعبير عن نفسه وعن الأشياء مضللة موهمة تقوم على المبالغة الشديدة وتسمية الأشياء بغير أسمائها . ومثل ذلك قوله فيه أيضا :

لو كان ذا الآكل أزوادنا
ضيفا لأوسعناه احسانا

فأى الاثنين هو الذى كان يأكل من الزاد الذى يقدمه له الآخر ؟ وكقوله فى قصيدته التى صور فيها فراره من مصر وتضليله العيون الذين أرسلهم كافور فى أثره ليأتوه به :

وردنا الرهيمة فى جوزه
وباقيه أكثر مما مضى
فلما أنخنا وكزنا الرما
ح فوق مكارمنا والعلا
وبتنا نقبل أسيافنا
ونمسحها من دماء العدا
لتعلم مصر ومن بالعراق
ومن بالعواصم أنى الفتى

أتدرى ما هؤلاء «العدا» الذين يملأ الدنيا صياحا افتخارا بقتلهم وتقبيل سيفه الذى به اخترطهم ؟ انهم ، على أحسن فروض ، ليسوا الا غلاما من غلمانه سرق فرسه وأراد قتله ، فطير منخاره بالسيف وترك بقية غلمانه يقضون عليه . فانظر الفرق الشاسع بين حقيقة الأمر وبين ادعاء المتنبى . وهذا مثال ثالث يريك مبالغاته الشديدة التى لاتمت للواقع أحيانا بأية صلة . انه فى قصيدته التى يذكر فيها مسيره من مصر ويرثى فاتكا يتحدث عن مشقات الرحلة فى الصحراء :

فى غلمة أخطروا أرواحهم ورضوا
بما لقين رضا الأيسار بالزلم
. . . .
بيض العوارض طعانون من لحقوا
من الفوارس شلالون للنعم

قد بلغـــــوا بقنـــــاهم فوق طاقته
وليس يبلـــــغ مـــا فيهم من الهمم
فى الجـــــاهلية الا أن أنفســـــهم
من طيبهن به فى الأشــــــهر الحـــرم
ناشـــــوا الرمـــاح وكـانت غيـــر ناطقـــــة
فعلمــــوها صـــياح الطير فى البهم

أتدرى من أولئك الغلمة الذين يخيل اليك أنه قادر على أن يفتح بهم عكا ؟ انهم غلمانه الذين مهما يكن عددهم فكم كانوا يبلغون ؟ وهم هم أنفسهم الذين خانه أحدهم وأراد قتله فكانت النتيجة أن لقى هو حتفه (كما مر بنا) ثم هم أيضا هم أنفسهم الذين تغلب عليهم عدد من قطاع الطريق ، ولم يستطيعوا ان يدفعوا الخطر عن أنفسهم ولاعن سيدهم وابنه (كما هو مشهور متعالم) ٠ وهذه بعد مجرد أمثله ثلاثة عارضة ٠

ثم أين كانت ثورته يوم أن قصد كافورا لعلـــه أن يوليه ولاية ؟ ان والولايات لاتطلب بالشعر عادة ، والرجل الثائر المغرم بالحرب لايسلك اليها هذا السبيل ٠ ثم ما قاله فى رثاء فاتك ، لم لم ينفذه حين كان فاتك حيـا وكانا يستطيعان أن يتعاونا على اقصاء كافور والانفراد بالأمر دونه ؟ ولقد قضى فى مصر عدة سنوات ، فما سمعنا أنه فكر يوما أن يحصل على غايته بالتخطيط والتدبير وتجييش الأتباع ومنازلة الأعداء (٨٥) أليس هو القائل:

من أطـــاق التماس شىء غـــلابا
واغتصـــابا لم يلتمســـه ســـؤالا

ان طبيعة المتنبى لاتصلح للتخطيط والتآمر وقيادة الجيوش والأتباع ، فقد كان عصبيا لايســـتطيع أن يكتم سره طويـــــلا (اللهم الا عنـــدما يفكر فى الهرب من المكان الذى ضاق به ٠ حدث ذلك مرتين : فى حلب وفى الفسطاط ، أما غير ذلك فلا) ، وكانت مغالاته فى الاعتداد بنفسه تدفعه الى الاصطدام بالآخرين ، على حين يحتاج التآمر والتخطيط الى الأناة أو اصطناعها على الأقل ومداراة الآخرين وكسبهم بكل سبيل مستطاع ٠ أما استعانته بابن العميد ، فعلى أى عدو ؟ أم ترى يريدنا الأستاذ الدكتور أن

نفهم أنه كان يطلب معونة ابن العميد فى اعتلاء عرش الخلافة مثلاً ؟ أم ماذا ؟ على أى حال فنحن لم نسمع أن ابن العميد قد أخذ كلامه مأخـذ الجد أو أنه سأله مجرد سؤال عن هؤلاء الأعداء ، بل كل الذى كان منه انه أغراه بالذهاب الى عضد الدولة ، فتمنع أولا ثم أخذ بنصيحته وسـار الى هناك ، وفى هذا المعنى نفسه قال لكافور من قبل :

أبا المسـك ، أرجـو منك نصرا عـلى العـدا
وآمل عـزا يخضـب البيض بالـدم

وبالمثل لم نسمع أ نكافورا قد استوقفه عند ذلك ليسأله عن هؤلاء «العدا»: من يكونون ؟ وفيم كانت عداوتهم له ؟ ولا أظن أنه هنا يشير الا الى رغبته فى الحصول على ولاية يغيظ بها سيف الدولة وحاشيته ممن أزعجوه غن حلب ، ولكنها مبالغات المتنبى التى لاتعرف الحدود ٠ والأبيات التى تلى ذلك تؤكد صدق ما قلنـاه ٠ كذلك لاينبغى أن ننسى ان المتنبى ، حتى لو افترضنا افتراضا أنه كان يخطط للثورة طول هذه الأعوام وأنه كان ينتظر سنوح الفرصة للقيام بها (ولكن مع من ؟ وضد من ؟ لا أدرى) ، لم يكن يسخو بما له ، والثورات والتآمر للوصول الى الحكم يحتاجان الى أكوام من الأموال وسعة عظيمة فى الانفاق ٠

على أن هناك قبل ذلك كله سؤالا مهما ، هو : لقد اتصل المتنبى من الملوك أول ما اتصل بسيف الدولة ، فلمـاذا لم يطلب منه ان يوليه ولاية ؟ أغلب الظن أنه حسب أن الحصول عليها من كافور ، وهو عبد أعجمى وخصى ، أمر سهل ، وبخاصة أن كافورا هو الذى أطمعـه فى ذلك على ما تقول الروايات فظنها فرصة سانحة ليتشفى بها من حساده فى البـلاط الحمدانى وليرى سيف الدولة أنه ان كان قد أغدق عليه الأموال فهناك من يغدق الولايات وسوف يعطيه واحدة منها ٠ أما سيف الدولة فهو أمير عربى فى أرض عربية وحوله عصبية من أهله ، الذين خاضوا الحـروب والدماء حتى كونوا ملكهم ، فكان أبو العشائر على أنطاكية ، وأبو تغلب على حمص ، وأبو فراس على منبج ٠ وكان بينهم أو بعضـهم على الأقل وبين المتنبى منافسة دفعتهم مرة الى محاولة التخلص منه بالقتل ،وظلـوا

وراءه خشى أزعجوه عن حلب فتركها الى مصر ٠ والبويهيون سادة فى بلادهم ، وهم ذوو عصبية كالحمدانيين تماما ٠ فالمسألة كما ترى لم تكن نزعة ثورية بقدر ماكانت رغبة سلمية فى الولاية انبثقت فى مصر ثم انقشعت حين فر منها ٠

ويرى بعض الدارسين ان هذه الثورة (المزعومة ، وان لم يصرح بعضهم بأنها وقعت فعلا) كانت تهدف الى اعادة مجد العرب وتمكينهم من أزمة الحكم كما كان الحال قبل أن ينتزعها منهم الأعاجم (٨٦) ٠ ولعل د ٠ النعمان القاضى ، رحمه الله ، يبلور هذا الرأى خير بلورة بقوله ان المتنبى كان يرمى الى ايقاظ العرب واشاعة العدل والحرية وانه اذا كانت ثورته قد هدأت باتصاله بسيف الدولة فذلك لأنه وجد فى هذا الأمير الحمدانى تحقيقا لآماله ، وانه أراد أن يحصل من كافور على ولاية شسلمية ليبدأ فيها خطته لارجاع ملك العرب اليهم (٨٨) ٠

وهو يرى أن الشاعر لم يذهب الى فارس ، بعد فراره من حلب ، لأنها كانت معقل الأعاجم أعدائه (٨٩) ٠ وهو ما لا أوافقه على شىء منه ، فقد كانت مطامح المتنبى مطامح شخصيته كما رأينا ، والا فأى ثائر أو مصلح ، بدلا من أن يتجه الى المسحوقين والمظلومين ، يتجه الى المتسلطين والسادة ؟ ولم ؟ لمدحهم ونوال عطاياهم ٠ وهو لم يهج الملوك ويهددهم الا حين كان عاجزا عن الوصول اليهم ، وكان ذلك فى مدائحه لأعيان الشام ، الذين ربما كان تهديده للملوك واظهاره عزوفه عن قصدهم يدغدغ غرورهم بوصفهم مقصد هذا الشاعر المستعف عن دق أبواب الملوك ٠ ثم انه حين اتصل بالأمراء والملوك لم نره قط يدعو أحدا منهم الى رحمة الرعية أو العدل معها (وطبعا لايمكن أن يعزى ذلك الى أن هؤلاء الحكام كانوا ملائكة أطهارا ، وكانت رعاياهم تعيش من حكمهم فى جنة وارفة الظلال ثمارها غير مقطوعة ولا ممنوعة) (٩٠) ، بل كان همه هو الانفراد دون منافسيه من الشعراء بالمكانة الاولى عند ممدوحه فى التقدير الأدبى وفى العطاء (وهذا لايمنع أنه كان يحب سيف الدولة ، الذى اكرمه وأدناه كما لم يفعل أحد قبله ولابعده ، والذى أبلى بلاء عظيما فى حرب كفار الروم فى وقت كان الجهاد قد فترت حركته وبردت حرارته فى أرجاء المشرق الاسلامى) ٠ أما فى مصر فقد أصبح كل همه الحصول على ولاية ٠

ودعك من أنه كان لايجد غضاضة فى أخذ آلاف الدنانيــــر وهى من مال المسلمين الذين يدعى الأستاذ الدكتور أنه كان يسعى فى نشر العدل والحرية لمصلحتهم ! أما أن ثورته هدأت باتصاله بسيف الدولة لأنه وجد فيه تحقيقا لآماله فاننا نسأل : أية آمال ؟و هل كان كان سيف الدولة أعدل مع رعيته وأحرص على حريتها من غيره من الحكام ؟ ان السبب فى رأينا أن المتنبى قد أغدق عليه سيف الدولة الأموال اغداقا ، وقربه وأعلى مكانته ولم يعدل به أحدا آخر من شعرائه (وذلك الى جانب بلاء سيف الدولة فى حرب كفار الروم كما قلت آنفا) ٠

كذلك فان قول الأستاذ الدكتور رحمه الله ان المتنبى أراد الحصول من كافور على ولاية شامية ليبدأ منها خطته لارجاع ملك العرب اليهم هو تصور غير صحيح ، فان سيف الدولة نفسه ومعه شجعان آل حمدان (وفوقهم المتنبى نفسه عندما كان فى حاشية سيف الدولة) لم يفكر فى اعادة الملك الى أيدى العرب ، بل كل ما استطاعوه هو تأسيس دولة خاصة بهم (٩١) ، وهى دولة ضيقة الرقعة جدا بالنسبة للدولة الاخشيدية فى مصر ٠وعلى أية حال ، فان المتنبى لم يطلب ولاية شامية بالذات ، بل رجا كافورا أن يوليه ولاية فى الصعيد أو فى صيدا ، مما يعنى أن همه الحصول على الولاية والسلام ، ولايهم بعد ذلك موضعها (٩٢) وفى قصيدة أخرى نجده يقــول له :

وغيــــر بعيد أن يزورك راجـــل

فيــــرجع ملكـــا للعـــراقين واليـــا

وهو ما يدل على أن شاعرنا كان يلهج بالولاية لهجا أنساه حقائق الجغرافية الماثلة أمام عينيه فان العراقين (سواء فسرناهما بالعراق العربى وأعمال الرى ، أو فسرناهما بالكوفة والبصرة) (٩٣) لم يكـــونا من أمــــلاك الاخشيديين (أو كافور فى الحقيقة) ٠ ومثله قوله فيه أيضا :

يدبــــر الملك من مصر الى عـــــدن

الى العــــراق فأرض الـــروم فالنـــوب

فان الاخشيديين لم يملكوا هذا كله فى يوم من الأيام (٩٤) ٠

ثم اذا كانت اعادة مجد العرب هى غايته فلم مدح فى مصر فاتك
الرومى ذلك المدح المغالى فيه ورفعه فوق السماكين ولم يمدح أحدا م
العرب هناك ؟ ولايقل ان مدحه اياه انما كان نكاية فى كافور فانه قد مدح
ورثاه حتى بعد أن فارق كافورا وظل يذكره بالثناء الجزيل بعد ذلك ٠
لو كانت اعادة عز العرب الغابر هى هدفه وكان يتصور أنه قادر عل
تحقيقه فلم لم يحاول أن يصل اليه كما يصل الساسة والقادة والزعماء ال
وذلك بالاعداد العسكرى والتخطيط السياسى والدخول فى تحالفات م
هذا وذاك مثلا بدلا من سلوك هذا الطريق المضحك ، طريق استجد
الولايات بالشعر ؟ ان د ٠ النعمان القاضى ، اعتمادا على بعض أبيا
المتنبى من قصيدته التى قالها فى رثاء فاتك للمرة الثالثة بعد خروج
من مصر والتى أولها :

حتام نحن نسارى المجد فى الظلم
وما سراه على خفه ولا قدم

وعلى اشارة فى « النجوم الزاهرة » لابن تغرى بردى عن مفاوضات دا
بينه وبين فاتك هذا فى الصحراء ، يرى أن من الممكن أنهما كانا يدبر
مؤامرة ضد كافور ٠ وها هى الأبيات المشار اليها :

توهم القوم أن العجز قربنا
وفى التقرب ما يدعو الى التهم
ولم تزلقلة الانصاف قاطعة
بين الرجال ولو كانوا ذوى رحم
فلا زيادة الا أن تزورهمو
أيد نشأن مع المصقولة الخذم
من كل قاضية بالموت شفرته
ما بين منتقم منه ومنتقم
صنا قوائمها عنهم فما وقعت
مواقع اللؤم فى الأيدى وفى الكرم

والأستاذ الدكتور لايستبعد أن يكون معنى البيت الأخير أنهما لم يش
مواجهة اعدائهما ضنا بالسيوف أن تقع فى أيديهم اللئيمة (٩٥) ٠

أرى أن تفسيره لهذا البيت على هذا النحو كاف وحده لنقض ذلك الاحتمال من أساسه لأنه اذا كانا قد ضنا بسيوفهما ان تقع فى أيدى أعدائهم اللئيمة فمعنى ذلك انه لم تكن هناك مؤامرة الا أن يكونا قد أتفقا على أن يحاربا كافورا ورجاله بالتعويذات والتمتمات · ان هذا الاتفاق لو صح لملأ المتنبى سمع الجوزاء به ، فهذه طبيعته ،و بخاصة أنه كان بعد فراره من مصر محتاجا أشد الاحتياج الى تسويغ قصده كافورا وبقائه عنده سنوات يمدحه ويضعه كعادته فوق ملوك الأرض طرا · الحقيقة أن قصائد المتنبى فى فاتك ليس فيها أدنى اشارة الى مثل ذلك التآمر والتخطيط ، فالمتنبى لايستطيع عادة أن يكتم انفعاله وأسراره مهما حاول ذلك ، وفاتك كان متهورا ، ولذلك لقب بالمجنون · كذلك فان د · النعمان يقول ان المتنبى كان يريد اعادة الحكم الى أيدى العرب فهل يكون ذلك بنقل ملك مصر من يد كافور الحبشى الى فاتك الرومى ، وكلاهما أعجمى ؟ أم هل كان فاتك يوافقه على مشروعه القومى المزعوم ؟ ترى لو كان ثمة مثل هذا الاتفاق أكان المتنبى يمدحه ويغلو فى مديحه أم كان الأحرى به ، مادام قد وصل الى مرحلة التآمر والتخطيط لانقلاب سياسى عسكرى ، أن يخفى اعجابه بل علاقته به ؟

ثم كيف يتسق ما يقوله د· النعمان هنا مع ما قاله من قبل من ان المتنبى بعد أن ابيضت أيامه وهو شاب واشتهر شعره « قد أخذ يروض نفسه على أن يكون شاعرا عظيمـا طالما لم يسعفه زمانه ولا أهل زمانه على تحقيق مجده الذى طال حلمه به » ، وأنه «يوما بعد يوم أخذت أحلامه السياسية تشحب رويدا رويدا حتى قتل الزمان الأمل فى رأسه · ففى مديحه لابن طغج نشعر وكأنه ينفض يده من هذا الأمر ويطامن من ثورته ··· وبخاصة بعد أن سيطر البويهيون على مقاليد الخـلافة ·· ٣٣٤ هـ ··· الخ » (٣٦) · ويبقى قوله انه لم يذهب الى فارس ، اثر خروجه من حلب، لأنها كانت معقل الأعاجم أعدائه · والرد عليه هو أن الذين كانوا يحكمون مصر كانوا أيضا أعاجم ، وأنه ذهب الى فارس بعد ذلك ·

على كل حال فالمتنبى ، حتى لو حصل فى مصر على الولاية التي كان

يطلبها ، لم يكن ليقدر على اصلاح الأحوال ولو فى حدود ولايته وحدها ، لأنه كان يطلب المجد لا المصلحة العامة ، ولأن الوالى ، أى وال ، ليس الا ترسا فى دولاب الحكم · ثم ان رأيه فى البشر كان سيئا بوجه عام من أول حياته الى آخرها ، فكيف نتوقع منه أن يرهق نفسه من أجل صلاحهم ورغدهم وسعادتهم ؟ بل من غير الصحيح أنه كان ذا نزعة عروبية أبغض من أجلها الأعاجم · ان الذين يقولون هذا يقفون عند أبيات له قالها فى صباه ، كأنه ما قال سواها ، وهذان البيتان هما قمة التعبير عن هذه النزعة المشار الها :

وانمـــا النـــاس بالملـــوك ولا
تصـــلح عـــرب ملوكهـــا عجـــم
لا أدب عنـــــــدهم ولا حســـب
ولاعهـــود لهم ولا ذمم

مع أن البحث العلمى يقتضينا أن ندرس شعره كله ، الذى يرينا أنه كمـا مدح فريقا من أعيان العرب وملوكهم ورفعهم الى أعلى عليين فكذلك فعـل مع فريق من أعيان الأعاجم وملوكهم سواء قبل اتصاله بسيف الدولة أو بعد فراره من حلب وذهابه الى مصر · ان د · الشكعة يذكر أن المتنبى لم يمدح قبل سيف الدولة الا عربيا ، باستثناء حالات قليلة جداً منها مدحه ابن طغج أمير الرملة وأنوجور (فى رثائه لأبيه أثناء زيارته الأولى لمصر قبل اتصاله بسيف الدولة ، على ما تقول بعض الروايات) (٩٧) ، كما يرى أننا بعد تركه سيف الدولة لانكاد نفكر أنه مدح عربيا واحدا ، وينتهى من ذلك الى أنه ، كما كان متعصبا لقومه العرب ، قد انقلب فأصبح متعصبا عليهم (٩٨) ·

والذى أراه أن المتنبى كان يمدح من تسوقه الأقدار اليه أعجميا كان أو عربيا ، وكان اذا مدح انسانا وضعه فوق رؤوس الناس جميعا · وقد مدح قبل سيف الدولة من الأعاجم مساورا الرومى ، وابن خلكان ، ويماك التركى غلام سيف الدولة ، وابن كيغلغ (وهو فى السجن) (٩٩) ، وعلى بن صالح الروز بازى الكاتب ، أى أنه مدح قبل سيف الدولة سبعة من

الأعاجم (باضافة أنوجور بن الأخشيد ، وأبيه طبعا مادام قد رثاه فان الرثاء مدح ولكن للمتوفى) · أما بعد تركه سيف الدولة فقد مدح شبيبا العقيلى (وان كان فى الظاهر يهجوه ، ولكن اذا لم يكن ما قاله فيه هو المدح بعينه فماذا يكون المديح اذن ؟) (١٠٠) ·

وفوق ذلك فقد مدح سيف الدولة على البعد (وهو بالكوفة بعد تركه مصرا) بقصيدتين ، ورثى أخته (والرثاء مدح كما قلنا آنفا) بقصيدة · واذا كان قد رفض مدح الوزير المهلبى (العربى) كما يقول د· الشكعة مدللا بذلك على أنه كان قد تحول عن قومه وأصبح متعصبا عليهم ، فقد رفض كذلك مدح ابن عباد (الأعجمى) رغم أنه قد عرض عليه أن يشاطره ماله جميعا (١٠٢) · أى أنه بعد أن ترك حلب قد مدح خمسة من العرب وذلك فى مقابل خمسة من الأعاجم مدحهم بعد تركه حلب ، وهم كافور (الذى انقلب عليهفسلقه بهجاء أنسى الناس ما كان قد قاله فيه من مديح) وفاتك وابن العميد وعضد الدولة · وذلك علاوة على أنه فى شعب بوان قد ذكر بلاد الشام وقبائلها وكرم مشايخها · وفوق هذا فانه فى المرحلة التى يقال انه كان متعصبا فيها للعرب كان يهدد ملوك العرب والعجم على السواء ، وذلك فى قصيدته المشهورة التى قالها فى صباه وورد فيها هذا البيت الشهير :

ميعاد كل رقيق الشفرتين غدا

ومن عصى من ملوك العرب والعجم

اذن فان قول بعض الباحثين انه كان متعصبا للعرب على الأعاجم ، وكان يريد أن يسترد من أيدى هؤلاء زمام الحكم ويعيدها الى العرب قول يفتقر الى الصواب (١٠٣) ·

واذا كنا قد رأينا أن بعض الباحثين المحدثين قد أرجع ثورة المتنبى (المزعومة) الى نزعته العروبية ـ فان للمستشرق الفرنسى ريجيس بلا شير تفسيرا آخر لهذه الثورة ، التى يؤكد أن بعض قصائد ديوان الشاعر تثبت بما لايدع مجالا للريب أنها قد وقعت والتى يقول انها بدأت فى اللاذقية ثم

أمتدت الى الأطراف الغربية لبادية السماوة حيث بنو كلب المستعدون دائما للانتقاض على الدولة : انه يرى أن المتنبى ، وان لم يكن قرمطيـــا هو نفسه ، قد استغل مبادىء القرامطة ، وأن غموض عباراته وما كانت تتسم به مبادىء دعوته من انتهازيه فضلا عن فكرة الامامة كما هى عند القرامطة ربما قد أدت الى شىء من سوء الفهم لما كان يدعو اليه ، اذ ان أى ثائر فى ذلك الوقت كان ينظر اليه على أنه قرمطى (١٠٤) ٠

والحقيقة أنه لاشىء من ذلك صحيح ، فمن جهة لايوجد فى الديوان البتة ما يدل على أن المتنبى قد قام بثورة ، والا كان بلاشير ، وهو الأعجمى الغريب لغة وذوقا عن الأدب العربى بما فيه شعر المتنبى قد رأى وفهم من شعر هذا الشاعر ما لم يره أو يفهمه أحد من العرب منذ المتنبى حتى الآن بما فيهم سجانوه أنفسهم ، فان أحدا طول هذه القرون المتطاولة لم يقل ان فى شعر المتنبى ما يدينه سياسيا ، وحتى الذين يرددون روايات خروجـه معتقدين فى صحتها لم يستطيعوا أن يجدوا فى شعره ما يعـزز دعواهم ولو كان يوجد فى ديوان الشاعر ما يدل «بما لايدع مجالا لأى شك » علىأنه قد قام بثورة لحسمت القضية منذ أول لحظة ولما استطاع المتنبى نفســه أن ينكر ما اتهم به ٠ وكيف يستطيع وهو نفسه ، بناء على دعوى بلاشير ، قد نظم ما يدل على صحة هذا الاتهام (بل وأثبته فى ديوانه بعد ذلك) ؟ ومن جهة ثانية فقد رأينا كيف كانت علاقته ببنى كلب علاقة سيئة ، اذ كان يرى نفسه بينهم كالمسيح بين اليهود وصالح بين ثمود ٠ لقد فهم هذا المستشرق الأعجمى من تهديد المتنبى بالثورة والحرب أنه نفذ فعـــلا هذه التهديدات (١٠٥) ٠ وثالثا فان بلاشير يدعى أن المتنبى قد استغل مبادىء القرامطة ، وهذا غير صحيح (وسوف نتناول ذلك بالتفصيل حين الكلام عن عقيدته ومذهبه) ٠ ورابعا فان كلام بلاشير يعنى أن القدماء ، بسبب النظرة الى أى ثائر على أنه قرمطى ، قد وصفوا المتنبى بأنه قرمطى ٠ وهذه دعوى لا وجود لها الا فى خيال بلاشـــير ، فان المتنبى لم يوصـف بأنه قرطمى الا فى العصر الحديث ، فيما نعرف ٠

ومع ذلك فان بلاشير ، كما رأينا ، وان ادعى أن المتنبى قد استغل

مبادىء القرامطة لم يقل (فى هذه المقالة) انه قرمطى فعلاً · ثم جاء طه حسين فدفع فكرة بلاشير الى نهايتها وزعم على الشاعر ما لم يزعمه هذا المستشرق · وللدكتور طه حسين فى هذه المسألة آراء غريبة يقذفها بغير دليل · انه يرى أن المتنبى قد تعلم أثناء رحلته الى البادية أصول القرامطة وعرف مذاهبهم النظرية والعملية معا ، وأن ابياته التى يقول فيها :

الى أى حين أنت فى زى محـــرم ؟
وحتى متى فى شـــقوة ؟ والى كم ؟
والا تمت تحت الســيوف مكــرما
تمت وتقـــاس الـذل غيـــر مكـــرم
فثب واثقــــا بالله وثبـــة ماجـــد
يرى الموت فى الهيجا جنى النحل فى الفم

وكذلك قصيدته التى منها الأبيات التالية :

يا ايهـــا الملك المصــفى جوهرا
من ذات ذى الملكوت اســمى من ســما
نــور تظــاهر فيك لا هـــويته
فتكــاد تعــلم عــلم ما لن يعلمـــا
ويهم فيــك اذا نطقت فصـــاحة
من كل عضـــو منــك ان يتكلمـــا
انـــا مبصر واظن انـــى نـــائم
من كان يحــلم بالالــه فاحلمـــا
كبـــر العيـــان على حتى انــه
صـــار اليقين من العيـــان توهمـــا

تدل على ذلك (١٠٦) ، وأنه اتصل هنـــاك بداع من دعاة القرامطـــة الذين كانوا يجولون في البادية ، ولعله هو نفسه أبو الفضل الذى قال فيه القصيدة التى منها الأبيات الأخيرة ، ولعله حين عاد الى الكـــوفة قد استصحب الى جانب أبيه (الذى نفى طه حسين كما رأينا قبلا معـــرفة المتنبى به ، لأنه أتى من سفاح !) قوما آخـــرين أتوا لينشروا مـــذهب

القرامطة فى هذه المدينة ۰ (١٠٧) وهو يفسر خروجه بعد ذلك الى بغـداد بأنه ربما تورط مع القرامطة فى هجومهم الثانى عليها (سنة ٣١٥ هـ) ، وانه خاف من عقاب الحكومة ان بقى فى المدينة (١٠٨) ۰ أما رحلة الشاعر الى الشام بعد ذلك فانه يرى أنها كانت للدعوة القرمطية (١٠٩) ۰ وهـذا كله ، كما يرى القارئ ، خبط كخبط الناقة العشواء ، فلا دليل على شيء مما يقول لا فى شعر المتنبى ولافيما كتبه القدماء عنه أو عن القرامطة ۰

أما أبياته الأولى فانها صرخة بائس جائع يرى أن سكوته على حاله البائسة لن يؤدى الى شيء ۰ وحديثه عن الوثوب والموت فى الهيجـــاميتة عزيزة بدل حياة الذل والفقر التى يقاسيها هو حديث معظم الشعراء العرب۰ وينبغى ألا يفوتنا أنه يضع ثقتــه فى الله سبحانه وتعالى ، وقائل هذا لا يمكن أن يكون قرمطيا ۰ هذا ان صدقنا أن غلاما فى نحو العاشرة من عمره يمكن أن يتشرب مبادئ القرامطة ويدعو الى تطبيقها ، وبخاصة أنه كان معه أبوه ۰

وتبقى أبياته الثانية ، ولا أدرى ماذا فيها من قرمطية ۰ ان طه حسين يرى أن قول المتنبى :

أنا مبصر وأظن أنى نـــــائم
من كان يحـــلم بالالـــه فأحلمـــــا ؟

معناه أن أبا الفضل هذا اله يجل عن ان يرى فى يقظة أو منام ۰ والحقيقة أن المتنبى يبالغ (وان كانت مبالغة سخيفة ممقوتة) ، وقصده أنه لا يصدق انه فى علم بل فى حلم ، ولكن كما أن رؤية الله فى الحلم مستحيلة فكذلك لايمكن أن يكون مايراه حلما ۰ وهو ما يعنى ان الذى يراه أمامه هو أبـو الفضل حقيقة لا خيالا (ولو كان يقصد أنه اله كما فهم طه حسين لكانت رؤيته فى المنام أشد استحالة) على حين يقول المتنبى ان رؤيته لممدوحه عيانا هي اليقين ذاته ۰ فالفكرة كما ترى مضطربة لأن المتنبى يقصد أن يقـول

عن ممدوحه انه اله ما قال عنه انه «يكاد» يعلم علم ما لن يعلما ، أى انه لايعلم فعلا الغيب ولكن «يكاد» ٠ وعلى أية حال فان خاتمة القصيدة تدل بدون ذرة من ريب ان المتنبى قد مدحه استجداء ، والقرمطى لا يفعل هذا . كذلك فان المتنبى يشير فى البيت قبل الأخير الى أن ممدوحه مسلم ٠ وخاتمة القصيدة هى :

يا من لجـود يديه فى أمـوالـه
نقم تعـود عـلى اليتـامى انعمـا
حتى يقـول النـاس مـاذا عاقـلا
ويقـول بيت المال : مـاذا مسـلما
اذكـار مثـلك ترك اذكارى لـه
اذ لاتـريد لما أريـد متـرجما

ثم اننا لانسمع باسم ابى الفضل ثانية لافى ديوان المتنبى ولاحياته بعد ذلك ابدا ٠ ثم ان المتنبى قد شارك فى الدفاع عن الكوفة حين رجع من مصر ، ومواقفه العملية تدل على انه كان كارها الخروج على السلطان ٠ كما اننا لاندرى اى قرمطية او اى تأثر بالقرمطية فى أبياته التى مدح بها (فى الشام) محمد بن زريق ، والتى يبالغ فيها (ولم تكن سنة قد جاوزت الثامنة عشرة اذ ذاك)على هذا النحو :

لو كان ذو القـرنين أعمـل رأيه
لمـا أتى الظلمـات صرن شـموسا

(أعمل رأيه : أعمل رأى ممدوحه)

أو كان صـادف راس عـازر سـيفه
فى يوم معـركة لأعيـا عيـسى
او كان لج البحـر مثل يمينـه
ما انشـق حتى جاز فيـه موسى
أو كان للنيران ضـوء جبينـه
عبـدت فكـان العالمـون مجوسـا

وهى مبالغات صبى يتيم محروم أفقده الفقر والجوع رشده ، والا فلو كان قرمطيا افكان ممدوحه الذى انتشى بهذا الكلام أو على الأقل سكت عما فيه

قرمطيا هو أيضا ؟ وهل يحصل القرمطى على قوته بالاستجداء (واستجداء من ؟ استجداء غير قرمطى) أم بالثورة والسيف ؟

ومن المؤكد أن القارىء قد لاحظ أن طه حسين قد أكثر فى بداية تخميناته الجزافية من استخدام كلمة «لعل» • فليعلم أنه سوف ينسى هذا بعد حين ويبنى كل نتائجه على «لعلاته» هذه ، ناسـيا أن المتنبى لم يؤثر عنه زنا أو لواط طول حياته ، والقرامطة لايبالون بدين ولاخلق فى هـذا السبيل • كذلك لم يقتل المتنبى فى الخمسين عاما ونيف التى عاشها أحدا ، اللهم الا العبد الذى غدر به فى الصحراء وهو هارب من كافور يتلفت يمنة ويسرة كلما سمع نبأة أو صر جندب فزعا على حياته المهددة ، فسرق فرسه وأراد قتله ، ومع ذلك لم يقتله بنفسه بل ضرب أنفه بالسيف ، وأجهز عليه غلمانه أما القرامطة فلا يروون عطشهم الا بالدم ، لايتورعون فى ذلك ولا عن قتل النساء والأطفال ، فأين هذا كله من ذاك ؟ (١٠٠) ألست ترى معى أن د • طه حسين قد اشتعل خياله اشـتعالا شـديدا وهو يكتب عن المتنبى فذهب فى بوادى الأوهام كل مذهب ؟ هذا ، وان ما قلته من قبل فى تفنيـد دعوى ثورة الشاعر (عصبية للعرب ورغبة فى اعادة مقاليد الحكم لهم) ينطبق على دعوى قرمطيته وأنه حبس بسببها ، ومن ثمة فلن أمضى مع د • طه حسين أبعد من ذلك • على أنى سأعود الى قرمطية المتنبى المزعومة فاناقشها بالتفصيل فى الفصـــل الذى ســأعقده ان شاء الله لعقيـدته ومذهبه (١١١) •

ويبقى تفسير حبس المتنبى بأن السبب فى ذلك هو علويته • قال بذلك الأستاذ محمد شاكر ، الذى يرى أن العلويين لم يكونوا وحـــدهم الذين يطاردون المتنبى بل والفاطميين والاخشيديين أيضا (١١٢) • وهى مبالغـة تخرج من حدود المنطق ، اذ ما هذا المتنبى الذى تجتمع على حربه ومطاردته دول المشرق الاسلامى كلها التى لم تجتمع يوما على شىء حتى ولا على أعداء الاســلام وأمته ، ثم بعد ذلك لاتفعل به شيئا أكثر من أن تضعه فى السجن عامين بعدهما تطلقه يذهب أنى شاء ، فيعيش فى دولة الاخشيد زمنا ، ثم العراق زمنا ، ثم فى حلب زمنا ، ثم فى مصر الاخشيدية زمنا ،

ثم فى العراق ثانية ، ثم بلاد فارس ، غير متعرضة له بشيء كأنه كان روحا من الأرواح لايرى ولايحس؟الطريف أن الاستاذشاكر بذلك يبدو هنا ملكياأكثر من الملك ، فانه فى الوقت الذى يجعل فيه هذه الدول الثلاث متألبة على المتنبى نرى شاعرنا نفسه حين يستعطف الأمير ليخرجه من السجن لايجد ما يحنن قلب هذا الأمير الا أن يناشده أن يرحم غربته وصغر سنة وبكاء أمه (البعيدة عنه) عليه · يقول :

بيــدى أيهــا الأميــر الأريب
لا لشيء الا لأنى غــــــريب
أو لأم لهـــا اذا ذكـــــرتنى
دم قلب فى دمــع عين يــذوب

ويقول :

تعجــل فى وجـــوب الحـــدود
وحـــدى قبل وجـــوب الســـجود
وقيل : عـــدوت على العـــــالمي
ـــن بين ولادى وبين القعـــــود

لقد فرغنا فى الفصل السابق من أنه لايمكن ان يكون علويا ، وعلى هذا فان كل ما يترتب على هذه الدعوى الباطلة باطل مثلها ·

واذا كنا قد رددنا كل هذه التفســيرات لحبس المتنبى ، فلم حبس المتنبى اذن ؟ لقد رددت كل ما قيل فى ذلك لأنى وجدته مناقضـــا للمنطق الانسانى العام ولشخصية المتنبى وشعره وأحداث حياته الصـــحيحة · ويبدو لى ، والله أعلم (فلست أملك دليلا قاطعا على ما أقول وانما هو أقرب التقديرات فى رأيى الى الصواب) ، ان اعتداد المتنبى بنفسه ، وهو الغريب اليتيم الفقير ، وتكبره على من حوله بل على الناس جميعا لايطامن من ذلك ولايدارى ، كقوله :

أى محـــل أرتقى
أى عظـــيم أتقى
وكل ما خـــــلق اللـــ
ـــه ومــــا لم يخـــلق

محتقـــــر فى همتى
كشــــعرة فى مفـــرقى

وتشبيهه نفسه بالأنبياء ومن حوله بالكفار من اليهود وثمود ، وتهـديده الملوك جميعا بأنه ممتشق حسامه فمطيح برقابهم ، علاوة على ما ربما تنوقل عنه من قطع الطريق والعدوان على الناس (ان صح ما أستنتجته من أنه خالط قطاع الطرق وسار فى نهجهم) هو الذى دفع مبغضيه ، ولابد أنهم كانوا كثيرون ، الى ان يتهموه بأنه يحرض على الفتنه والثورة ويؤلبوا عليه أمير حمص ، الذى سرعان ما أودعه السجن فبقى فيه عامين ٠ ولقد كانت تلك الفترة مليئة بالاضطرابات السياسية والعسكرية والفكرية ، مما كان سببا فى أخذ الوالى بكلام الناس فى الصبى المشاكس الذى لايستطيع لفقره واضطراب الأوضاع من حوله وغربتـــه واعتداده الكاسح بنفسه ، أن يضبط مشاعره ولسانه ٠ وان ظهور ابن على الهاشمى فى حادثه القبض على الصبى المسكين ليجعلنى لا أستبعد أن يكون الشاعر فى أحاديثه (لا فى شعره ، فان شعره يخلو من هذا) قد ردد على مسامع من حوله أنـه علوى (على أساس أنه رضع فيهم ، وأن بعض الروايات تقول انه ادعى أنه علوى حسينى) ، ارادة منه ان يكبر فى نظرهم مادام لا مال له ولاعصبية ولا مكانة اجتماعية مرموقة ، مما ضايق ابن على الهاشمى هذا غيرة منـه على الدين أو رغبة فى اتخاذ الغلام المسكين كبش فداء قبل أن ينمى الى سمع الدولة أن أحد العلويين يهيج الناس ويهدد باحداث ثورة لاتبقى ولاتذر فتقوم هذه فتقبض على العلويين بالمنطقة وتنزل بهم تنكيلها ، الذى سيكون الهاشمى هذا من أول من يصلون ناره ، والهاشـــميون قدبشـــموا من التنكيل والاضطهاد فهم لايفتقرون الى مزيد ! وهذا العلوى هو الذى يقول فيه المتنبى :

زعم المقيم بكـــوتكين بأنه
من آل هاشـــم بن عبــــد منــاف
فأجبتـــــه مذ صرت من أبـــائهم
صــــارت قيـــودهم من الصفصــــاف

وربما لم يكن ابن على هذا هاشميا حقـــا ، انما هو واحد من أنصـار

الفاطميين الذين يعملون لحسابهم سرا فى تلك البقاع ، فأراد بقبضـــه على المتنبى التقرب من الدولة امعانا فى التخفى عن عيونها وشكوكها ٠

هذا هو السبب عندى فى حبس المتنبى ، لا أسبح فيه مع الخيال ولا أقطع به قطعا ٠ انما هو أقرب التقديرات فى رأيى الى الصواب ، لأنه أكثر اقناعا من كل ما قيل ولأنه مؤسس على ما بين أيدينا من شعر الشـاعر وما نعرفه من شخصيته وأحداث حياته وبالذات سنه وغربته حين القبض عليه وايداعه السجن ٠ ولو كان المتنبى قد قام فعلا بثورة لكانوا عذبوه ولما أطلقوا سراحة من السجن بعد سنتين فقط ، بل ولرأينا معه فى السجن بعض أنصاره الذين ثاروا معه وحملوا السلاح وحاربوا الدولة ، وهو ما لم نسمع به قط بل وما ينفيه هو فى شعره اذ يقول :

وكنت من النـــــاس فى محفـــــل

فقـــد صرت فى محفـــل من قـــــرود

فانه لايمكن ان يصف أتباعه وأنصاره بأنهم قرود ٠ أما لو كان قد تنبأ فأغلب الظن أنه كان سيقتل ، وبخاصة أنه لا عصبيه له ، فلن يسأل عنه أحد أو يتشفع له لدى الحاكم ، كما رأينا خلال تينك السنتين اللتين قضاهما فى السجن ، أو على الأقل كان سيعذب وينكل به نكالا شديدا ٠

(هــــوامش الفصـــــل الثانى)

(١) شرح ابن جنى على ديوان المتنبى · ص ٩٩ (مخطـــوط بدار الكتب رقم ٣) نقلا عن د · محمد عبد الرحمن شعيب / المتنبى بين ناقديه ص ٢٤ · وقد أورد ابن العديم هذا الخبر بنصه ولكن عن على بن أيوب بن الحسن · انظر شاكر / السفر الثانى · ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦ ·

(٢) يتيمة الدهر /جـ١ · ص ١٢٨ ·

(٣) السابق / جـ ١ · ص ١٢٩ ·

(٤) السابق / جـ ١ · ص ١٢٩ـ١٣٠ ·

(٥) رسالة الغفران · ص ٢٩ـ٣٠ ·

(٦) السابق · ص ٤١٨ـ٤١٩ ·

(٧) الغفران · ص ٤١٨ · فقد أبدى المعرى تشككه فى أن يجتمع اثنان على تصنيف كتاب الا أن يكتب أحدهما جزءا ويكتب الثانى جزءاً اخر ·ص٤٢٤ كماذكرت د·بنت الشاطىء محققة الكتاب أنابن النديملميذكر للقطربلى وابن أبى الأزهر كتابا عن المتنبى · انظر ص ٤١٨ بالهامش · وسوف نعود الى هذه النقطة فيما بعد ·

(٨) يحكى ابن فورجه فى كتابه «التجنى على ابن جنى» أن أبا العلاء قد أخبره بهذه القصة ولكن مع هذا الاختلاف : وهو أن المتنبى « قام اليه وتفل عليها وأمسكها ساعة بيده ، ثم أرسلها وقد أندملت بدمها ، فجعل

يعجب من ذلك ويرى من حضر أن ذلك من معجزاته » (من«بغيـة الطلب» لابن العديم ، فى شاكر / السفر الثانى ص ٢٦٤ـ٢٦٥) ٠ وسوف أعـود ألى ذلك فيما بعد ٠

(٩) رسالة الغفران ٠ ص ٢٤٣ـ٤٢٤ ٠

(١٠) انظر أنيس المقدس ٠ أمراء الشعر فى العصر العباسى ٠ ص ٣٣٠ ٠

(١١) تاريخ بغداد ٠ مجلد ٤ ٠ ص ١٠٣ـ١٠٤ ٠

(١٢) المرجع السابق ٠ مجلد ٤ ٠ ص ١٠٤ ٠

(١٣) نفس المرجع ٠ ص ١٠٤ ٠

(١٤) يبدو أن معناها هو مانقصده فى كلامنا العامى حين نقول : «البعيد» ٠ وفى «نزهة الألبا » للأنبارى المتأخر عن البغدادى : « لولا أن أخى جاهل » ٠ وواضح أن هذا تصحيف ، لأنه لايعقل أن يقـــول «أخى» وهو يقصد الاساءة اليه ٠

(١٥) الموضع السابق ٠

(١٦) المرجع والموضع السابق ٠

(١٧) انظر فى غمزه لأبى حنيفة ٠ كتاب «تاريخ بغداد» / جـ ١٣ ٠ ص ٣٣٢ ، وص ٣٧١ وما بعدها ، وص ٣٩٩ وما بعدها ، وص ٤١٣ ٠ و «الاعلام» جـ ١ ٠ ص ١٧٢ هـ ١ (النهر الثالث) ٠

(١٨) انظر ترجمته للمتنبى فى شاكر / السفر الثانى ٠ وهذا النص موجود فى ص ٣١٨ ـ ٣١٩ من السفر المذكور ٠

(١٩) السابق · ص ٣٢٥ ·

(٢٠) شاكر/السفر الثانى · ص ٢٥٢ـ٢٥٣ ·

(٢١) المرجع السـابق · ص ٢٥٧ـ٢٥٨ ·

(٢٢) السابق · ص ٢٥٨ ·

(٢٣) انظر هامش ص ٢٦١ ·

(٢٤) شاكر/السفر الثانى · ص٢٦٠ـ٢٦٤ · ويفهم مما ذكره د · شعيب فى كتابه «المتنبى بين ناقديه» (ص ٢٢ـ٢٣) أن البديعى هو أول من روى هذه القصة · ولكن اتضح بعد أن نشر الأستاذ شاكر فى ذيل سفره الثانى من كتابه «المتنبى» ترجمة ابن العديم للشاعر أن الأمر ليس كذلك ، بل ان المقريزى أيضا قد ذكرها قبل البديعى بقرون · ولعل هذا قد نقلها عن واحد منهما ·

(٢٥) شاكر / السفر الثانى · ص ٢٦٥ ·

(٢٦) السابق · ص ٢٦٩ـ٢٧٠ ·

(٢٧) السابق · ص ٢٧١ ·

(٢٨) وفيات الأعيان/جـ ١ · ص ١٠٣ ·

(٢٩) شاكر/السفر الثانى · ص ٣٤٣ ·

(٣٠) شاكر/السفر الاول · ص ٨٨ـ٨٩ ·

(٣١) السابق · ص ٨٩ ·

(٣٢) السابق ، ص ٨٩ ٠

(٣٣) العكبرى/جـ ٤ ٠ ص ٤٤ ٠

(٣٤) شاكر/السفر الأول ٠ ص ٩١ ٠

(٣٥) انظر الترتيب التاريخى لهذه القصيدة فى الواحدى ، الذى ينقل عنه مصححو شرح العكبرى ترتيبه لقصائد المتنبى جميعها فى آخر الجزء الرابع ٠ والذى يهمنا منه هنا ص ٣١٠ جـ ٤ عكبرى ، حيث ترد قصيدة المتنبى فى التنوخى هذا بعد شعره الذى قاله فى الحبس بعشرين قصيدة ومقطوعة ٠

(٣٦) انظر اليازجى / العرف الطيب / مجلد ١ ٠ ص٢٧ ، حيث يقدم هذه الأبيات بقوله : «وله فى معاذ الصيدانى» فهل هو معاذ آخر ؟ ان اليازجى لايذكر لنا من أين أتى بنسبته هذه ٠ أما من ذكروا أنه معاذ اللاذقى فهم محققو «الصبح المنبى» هـ ١ ٠ ص ٥٢ ٠

(٣٧) انظر مثلا انيس المقدسى / أمراء الشعر فى العصر العباسى ص ٢٢٩ـ٢٣٠ و د٠ شعيب / المتنبى بين ناقديه ٠ ص ٢٣ ٠

(٣٨) رسالة الغفران ٠ ص ٤١٨،٤٢٤ ٠

(٣٩) المرجع السابق ٠ هـ ٣ ٠ ص ٢٩ ٠

(٤٠) انظر ما قاله ابن العديم فى شاكر/السفر الثانى ٠ ص ٢٦٨ ٠

(٤١) انظر النص فى شاكر / السفر الثانى ٠ ص ٢٦٨ـ٢٦٩ ٠

(٤٢) رسالة الغفران ٠ ص ٤١٩ـ٤٢٠ ٠

(٤٣) المرجع السابق ٠ ص ٤٢٣ـ٤٢٤ ٠

(٤٤) مطالعات فى الكتب والحياة ٠ ص ١٢٦ ٠

(٤٥) انظر مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق/مجلد ١٠/ج٧/تموز ١٩٢٠ ٠ ص ٣٨٧ ٠

(٤٦) انظر مع المتنبى ٠ ص ٩٨ـ٩٩ ٠

(٤٧) انظر مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق/مجلد١٠/ج٧ ٠ ص ٣٩١ـ٣٩٢ ٠

(٤٨) انظر رواية ابن فورجـــه فى شـــاكر / السفر الثانى ٠ ص ٢٦٤ـ٢٦٥ ٠

(٤٩) يتيمة الدهر / جـ ١ ٠ ص ١٢٨ ـ ١٢٩ ٠

(٥٠) انظر شاكر / السفر الثانى ٠ ص ٢٦٠ ٠

(٥١) انظر فى هذه القصة مثلا «خزانة الأدب» / جـ ٢ ٠ ص ٣٥٠ ـ ٣٥١ ٠

(٥٢) انظر «الأعلام» للزركلى / جـ ٧ ص ٢٠ ، وهو ينقل ذلك عن اليتيمة ٠ «والصبح المنبى» ص ١٤٤ ٠هـ٨ وص ١٤٥ ٠

(٥٣) انظر د ٠ مصطفى الشكعة/فنون الشعر فى مجتمع الحمدانيين ص ٢٥٦ـ٢٥٧ ٠

(٥٤) انظر كتابه «ابو الطيب المتنبى فى مصر والعراقين » ٠ ص ٥١،٦٣ ٠

(٥٥) انظر بروكلمان / جـ ٢ ٠ ص ٦٠ و «الصبح المنبى»٥٠٤٠هـ٤

«والقاموس الاسلامى» لعطية الله جـ ٢ مادة «ابن الحجاج» · وانظر ما جمعه الزركلى فى «الاعـــلام» من آراء مترجميـــــه فيــه ، فى جـ ٢ · ص ٢٣١ تحت عنوان «ابن حجاج» ، وهى آراء لاتبعث أبدا على الاطمئنـــان لشهادته فى قضية خطيرة كهذه · وانظر «العربية» ليوهان فك ص ١٨٩، ١٩٦ ·

(٥٦) انظر «مطالعات فى الكتب والحياة » · ص ١٣٠ ·

(٥٧) وذلك فى اشارة عابرة له بـ «العرف الطيب» / مجلد ١ · ص ١٠ وكذلك ص ٥٨ فى الهامش ·

(٥٨) انظر «تاريخ آداب اللغة العربية » / جـ ٢·ص ٢٤٨ـ٢٤٩ · ويظهر من كلامه أن المتنبى حبس بالشام مرتين : الأولى لطلبه الفتح وأخذه بيعة الناس على ذلك ، والثانية لتنبئه بعدما «فرغ من الفتح » على حـــد تعبيره · وهو اضطراب ظاهر ناتج فيما يبدو من محاولته الأخذ بروايات مختلفة فى تفسير سجن المتنبى والتوفيق بينها ·

(٥٩) انظر شاكر / السفر الثانى · ص ١٨٥ وما بعدها ، ١٩٦ وما بعدها ··· الخ ·

(٦٠) «المهدى والمهدوية» ·ص ٥٠ ، «وفيض الخاطر» جـ ٤ · ص ٩٣ـ٩٤ ·

(٦١) انظر اشارته الى قرآن المتنبى على أنه أمر مسلم به ·ص ٤٦ من كتاب د · عبد الرحمن بدوى « من تاريخ الالحاد فى الاسلام » ·

(٦٢) A Literary History of Arabs ص ٢٠٤ ·

(٦٣) History of the Arabs ص ٤٥٨ ·

(٦٤) انظر ترجمته للمتنبى فى ٠
A Penguine Companion to Literature 4 : Classical & Byzantine & Oriental & African Literature . ص ٢٨٣ ٠

(٦٥) انظر كتابه « سيف الدولة وعصر الحمدانيين » ٠ ص ١٣٥ ـ ١٣٦ ٠

(٦٦) المتنبى فى مصر والعراقين ٠ ص ٥٦،٦٣ ٠

(٦٧) انظر شاكر / السفر الثانى ص ١٩١ـ١٩٢ حيث تساءل نفس هذه الاسئلة من قبل ٠

(٦٨) انظر قصيدته فى مدح ابن كيغلغ واستعطافه اياه فى السجن فى العكبرى / جـ ١ ص ٣٤١ وهجائيته فيه جـ ٤ ٠ ص ١٢١ ، علاوة على مقطوعة أخرى يهجوه بها جـ ٣ ٠ ص ٢٦٣ وانظر طه حسين/مع المتنبى ٠ ص ١٠٢ ، ١٥٦ـ١٥٧ ٠

(٦٩) انظر « أبو الطيب المتنبى فى مصر والعراقين» ٠ ص ٦٢ نقلا عن ابن وكيع التنيسى ٠

(٧٠) نفس المرجع السابق والصفحة ٠

(٧١) السـابق ٠ ص ٥٦ ٠

(٧٢) انظر فى ترجمة أبى دلف هذا هـ ٤ ٠ ص ٦١ من «الصبح المنبى » ٠

(٧٣) انظر «تاريخ بغداد» / مجلد ٤ ٠ ص ١٠٣ـ١٠٤ ، «ووفيات الأعيان» / جـ ١٠ ص ١٠٣ ، وابن عساكر فى شاكر/السفر الثانى ص ٣١٨ ٠ وبن العديم فى شاكر / السفر الثانى ص ٢٥٦،٢٥٩ ، والمقريزى فى شاكر / السفر الثانى ٠ ص ٣٤٣ـ٣٤٤ «والصبح المنبى» ٠ ص ٥٩ ٠

(٧٤) انظر بيتين فى العكبرى / جـ ٤ ٠ ص ٤٦ يرد فيهما تحيــة واحد من بنى كلاب شرب كأسا من الخمر سرورا به (فى صحته ، كما يقال اليوم) ٠

(٧٥) انظر القصيدة فى العكبرى / جـ ٣ ٠ ص ١٦٢ـ١٧٢ ٠

(٧٦) انظر العكبرى / جـ ٢ ٠ ص ١٠٠ ، وكذلك ص ١٠٢،١٠٣، ١٠٨ حيث يذكر كلاب بالاسم وسلمية وبادية السماوة ٠

(٧٧) وانظر قصيدة أخرى فى نفس الغرض فى العكبرى / جـ ١ ٠ ص ٧٥ ، وان كان يرجو سيف الدولة الرفق بهم حتى لايفقدهم ٠

(٧٨) « أبو الطيب المتنبى فى مصر والعراقين » ٠ ص ٦٣ ٠

(٧٩) انظر فى سلمية « القاموس الاسلامى » مجلد ٣ ٠ ص ٤٤٥ مثلا ٠

(٨٠) القصيدة موجودة فى العكبرى / جـ٣ ٠ ص ٢٨٩ـ٢٩٩ ٠

(٨١) «أبو الطيب المتنبى فى مصر والعراقين » ٠ ص ٦٠ ٠

(٨٢) عكبرى / جـ ٤ ٠ ص ٩٢١ ٠

(٨٣) انظر القصيدة فى العكبرى / جـ ٤ ٠ ص ٤٧ ٠

(٨٤) د ٠ عبد الوهاب عزام / ذكرى أبى الطيب بعد ألف عام ٠ ص ٧٥ـ٧٦ ٠

(٨٥) للدكتور النعمان القاضى هنا رأى سأناقشه ان شاء الله بعــد قليل ٠

(٨٦) انظر زكى المحاسنى / المتنبى · ص ٢٨ · وانظر انعـــام الجندى / دراسات فى الأدب العربى ص ٢٠٥ـ٢٠٩ ، ٢٢٤ـ٢٢٥ ،وكذلك ابراهيم العريض ، الذى يرى أن المتنبى كان يؤمن بالوحدة العربية ، وظل يحلم بها طول حياته ، وترك لنا مخططات تلك «الرسالة» في ديوانه (فن المتنبى بعد ألف عام · ص ٣٠،٨٨،١٠٩ مثلا) ·

(٨٧) كافوريات أبى الطيب · ص ٩٩ وما بعدها ·

(٨٨) المرجع السابق · ص ١١٤ ·

(٨٩) السابق · ص ١٣٩ ، وانظر كذلك ص ٤٢٥ـ٤٢٦ ·

(٩٠) انظر فى المظالم والمغـارم التى كان يوقعهـا سيف الدولـــة والحمدانيون عموما برعاياهم د · درويش الجندى / الشعر فى ظل سيف الدولة · ص ٧٣ ـ ٧٧ و د · مصطفى الشكعة / سيف الدولة الحمدانى أو مملكة السيف ودولة الأقلام · ص ٣٠١ ·

(٩١) يحكى د · درويش الجندى أطرافا من مغامراتهم وحروبهم من أجل تأسيس دولتهم ، فى كتابه / الشعر فى ظل سيف الدولة · ص ٥٢ وما بعدها · وانظر «الشاعر الطموح» لعلى الجارم · ص ٤٣ حيث يناجى المتنبى نفسه ذاكرا ماضى الحمدانيين وكيف بلغوا ما هم فيه من سلطان ·

(٩٢) انظر شاكر/السفر الأول · ص ٢٥٧ ، وقد نقل ذلك فيما يبدو عن ابن عساكر · انظر السفر الثانى · ص ٣٢٥ ·

(٩٣) انظر فى ذلك العكبرى/٤ · ص ٢٩٠ ·

(٩٤) انظر المرجع السابق / جـ ١ · ص ١٧١ ·

(٩٥) انظر كافوريات أبى الطيب · ص ٢١٧ـ٢١٨ ·

(٩٦) السابق · ص ١٠٩ـ١١٠ ·

(٩٧) أنظر « أبو الطيب فى مصر والعراقين » · ص ٥٦ـ٥٧ · وابن العديم في شاكر / السفر الثاني · ص ٢٥٠ وهامشها ·

(٩٨ انظر «أبو الطيب المتنبى فى مصر والعراقين » ، ص ٣٩٨ ـ ٤٠٤ ·

(٩٩) انظر فى مدح مساور العكبرى / جـ ١ · ص ٢٤٣ ـ ٢٢٥ و جـ ٢·ص ٨٢ـ٨٥ ، وعبيد الله ابن خلكان · جـ ١ · ص ٢٢٥ـ٢٢٦ ، ويماك جـ ١ · ص ٤٩ـ٥٦ و جـ ٢·ص ٢٢٠ وابن كيغلغ جـ ١ · ص ٣٤١ · وفى مدح ابن كيغلغ انظر أيضا طه حسين فى كتابه/مع المتنبى ص ١٠٢ وفى مدح الروذبازى انظر العكبرى / ٢ · ص ١٧٣ـ١٨٤ ·

(١٠٠) العكبرى/جـ ٤ · ص ٢٤٢ ـ ٢٤٥ ·

(١٠١) المرجع السابق/جـ ٤ · ص ٢٤٩ـ٢٥١ ·

(١٠٢) انظر «الصبح المنبى» · ص ١٤٥ ـ ١٤٦ ·

(١٠٣) انظر «ذكرى أبى الطيب بعد ألف عام» · ص ٢٦٠ـ٢٦٥ ، حيث يتحدث د · عزام عن العصبية العربية لدى المتنبى ، و«عروبية المتنبى» لشفيق جبرى (وهى محاضرة بمجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ، مجلد ١٠،جـ ٦ · ص ٣٢ وما بعدها) حيث ينتهى به الأمر الى أن جعل العروبة أبعد أفقا من الاسلام ، الذى ما ذهب اليه المتنبى فى شعره ، على حد تعبيره الامجاراة لطبيعة الحرب بين الروم والمسلمين · وهى نتيجة غريبة ومريبة لا أدرى كيف انتهى اليها الكاتب · على كل حال فانى لا أفهم هذه الضجـة التى يثيرها هؤلاء الباحثون حول عروبية المتنبى أو شعوبيته ، فان العرب والأعاجم كلاهما مسلم ، واذا كانت قد ثارت العصبية بينهما فيما غبر من

الزمان فينبغي علينا نحن مسلمى هذا العصر أن نتعلم من دروس الماضى وألا ننفخ فى هذه النار الكريهة ، فلا العرب أفضل لعروبتهم من الأعاجم ، ولاهؤلاء بجنسهم أفضل من العرب ، وانما الأفضلية ، كما قال سيدنا رسول الله ﷺ ، فى «التقوى والعمل الصالح »

(١٠٤) انظر مقالته عن «المتنبى» فى The Encyclopaedia of Islam مجلد /٢ص/٧٨٢ أما مواضع القصائد التى أشار اليها فهى ص ٤٩ـ٥٨،٨٦ فى الواحدى ، ص / ٢٨ـ٣٣،٥٠ فى اليازجى ٠ والمضحك أن أهم قصيدة فى هذه القصائد انما يتحدث فيها المتنبى على لسان بعض التنوخيين لا بلسانه هو ٠ فانظر قلة الفهم التى يتمتع بها بلاشير ٠

(١٠٥) هذه شنشنة معروفة عن بلاشير ٠ لقد ترجم القرآن الكريم الى الفرنسية ، وكانت له فى الهوامش تخطئات كثيرة لهذا الكتاب المجيد من جهة النحو والأسلوب تدل على جهل وخبث وغرور غليظ ٠ فهل من يقدم على هذه السقطة الشنعاء يستبعد منه أن يسىء فهم المتنبى وكلامه ؟ من يرد أن يعرف سقطات هذا الرجل المخزية فى ترجمته للقرآن وأحكامه عليه يمكنه أن يرجع الى كتابى « المستشرقون والقرآن » ٠ الفصل الرابع من الباب الأول ، وتعليقاتى فى الباب الثانى على الفصل الرابع ، الذى هو عبارة عن ترجمة لما كتبه عن القرآن الكريم فى الجزء الثانى من كتابه عن الأدب العربى ٠

(١٠٦) مع المتنبى ٠ ص ٤٣ـ٤٥ ٠

(١٠٧) المرجع السابق ٠ ص ٤٥ ٠

(١٠٨) السابق ٠ ص ٤٦ ٠

(١٠٩) السابق ٠ ص ٤٧ ٠

(١١٠) انظر «الفرق بين الفرق» ٠ ص ٢٧٠ ومابعدها ، و «الغلو والفرق الغالية » ص ١١١ـ١١٢ و د ٠ شوقى ضيف/العصر العباسى الثانى ص ٣٣ـ٤٢ ، وحتى (بالانجليزية) ص ٤٤٤ ـ ٤٤٥ وأحمد أمين / ظهر الاسلام ٠ جـ ٤٠ص ١٣٢ ـ ١٣٤ ٠

(١١١) ممن قالوا بقرمطية المتنبى أو تاثره بالقرامطة د ٠ أحمد امين / المهدى والمهدوية ٠ ص ٤٩ـ٥١ ، و د ٠ شوقى ضيف / الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ٠ ص ٣٠٤ ٠ ومن الواضح أنهما متأثران بماكتبه طه حسين ، الذى كان متاثرا بدوره ببلاشير وما سينيون ، وربما تاثرا أيضا بما كتبه هذان مباشرة ٠

(١١٢) انظر شاكر / السفر الاول ٠ الفصل السادس ٩٣ـ١٠٤ ٠

(١١٣) الديوان ٠ ص ٣٨ ٠

الفصل الثالث

(عقيـــــــدته)

لم يتهم المتنبى فحسب بأنه ادعى النبوة فى صغره بل اتهم أيضا بأنه كان ضعيف العقيدة ٠ ويبدو أن هذه التهمة وجهت اليه فى حياته ، بل كانت سببا فى غض فريق من النقاد من شعره ، فان القاضى الجرجانى ، وهو معاصر له (٢٩٠ـ٣٦٦ هـ)، يقول : « والعجب ممن ينقص أبا الطيب ويغض من شعره لأبيات وجدها تدل على ضعف العقيدة وفساد المذهب فى الديانة ، كقوله :

يترشـــفن من فمى رشـــفات
هن فيه أحـــلى من التوحيـــد

وقوله :

وأبهـــــر آيـــات التهـــامى أنـــه
أبوكم واحـــدى مالكم من مناقب » (١)

أكثر من ذلك أن الجرجانى ، فيما يبدو ، لايحاول أن يدفع عن المتنبى هذه القالة بل كان همه أن يبين أن طريقى الدين والنقد الأدبى مختلفان ٠ ونص كلامه هو : « فلو كانت الديانة عارا على الشعر ، وكان سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر لوجب أن يمحى اسم أبى نواس من الدواوين ويحذف ذكره اذا عدت الطبقات ، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية ومن تشهد عليه الأمة بالكفر ٠٠ ولكن الأمرين متباينان ، والدين بمعزل عن الشعر » (٢) ٠

وبعد الجرجانى تلقى العميدى (ت ٤٣٣) صاحب «الابانة عن سرقات المتنبى »الذى رغم قوله انه لايطعن فى دينه ولانسبه ، ولايذمه فى اعتقاده ومذهبه لأنه لايسوغ له ان يثلبه بالحاده أو يعيبه لسقوط آبائه وأجداده لأنه يعرف جيدا أن أكثر من يستشهد بأشعارهم المشركون الكفار والمنافقـــون والفجار ، فان هذا الكلام لايحتمل أدنى ريب فى أنه يتهمـــــه فى دينـــه واعتقاده (٣) ٠ أى أنه اذ كان الجرجانى يقول ان قوما قد وجدوا فى

شعر المتنبى أبياتا تدل على ضعف العقيدة فان العميدى يطعن فى دينه ويتهمه بالالحاد ٠

أما ابن رشيق (٣٩٠ــ٣٦٤ هـ) فانه ينظر الى مثل الأبيات من الناحية النقدية فيرى فيها مبالغة وغلوا وأنه ان امكن تأويل بعضـــها بما لايمس عقيدته فقد كان الأفضل له لو ترك هذا الغلو وبخاصة حين يجد له مندوحة عن ذلك ٠

فاذا وصلنا الى ابن العديم (٥٥٨ــ٦٦٠ هـ) وجدناه ينقل عن ياقوت الحموى ، الذى ينقل بدوره عن الأصبهانى (صاحب «ايضاح المشكل لشعر المتنبى ») قوله : «وقد تعلق قوم ممن يتعصب على المتنبى ، فانتزع من شعره أبياتا زعم أنها تدل على فساد اعتقاد ، وقد جعل لها من يتعصب له وجها ، منها :

هـــــون على بصر ما شـــــق منظره
فانمـــــا يقظـــــاب العين كالحـــــلم

قالوا : هذا البيت من اعتقاد السوفسطائية ، وقوله فى أخرى :

تمتع من ســـــهاد أو رقـــــاد
ولا تأمـــــل كـــــرى تحت الرجـــــام
فان الثـــــالث الحـــــالين معنى
ســـــوى معنى انتبـــــاهك والمنـــــام

قالوا : فهذا ينبىء عن اعتقاد الحشيشية ، وقوله فى أخـرى :

تخـــالف الناس حتى لا اتفـــاق لهم
الا على شـــجب ، والخلـــف فى الشجب
فقيل : تسلم نفس المرء باقيـــة
وقيل : تشرك جســـم المرء فى العطب

قالوا : فهذا مذهب من يقول بالنفس الناطقة ، وقوله فى عضد الدولة :

نحن بنـــو الدنيـــا ، فما بالنـــا
نعـــاف ما لابـــد من شربـــه

تبخــل أيدينــــا بأرواحنــا

علــى زمــان هى من كســبه

فهــذه الأرواح من جــــوه

وهــذه الأجســاد من تربــه

فهذا مذهب الهــوائية وأصحاب الفضاء ، وقوله فى ابن العميد :

يعللنــا هذا الزمان بذا الــوعد

ويخــدع عمـا فى يديــه من النقـد

فان يكن المهــدى من بــان هــديه

فهــذا والا فالهــدى ذا فما المهــدى

قالوا : فهذا مذهب أهل النجوم (٤)

واذا كان الأصبهانى ، فيما يبدو ، لايوافق من يتهم المتنبى فى عقيدته على أساس من هذه الأبيات ، التى لايعدم المتشيعون له وجها يؤولونها عليه فان صاب «خزانة الأداب» (١٠٣٠ـ١٠٩٣) يورد هذه الأبيات نفسها قائلا ان المتنبى «فى الجملة خبيث الاعتقاد» وانه «كان فى صغر وقع الى واحد يكنى أبا الفضل بالكوفة من المتفلسفة فهوسه وأضله كما ضل » ، ومقدمات لها بقوله : «وأما ما يدل عليه شعره فمتلون» ٠ثم يورد الأبيات السابقة مع بعض الاختلاف فى عزو بيتى الشاهد الثــانى ، اللذين ينســبهما الى السوفسطائية على حين ينسبان فى نص الأصبهانى الى الحشيشية ، كذلك بتيى الشاهد الأخير ، اللذين يقول انهما يدلان على مذهب الشيعة بينمـا يدلان عند الأصبهانى على مذهب أهل النجوم ، وهكذا ٠ ثم ينهى كلامه هذا بقوله : « والانسان اذا خلع ربقة الاسلام من عنقة وأسلمه الله عز وجل الى حوله وقوته وجد فى الضلالات مجالا واسعا » ٠ (٥) ليس ذلك فقط ، بل أن المتنبى قداتهم كذلك بثلاث : أنه «ماصام ولاصلى وقرأ القرآن» (٦) ٠

هذا ما وقع لى مما قاله القدماء فى دينه وعقيدته ، ثم جاء المحدثون فاستشهد فريق منهم بأمثال هذه الأبيات التى مرت ووصفوه بالزندقة ، وان كان بعضهم قد أول بعضا منها بما لا يسىء الى عقيدة الشاعر ٠ وعلى

رأس الذين اتهموه بالزندقة بل بالكفر والالحاد الدكتور مهدى علام ، الذى الذى استقصى تقريبا كل ما يؤاخذ عليه الشاعر فى هذا السبيل ، والذى يقول : « اننا نكاد لانجد بين دفتى الديوان ما يدل على أنه كان للمتنبى عقيدة راسخة فى دينه أو رأى وقور فى الخالق العلى ورسله الكرام ٠ فلدى أقل المناسبات يندفع شاعرنا اندفاع من لاحرمة للدين عنده فى تشبيه نفسه وممدوحه بالرسل الكرام بل بالذات العلية ٠ وهو يلحد مبكرا ، ويصر على الحاده شابا وكهلا » (٧) ٠ ثم يمضى الأستاذ الدكتور ويسوق الشواهد على صحة حكمه على عقيدة الشاعر قائلا انه « يقول فى صباه مشبها نفسه بالمسيح :

ما مقـــامى بأرض نخـــلة الا
كمقـــام المســيح بين اليهــــود

ويمدح ، وهو صبى كذلك ، محمد بن أوس بن معن الأزدى فيقول :

أمريد مثـــل محمـــد فى عصرنا
لا تبلنـــا بطـــلاب ما لايلـــحق
لم يخـــلق الرحمن مثـــل محمـــد
أحـــدا ، وظنى أنـــه لا يخـــلق

فهو هنا يتحكم فى ارادة الله بغير ما يليق من مؤمن أولا ، وبغير ما يقره عليه التاريخ ثانيا ٠ وارضاء ممدوحه مقدم على ارضاء الله ٠٠٠ (اننا) لانستطيع أن نقبل منه تفضيله هذا الممدوح على نبيين كريمين حين يقول :

أو كان صـــادف رأس عازر ســـيفه
فى يـــوم معـــركة لأعيـــا عيسى
أو كان لج البحـــر مثـــل يمينـــه
ما انشـــق حتى جـــاز فيـــه موسى
أو كان للنيـــران ضـــوء جبينـــه
عبـــدت فكـــان العالمـــون مجوســـا

. . . .

وله فى مدح كل ولى زندقة ، فهو يقول لمحمد بن اسحاق التنوخى :

كُفل الثناء له بـرد حياته
لما انطوى فكأنه منشـور
وكأنما عيسى بن مريم ذكره
وكأن عـازر شخصه المقبـور

ويقول له مرة أخرى :

ملك تكون كيف شـاء كأنمـا
يجرى بفضل قضائه المقدور

ويكرر هذا المعنى لممدوح آخر اذ يقول :

فما تـرزق الأقـدار من أنت حـارم
ولاتحرم الأقدار من أنت رازق

ويكفر لبدر بن عمار ثلاث مرات فى ثلاث قصائد ، فيقول مرة ... :

لو كان علمك بالاله مقسـما
فى النـاس ما بعث الاله رسـولا
لو كان لفظك فيهمو ما أنـزل الـ
ـفرقان والتـوارة والانجيـلا

... (ويقول) مرة أخرى ... :

يا بـدر انك ، والحديث شجون ،
من لـم يكن لمثـاله تكـوين
لعظمت حتى لـو تكـون أمانـة
ما كـان مؤتمنـا بهـا جبـرين

وفى الثالثة ، وهى ثالثة الأثافى ، يقول : رضينا أن نسجد له ، ولكنه لم يرض منا ذلك فتركنا السجود ، لاخوفا من الله ، ولكن طلبا لرضا بن عمار:

طلبنـا رضـاه بتـرك الـذى
رضـينا له فتركنـا السجودا » (٨)

وعلى هذه الوتيرة يمضى الأستاذ الدكتور موردا عددا آخر من الشواهد نجتزىء منها بالآتى ، وهو أشدها :

جـاوزت مقـدار الشجاعة والنهى
الى قـول قـوم : أنت بالغيب عالم

★ ★ ★

ان كان مثـــلك كان أو هـــو كـــائن

فبـــرئت حينئـــذ من الاســـــلام

★ ★ ★

قضـــــــاء من الله العـــلى أراده

الا ربمـــــا كـــانت ارادتـــــه شرا

★ ★ ★

واذا طلبت رضـــا الأميـــر بشربهـــا

واخـــذتها فلقـــد تـــركت الأحـــرما

(بشربها : أى الخمر)

وهو يعقب على ذلك كله بقوله انه « ليس فيما يرويه المؤرخون عن حيـاة أبى الطيب ما يحملنا على انتحال المعاذير له فى هذه الزندقـــة أو تلمس التأويل لشعره فيما هو صريح فى الخروج على عنعنات الدين ،فقد روى عنه الثقات أنه ما صلى ولاصام ولا سمع يقرأ القرآن ٠ ومن كانت تلك حيـاته وهذا شعره لايجوز أن يقال : ان لفظه جاوز قصده ، ولاسيما أنه فى هذا التزندق ملح معيد لاعابر سبيل ، يقلب المعنى على جميـع وجـــوهه فى القصيدة الواحدة ، ويكرره فى غيرها ، ويبتكر غيره مما يتورع عنه أقل الناس تأثما وتحرجا » (٩) ٠ وقد ساق الأستاذ الدكتور البيتين التالين للمتنبى :

أبعين مفتقـــر اليـــك نظـــرتنى

فأهنتنى وقـــذفتنى من حـــالق

لســـت الملـــوم ٠ أنا الملـــوم لأننى

أنزلت آمـــالى بغيـــر الخـــالق

ولكنه لم ير الايمان الذى فيهما الا دليلا على العجز والضعف واليـأس ، وهو ما يتسق مع نظرته الى الشاعر بوصفه زنديقا كافرا ملحدا ، أى أنه مادام كذلك فأى شىء فى شعره يدل على خلاف ذلك فـلا يمكن أن يكون نابعا من الضمير (١٠) ٠

اما الاستاذ على أدهم والدكتور مصطفى الشكعة فانهما ينسبانه الى

التهالك على طلب اللذة التى يستخدم لها د · الشكعة مصطلح «الأبيقورية» وهما يرجعان ذلك الى شكه فى الحياة الأخرى واعتقاده بأن لكل أمر نهاية ولكل حياة حدود · والشاهد على ذلك قوله مثلا :

انعم ولذ ، فللأمـــور أواخـــر
أبـــدا اذا كـــانت لهن أوائـــل

وقولـــه :

تمتـــع من ســـهاد أورقـــاد
ولاتـــأمل كـــرى تحت الرجـــام
فان لثـــالث الحـــالين معنى
ســوى معنى انتبـــاهك والمنـــام (١١)

وهو ما يبدو ان جوزف الهاشم يوافقهما عليه اذ ان المتنبى ، فى نظـــره لايشغل باله بالغيبات بل هو أقرب الى المـــادية منـــه الى روح الدين ، لقـــوله :

فهـــذه الأرواح من جـــوه
وهذه الأجســـام من تـــربه

(من جوه : من جو الزمن)

وقـــوله :

فقيـــل تخلص نفس المـــرء سـالمة
وقيل : تشرك جســـم المـــرء فى العطب
ومن تفكـــر فى الدنيـــا ومهجتـــه
أقامه اليـــأس بين العجز والتعب (١٢)

هذا ما اتهم به المتنبى فى دينه قديما وحديثا · على أن هذا ليس كل ما هناك ، فثمة اختلاف بعد ذلك على مذهبه : فهناك من يراه شيعيا، وهناك من يقول انه كان قرمطيا ، وفريق آخر يستشهد بأشعار له على أنه كان متأثرا ببعض عقائد الاسماعيليين · ولكن هذه خطوة أخرى نؤجل الكلام فيها الآن لحين الفراغ من الاتهامات الموجهة الى عقيدته (قبل تصنيفه والحاقه بهذه الفرقة أو تلك) ·

وخلاصة ما تقدم أن فريقا من الدارسين القدماء والمحدثين قد غمز المتنبى فى عقيدته ، وبعضهم قد أخرجه من الايمان جملة الى الكفر والالحاد ، وبعض ثالث قد تتبع ، من وجهة نظره ، عناصر الفلسفات الملحدة التى دخلت فكرة وعقيدته فقالوا هذه سوفسطائية وتلك حشيشية ، وهكذا • وقد عقب د • الشكعة على رأى الفريق الأخير بعد أن عرض ما قال الأصبهانى أحد ممثليه ، بقوله : « والواقع أنه ليس من السهولة أن يكون الانسان فليسوفا ويؤمن بكل تلك المذاهب (السفسطائية والتناسخ والفضائية والشيعة والنفس الناطقة) التى نسب البغدادى اليها المتنبى ، لما فى بعضها من مناقضة البعض الآخر » (١٣) • ويضرب الأستاذ الدكتور مثالا على هذا التناقض أنه « ليس من المعقول أن يؤمن فيلسوف بفلسفة الشيعة ذات الطابع الدينى وبالسفطائية والفضائية البعيدة عن الأديان فى وقت واحد »(١٤) والواقع أن الأصبهانى ، الذى نقل عنه صاحب « خزانة الأدب» لم يقل ان المتنبى كان فيلسوفا ، وانما كل ما قاله هو أنه «كان فى صغره وقع الى واحد يكنى أبا الفضل بالكوفة من المتفلسفة فهوسه واضله كما ضل • وأما مايدل عليه شعره فمتلون (١٥) » • وهذا هو الذى نريد ان نناقشه •

ان أبا الفضل هذا هو أبو الفضل الذى مدحه المتنبى ، وهو لايزال صبيا ، بقصيدته التى أولها :

كفى أرانى ويك لومك ألوما

هم أقام على فؤاد أنجما

ولم يمدحه المتنبى بعد ذلك ، بل لم يرد له ذكر فى شعره قط • واذا كان بعض شراح ديوانه يقولون انه أراد ، بهذه القصيدة ، أن يستكشف عن مذهبه (١٦) فانى أستبعد ذلك بشدة ، لأن المتنبى كان لايزال صبيا فى ذلك الوقت ، وليس من المعقول أن يشغل باله أمر كهذا ، ولا (اذا شغل باله) أن يسلك هذا السبيل المعقد فيمدحه هذا المديح الغريب الذى يصطنع فيه بعض العبارات الفلسفية الغالية على أساس أنه اذا قبل هذا المديح علم أن مذهبه ردىء • وانما المعقول هو أن المتنبى قد مدح هذا الرجل استرفادا له ، كما سبق أن قلت • والأبيات الثلاثة الأخيرة (وقد أوردتها قبلا) قاطعة الدلالة

على هذا . اذن فالمتنبى أراد أن يحصل من أبى الفضل هذا على عطاء ، فمدحه بما لابد أنه كان يعرف أنه يرضيه . ومن الواضح أن مروره فى حياة الشاعر كان عابرا ، ولذلك لانجد ، كما قلت آنفا ، أى ذكر له بعد ذلك فى شعره . وليس يعقل أن يترك هذا المرور العابر فى حياة الصبى وفكره وعقيدته كل هذا الأثر الخطير . واذا كان المتنبى قد اصطنع فى مديح هذا الرجل بعض العبارات والأفكار الفلسفية الغالية فما ذلك ، فيما افهم ، الا ليتقرب اليه وينال عطاءه ، وهو ما كان يفعله مع كل ممدوح ان يخاطبه بما يعرف أنه يستولى به على قلبه وعقله . علاوة على أن المتنبى كان اذ ذاك صبيا صغيرا ، ولا أظن أنه كان يدرك بالضبط ما يقول من هذه العبارات المضطربة المعنى الركيكة المبنى :

يا أيها الملك المصفى جوهرا
من ذات ذى الملكوت أسمى من سما
نور تظاهر فيك لاهويته
فتكاد علم ما لن يعلما
ويهم فيك اذا نطقت فصاحة
من كل عضو منك أن يتكلما
انا مبصر وأظن أنى نائم
من كان يحلم بالاله فاحلما ؟

لقد التقط المتنبى هذه العبارات ، فى أغلب الظن ، مما كان يسمعه من أبى الفضل هذا ، فضمنها هذه القصيدة ، ثم لم يعد اليها بعد ذلك فى شعره قط . والغريب أن الذين يتهمون المتنبى هذا الاتهام لايدرون من أمر أبى الفضل هذا شيئا سوى أن المتنبى مدحه بهذه القصيدة ، بل انهم لايعرفون حتى اسمه كاملا . ذلك ، واذا كنت رفضت رأى من يسند لأبى الفضل (هذا المجهول) ذلك التأثير الخطير على عقيدة المتنبى فانى أرفض أيضا تفسير الأستاذ محمود شاكر ، الذى يرى أن المتنبى انما قال هذه القصيدة تندرا بالرجل وعبثا بتعالمه وادعائه العلم بالفلسفة (١٧) . فليس فى القصيدة من أولها الى آخرها ما يدل ، ولو من بعيد ، على سخرية أو تندر أو عبث ، بل على مبالغة فى المدح غايتها الحصول على رفد الرجل (١٨) .

فهذا عن أبى الفضل وتهويسه المزعوم للمتنبى ، أما بالنسبة للأبيات التى اتهمه فريق من القدماء من أجلها فى عقيدته فانى ، فى الحقيقة ، لا أدرى ماذا فى هذا البيت :

هــون على بصر ما شــق منظـــره

فانمـــا يقظـــات العين كالحـــلم

مما يسىء الى عقيدة المسلم · ان المتنبى يريد أن يهون متاعب الدنيا وآلامها فيقـــول ان الدنيا بما فيها من مزعجات ومنغصات ليست الا كالحـــلم · بل فلنفترض أن المتنبى لم يقل ان ما يراه الانسان مما يشق عليه هو كالحلم بل قال انه فعلا حلم ، فهل يكون بذلك قد خرج عن الاسلام ؟

كذلك فانى لا أرى فى البيتين التاليين ما يدل على زغل فى عقيـدة المتنبى :

تمتع من ســـهاد أورقـــاد

ولاتـــأمل كـــرى تحت الرجـــام

فـــان لثـــالث الحـــالين معنى

ســوى معنى انتبـــاهك والمنـــام

أليس الموت فعلا حالة جديدة علينا نحن البشر لم نخبرها فى دنيانا هــذه التى لانعرف منها سوى اليقظة والنوم ؟ أليس ذلك ما يقـــول المتنبى ؟ فماذا فيه ؟ قد يرى بعض الناس أن المتنبى يعتقد فى أن الموت هو النهـــاية الأبدية التى ليس بعدها شىء ، ولكن هذا تعسف ظالم فى تفسير البيت ، وبخاصة أن الشاعر ينفى أن يكون ثمة نوم فى القبر ولو كان قصده ذلك لقال مثلا ان ضجعة القبر هى نوم ولكنه نوم أبدى · لقد كان ابن جنى متحرزا حين قال تعليقا على هذين البيتين : « أرجو ألا يكون أراد بذلك أن نومة القبر لا انتباه لها » (١٩) ·

أما قوله :

تخـــالف الناس حتى لا اتفـــاق لهم

الا على شـــجب والخلف فى الشـــجب

فقيـــل : تخـــلد نفس المـــرء باقيـــة

وقيـــل : تشرك جسم المـــرء فى العطب

فليس فيه أدنى ما يؤاخذ عليه ، لأنه لايفعل شيئا أكثر من تقرير خلاف الناس بشأن ما بعد الموت · ولكن لو أنهم ذكروا البيت الذى بعد ذلك ، وهو :

ومن تفكـــر فى الدنيـــا ومهجتـــه

اقـــامه الفكـــر بين العجـــز والتعب

فلربما كان لكلامهم معنى ، اذ قد يتعلق بعض عليه بأنه شاك لايؤمن بشىء ومع ذلك ، فحتى هذا غير صحيح ، اذ ان الشاعر يصف ما يشعر به الانسان اذا ترك العنان لفضوله الى معرفة عالم الغيب · انه لايشـــعر حقا الا بالعجز والتعب ، وهل من ينكر ذلك ؟ وليس ثمة ملاذ يلجأ اليه الانســـان فرارا من هذه الحيرة الغاشية المعجزة الا ما يقوله الدين · بيد أن هذا شىء آخر لم يتطرق اليه المتنبى · ·

ونصل الى أبياته التى يقول فيها :

نحن بنو الدنيـــا فمـــا بالنـــا

نعـــــاف ما لابـــد من شربه ؟

تبخـــل أيدينـــا بأرواحنـــا

عـــلى زمـــان هن من كســـبه

فهـــذه الأرواح من جـــــوه

وهـــذه الأجســـام من تربه

والتى قد يرى فيها من يعيب عقيدته بها أنه يسند الخلق والاهلاك الىالزمن · غير أنى لا أظن المتنبى قد قصد هذا ، بل أراد ان يخفف وقع الموت على نفوسنا بأن أشار الى أننا مخلوقات زمنية : فى الزمن نظهر ومنه نختفى ، فلا خلود لنا · ولاحظ أنه قال : « هن (أى : أرواحنا) من كسبه» ولم يقل «من خلقه» أما قوله ان «الأرواح من جوه» و«الأجسام من تربه» فهو اشارة الى لطافة الأرواح وكثافة الأجسام (٢٠) · ولو كان قصده أن الزمن هو خالقنا ومهلكنا فكيف يقول فى نفس هذه القصيدة ، وبعد تلك الأبيـــات الحزينة التى كانت هى وأمثالها تنبثق من قبله الملتاع حسرة على أن الدنيا

لم تنصفه (كما كان يفهم النصفة منها) ، وبخاصة انه قال هذه القصيدة بعد أن تبخرت كل آماله فى التربع على كرسى الحكم ولو واليا :

استغفر الله لشخص مضى
كان نـــداه منتهى ذنبه ؟

اليس يدل هذا على ايمانه بالواحد القهار ، وانه المعاقب المثيب ؟

فهذا تفسيرى لهذه الأبيات المذكورة (وان كان هناك بيت آخر ذكروا انه دليل على شيعيته ، فان صح هذا ، وسوف اناقشه فيما بعد ، فانى لا أرى انه يسىء الى عقيدته ، لأن الاعتقاد فى المهدى فى حد ذاته لايخرج المسلم عن اسلامه) . ولكن ليس معنى ذلك أن ليس فى شعر المتنبى ما يؤاخذ عليه . لقد ذكر القاضى الجرجانى مثلا هذا البيت :

يترشفن من فمى رشفات
هن فيه احلى من التوحيد (٢١)

وهى مبالغة مقيته وسفاهة وحمق كان يجدر به أن يتحاشاها . صحيح انه أجرى ذلك مجرى المثل ، كما نقول : «اكرم من حاتم» و «اخطب من سحبان» و «قضية ولا أبا حسن لها» ، بيد أنه كان ينبغى أن يعرف أن التفضيل على حاتم أو سحبان أو حتى على كرم الله وجهه (على جهة ضرب المثل ، كما قلت) شيء ، وتفضيل قبلاته فى حلاوتها على التوحيد شيء آخر مختلف تماما . انه حتى ابن رشيق ، الذى ذكر أن تأويل هذا البيت ممكن على أساس القول بأنه جعل التوحيد غاية المثل فى الحلاوة (٢٢) ، لم يستطع أن يمنع نفسه من الاستنكار والامتعاض لقوله مثلا :

لوكان ذو القرنين أعمل رأيه
لما اتى الظلمات صرن شموسا

(أعمل رأيه : اى رأى ممدوحه)

او كان صادف رأس عازر سيفه
فى يوم معركة لأعيا عيسى

او كان لج البحر مثل يمينه
ما انشق حتى جاز فيه موسى (٢٣)

ومن هنا فانى أفهم ضيق د · مهدى علام من هذه الأبيات وأمثالها مما سبق ذكره · ولكن المسألة هى : أقال المتنبى ذلك عن كفر ؟ اننا مهما نقل فى مثل هذا اللون من شعر المتنبى ينبغى الا نغفل عن أن الأبيات تدل ، من الناحية الأخرى ، على تصديقه برسالة سيدنا عيسى وموسى عليهما السلام وبمعجزاتهما من مثل احياء ذاك عازر بعد موته وانشقاق البحر لهذا ، ولكن الذى نأخذه عليه هو انعدام الذوق والسفاهة اللذان أعمياه عن أن ثمة فرقا بين ضرب المثل بمشاهير التاريخ فى مجال الكرم والعلم والدهاء والحرب والسياسة ·· الخ وبين ضرب المثل بالرسل عليهم السلام أو بعقائد الدين كقوله فى ممدوح له :

ان كان مثلك كان أو هو كائن
فبرئت حينئذ من الاسلام

وان كان يدل من الناحية المقابلة على أنه مسلم معترف باسلامه بل يعده أعز شىء لديه يستعز به ، ويمكن تأويله على أنه يريد أن يقول انه علق خروجه من الاسلام على مستحيل ، ولكن الحقيقة هى انه لا مستحيل ولاخلافه ، وانما هو نفاق الشعراء لعنه الله · ومثل ذلك فى السفاهة وقلة العقل قوله فى أحد ممدوحيه :

فما ترزق الأقدار من انت حارم
ولاتحرم الأقدار من أنت رازق

وقوله فى ممدوح آخر هو بدر بن عمار :

لعظمت حتى لو تكون أمانة
ما كان مؤتمنا بها جبرين

على اننا لابد أن نشرك معه فى المسئولية عن هذا الهذيان العديم الأدب ممدوحيه ، الذين لاشك أنهم كانوا ينتشون لهذا المديح الآثم والا لاعترضوا عليه أو لحرموه نوالهم ، وهو ما لم نسمع به · كذلك لابد أن نضع فى حسابنا أن هذه المبالغات انما هى بوجه عام أثر من آثار الذوق الشعرى فى ذلك العصر ·

على أن السؤال كرة أخرى هو : أكان المتنبى يقول ذلك عن كفر

حقيقى ؟ هل كان المتنبى يعتقد حقا أن الأقدار تأتمر بأمر ممدوحه ، أو انه لو كان أمانة لكان أعظم من أن يحملها جبريل (على ما فى هذه الصورة من السخف والاحالة وانعدام النفس الشعرى ، اذ ما معنى أن يتحـــول الشخص ، اى شخص ، الى أمانة ؟ وأين يوضع ياترى ؟) ؟ أنا لا أظن ذلك ، وانما هو نفاق الشعراء يستدر به المتنبى أموال ممدوحيه ، الذين يتحملون معه ، كما قلت ، مسئولية هذا الفساد فى الذوق والتعبير وهذه الاحالات التى لامعنى لها والتى كان هو وممدوحوه أول من يعرف أنها لا معنى لها ، وانما هو مجرد كلام تنتشى له الأذن ساعة ، فتحل الأوكئـــة ويخرج ماتحتها من فلوس هى فى كثير من الحالات قد جمعت ظلما وحرم منها من هو أولى بها من المسلمين ! (ولكن تلك مسألة أخرى) ٠

والسبب فى استبعادى أن يكون ذلك عن كفر حقيقى يعتقده المتنبى فى قلبه وضميره أنه كان يؤمن أنه فوق كل الناس ، فكيف نصدق أنه كان يعتقد اعتقادا حقيقيا فيما يقوله فى ممدوحيه مما يخرجهم من نطاق البشرية ويجعلهم بالتالى أفضل منه أفضلية لا أول لها ولا آخر ؟ اذن فتأويل أقواله السخيفة فى ممدوحيه على أنه كان يخدعهم هو الــــذى يقضى به المنطق والتحليل العميق لنفسية المتنبى ٠ وهى أقوال آثمة ، بيدأن القول بهذا شىء ، والقول بكفره شىء آخر ٠ وسبب ثان لذلك عندى هو أن شعره ممتلىء بما يدل دلالة جازمة على أنه مؤمن بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر ٠ وسوف أفصل القول فى ذلك بعد قليل ٠ ويمكن أن نضيف الى هذا وذاك أنه ، برغم مالقيه من فشل (فى نظره) فى الممالك الاسلامية لم يفكر قط فى الانحياز الى الروم ، كما فعل قبلا جبلة بن الأيهم مثلا ، بل كما فعلت قبيلة حمدانية بأكملها ، وما كان أسهل ذلك على المتنبى لو أراده ! ليس ذلك فقط بل كان شعر المتنبى هو السجل الحى لانتصارات الاسلام الباهرة على الشرك الرومى ٠

على أننى قبل أن أنتقل الى استعراض ما فى شعر المتنبى من دلائل تقطع بأن الرجل كان مسلما وأن ما كان يصدر عنه من مثل تلك الأقوال

السخيفة الحمقاء انما هو ، من جهة العقيدة ، كالبقع (وبقع دنسة أيضا) فى الثوب النظيف ، أحب أن أقول ان البيت الذى يقول الشاعر فيه (تعبيرا عن سخطه على كافور وغيظه المحرق لكبده منه لخداعه له وتغريره بـه والتضـييق على حريته فى مصر) ان حكم هذا العبد النوبى (هكذا وصفه ، وزاد على ذلك فصغره تحقيرا له) وتسلطه على اقدار دولة كمصر هو قضاء من الله ، الذى ربما كانت ارادته فى بعض الأحيان شرا ، والذى نصه :

قضـــاء من الله العــــلى أراده
ألا ربمـــــا كـــانت ارادته شرا

لايدل على كفر كما يرى د ٠ مهدى علام (٢٤) ، وان كانت فيه جراة فى التعبير تصدم ٠ والطريف أن المتنبى حين حاول حل مشكلة الشر فى البيت الذى ورد قبل قليل قائلا ان ما نراه من منغصات فى هذه الدنيا هو كالحلم لاحقيقة له ، والذى نصه :

هـــون على بصر ما شــــق منظــــره
فانمــــا يقظـــات العين كالحـــلم

أتهم بسببه فى عقيدته كما رأينا ورمى بالسفسطائية ٠ والطريف أيضا ان هذا هو أحد الحلين اللذين يراهما العقاد أوفى الحـلول المطروحة لمشكلة الشر فى الوجود ، وخلاصته «ان القائلين به يعتقدون أن الشر وهم لانصيب له من الحقيقة وأنه عرض زائل يتبعه الخير الدائم » (٢٥) ، وان كان قد فضل عليه الحل الثانى الذى يسميه «حل التكافل بين أجزاء الوجود » ، وخلاصته أن «الشر لايناقض الخير فى جوهره ، ولكنه جـزء متمم له أو شرط لازم لتحقيقه ٠ فلا معنى للشجاعة بغير الخطر ، ولامعنى للكرم بغير الحاجة ، ولا معنى للصبر بغير الشدة»مثلما «نحن لانعرف لذة الشبعبغيرألم الجوع ، ولانستمتع بالرى ما لم نشعر قبله بلهفة الظمأ » (٢٦) ومع ذلك فقد أتبع العقاد هذا الكلام بقوله انه لاهذا الحل ولاغيره من الحلول «تغنى الحائر المتردد عن سؤالا لابد له من جواب ، وهو : لماذا كان هذا التكافل لزاما فى طبيعة الوجود ؟ ٠٠٠ أليس الله بقادر على كل شىء ؟ » (٢٧) واذا كان العقاد قد انتهى الى انه مستحيل أن يخلق الله سبحانه وتعالى عالما يماثله فى جميع صفات الكمال (٢٨) فان ذلك لايزيل الألم الانسانى من جراء

الشر سواء كان هذا الشر مرضا أو زلزالا مدمرا أو بردا قارصا أو افلاسا ماليا أو خيانة زوجة أو صديق ، ويعود بنا الى النقطة التى بدأنا منهـا ، وهى : من خلق الشر ؟ ان فى القرآن الكريم آية تتحدث عن ارادة الشر ، ولكنها لاتنسبها الى أحد بل تستخدم لذلك صيغة المبنى للمجهول على خلاف «الرشد» (وهو صورة من صور الخير) ، الذى نسب الى فاعله وهو الله سبحانه · وهذه الآية هى قول الجن اشارة الى جهلهم بالغيب ، على عكس ما كان يظنه أهل الجاهلية فيهم : «وأنا لاندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أرادبهم ربهم رشدا » (٢٩) · واذا كان ابن كثير مثلا يقول فى تفسيرها ان « هذا من أدبهم فى العبارة حيث أسندوا الشر الى غير فاعل ، والخير أضافوه الى الله عز وجل » فان رب العزة نفسه سبحانه يقول عن ذاته العلية : «ونبلوكم بالشر والخير فتنة » (٣٠) ، فيسند الابتلاء بالشر الى نفسه ، كما يسند التعجيل بالشر أيضا الى نفسه عز وجل فى قـــوله سبحانه : «ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخيـــر لقضى اليهم أجلهم » (٣١) بل انه سبحانه يجعل الشر بعض ما خلق حيث يخاطب نبيه بقوله : «قل : أعوذ برب الفلق ★ من شر ما خلق » (٣٢) · قد يقال : ولكن الله سبحانه هو الذى يحق له أن ينسب الابتلاء بالشر والتعجيل به بل وخلقه الى نفسه ، أما نحن فعلينا أن نتأدب فى الخطاب · فأقول : وهذا هو ما أشرت اليه حين قلت عن بيت المتنبى الذى نحن بصدده انه لايدل على كفر وإن كانت فيه جرأة فى التعبير تصدم · ان الله سبحانه يقول عن ذاته القدسية : « وخلق كل شىء فقدره تقديرا » (٣٣) ،وهذا معنى التوحيد فى الاسلام : أن كل شىء من خلقه سبحانه وبارادته وعلمه ، ولا فلو قلنا انه يخلق الخير فقط فمعنى ذلك أننا ننسب خلق الشر الى اله آخـر ، وهو والعياذ بالله القول بالثنوية · أما ان قلنا انه يمكن نســبة الشر الى الشيطان وهو ليس الها ، فحتى لو قبلنا هذا فيبقى السؤال : «ومن خلق ذلك الشرير الذى لايصنع الا الشر ؟ » · على أن القرآن على كل حال قدكفانا كل هذه المؤنة حين نسب الابتلاء بالشر وخلقه الى المولى عز وجل · فالمسألة كما ترى ليست الا جراة فى التعبير من المتنبى المزعج ، سامحه الله ، وليست كفرا بحال · وكيف يكون كافرا من يؤمن بأن كل شىء انما هو

«قضاء من الله العلى أراده » (وهذه هى عبارة المتنبى بنصها) ؟ وهذا كله إن أخذنا بهذه الرواية للبيت ، والا فهناك رواية أخرى تبدل «سرا» مكان «شرا» ، هكذا :

قضـــاء من الله العـــلى أراده
ألا ربمـــا كانت ارادته سرا

أى يخفى وجه الحكمة فيه على عقولنا الكليلة ٠ (٣٤)

أما قول د ٠ الشكعة إن المتنبى آمن بفكـــرة اللذة كما هى عنـــد الأبيقوريين ونادى بها وحض عليها ، وإن مبعث ايمانه بها هو شــــكه فى الحياة الأخرى واعتقاده بأن لكل أمر نهاية ولكل حياة حدودا فانى أرى أنه توسيع وتعميم للبيت الذى ساقه للشاعر ، وهو :

انعم ولـــذ فللأمــــور أواخـــر
أبـــدا اذا كـــانت لهن أوائـــل

اذ انه لم يعرف عن المتنبى تكالب على اللذات (بل على الولاية ، التى لم يحاول أبدا أن يبلغها عن طريق الثورة والدماء وان جعجع بذلك فى شعره كثيرا) ٠ ثم ان هذا البيت لايمثل رأيه الدائم ، بحيث يسمى مناداة بالجرى وراء اللذة وحضا عليها ، بل هو ليس الا خاطرا طارئا وموقفا عارضا ٠ وماذا يقول الأستاذ الدكتور فى البيت التالى للشاعر مثلا :

ســـبحان خـــالق نفسى كيف لذتهـــا
فيمـــا النفـــوس تراه غـــاية الألم ؟

أقائل ذلك رجل يعدو وراء اللذة ويحض عليها ؟ أما شكه فى الحياة الأخرى فسوف نناقشـــــه مع عقيدته بعد قليل ٠ ومثله اتهام جوزف الهاشم له بأنه كان أقرب الى المادية منه للى روح الدين ٠ على أنى قد لاحظت أن عباراته التى وجدت أنه يؤاخذ عليهـــا انما هى بوجه عام من شـــعر صـــباه وشبابه ٠

وعلى كل حال فان الانسان لاينبغى أن يؤخذ الا بما يطرد فى قوله وعمله ، والا فنحن مستطيعون أن نجد لكثير من المشاهير ممن لم يتهموا فى عقيدتهم أقوالا من عينة ما أخذ على المتنبى ٠ ولن اذهب بعيـــدا ٠ خذ

شوقى مثلا . أليس هو القائل فى شكسبير (وشكسبير غير مسلم على أية حال) :

شـــعر من النسق الأعـــلى يـــؤيده
من جـــانب الله الهـــام وايحـــاء
من كل بيت كـــآى الله تســـكنه
حقيقـــة من خيـــال الشعر غـــراء
وكل معنى كعيسى فى تفـــــــرده
جـــاءت به من بنـــات الشـــعر عذراء ؟

ثم أليس هو القائل أيضـــا :

وفى الأرض شر مقـــــاديره
لطـــيف الســـــماء ورحمـــانه ؟

والقـــائل لوطنـــه :

ولـــو أنى دعيت لكـــــنت دينى
عليـــــه أقـــابل الحـــتم المجـــابا
أديـــــر اليـــه قبـــل البيت وجهى
اذا فـــهت الشـــهادة والمتـــابا ؟

والقـــائل فيه أيضـــا :

وجـــه الكنـــانة ليس يغضـــب ربكم
أن تجعلـــوه كوجهـــه معبـــودا ؟

وسعد زغلول ، ألم يقل في كتاب للرافعي : «بيان كأنه تنزيل من التنزيل ، أو قبس من نور الذكر الحكيم » ؟ والرافعي نفسه الذي كان يعد نفســـه ويعده ولايزال الناس والأدباء والكتـــاب فارس الاسلام الواقف لمن يطعنون فيه من المارقين من أبنائه بالمرصاد ، ألم يسجل هذه العبارة على غلاف كتابه « وحى القلم» ؟

أيا ما يكن الأمر فانى يبدو لى أن المسئول عن هذه الأقوال للمتنبى

هو خشونته ، اذ كان فى أعماقه بدويا ، عاش فى البادية فترات من حياته خالط فيها الصعاليك وربما قطاع الطريق أيضا ، وذلك فضلا عن شدة اعتزازه بنفسه وشعره فكان يخيل اليه أنه ينبغى «ذر» مثل هذه الأقوال «الحريفة» على صفحة شعره للفت الأنظار الى جرأته وللادلال بمعارفه الفلسفية ٠

والآن الى شعره الذى يدل على أنه مسلم ٠ وأحب قبل كل شىء أن ألفت الانتباه الى أن أبياته التى سأستشهد بها عليها طابع العفوية والتلقائية وأنه لم يقصد من ورائها ، فيما أستطيع أن أرى ، غاية مادية ، فان جائزة المديح كانت تنتظره فى الحالين ٠ وقد رأيناه ، حين يحمق ، لايراعى ما ينبغى توقيره ، فلن يقال انه يظهر الايمان بالله نفاقا أو تقية ٠ كذلك أحب أن أشير الى أن عقيدته الاسلامية تواجهك من أية زاوية نظرت اليها مما يدل على أصالتها وتمكنها فى عقله وقبله رغم الغيوم التى كانت رياح السخط والتملق أحيانا ماتدفعها وتغيم بها شعره وعباراته ٠ انظر مثلا الى أدعيته :

فعـوض سـيف الدولة الأجـر ، انه
أجـل مثـاب من أجـل مثيب

و «لايحزن الله الأمير» (٣٥) و «جزاك ربك بالأحزان مغفرة » (٣٦) و :

وانى لأتبـع تذكـاره
صـلاة الالـه وسـقى السـحب

حتى وهو يسخر من شاعر ارسله بنفسه اليه (أى الى المتنبى) أحد ممدوحيه يقول مستهزئا بالشاعر المرسل اليه ومظهرا غرورا شديدا :

فآجـرك الالـه على عليـل
بعثت الى المسـيح بـه طبيبـا

و «أستغفر الله لشخص مضى » (٣٧) ٠ و«جزى الله عنى سـيف دولة هاشم » (٨٣) و :

نعوذه (أى نعوذ سيف الدولة بالله) من الأعيان بأسا
ويكثر بالدعاء (بالدعاء الى الله) له الضجيج

وعن نفسه ورفاق سفره فى البادية تراه يقول :

. . . . وركبها خوف الهلاك حداهم التسبيح (٣٩)

وهو معنى لايكثر وروده فى الشـــعر فى وصف مثل هذا الموقف ، فان الشعراء عادة مايشغلون تماما بوصف الناقة والافتخـــار بها ووصف البادية ومصاعب الرحلة · فانظر كيف كانت التفاتة ذهنه ومشاعره تدل على الايمان بالله والالتجاء اليه · وحتى وهو يتوعد فى صباه بالانتقام ويغلى بالثورة نراه يدعو على نفسه هكذا :

سـقانى الله قبل المـوت يـوما
دم الأعـداء من جـوف الجـروح

ولاتغرنك هذه النقمة العارمة ، فان المتنبى عاش طول حياته ، رغم شجاعته فيما تحكى لنا الروايات ، مسالما لم يقتل أحدا (الا اذا أخذنا اشـارة الثعالبى الى أنه كان يكسب قوته فى فترة من حياته بالضرب بالحـراب مأخذا حرفيا ، ولم نفهم من ذلك ، اذا صحت الرواية ، أنه كان يقطع الطريق ويخيف السابلة ولكنه لايقتلهم) (٤٠) · كذلك اسمعه وهو يدعو على الحسان اللائى لوعن قلبـه ، وذلك فى قصيدته التى قالها استعطافا الموالى ليحل وثاقه من السجن ويطلق حريته :

أيا خـدد الله ورد الخـدود
وقـد قـدود الحسـان القـدود

أو وهو يدعو للابل التى تولت بالمها الباكيات على فراقه قائلا :

رمى الله عيسـنا فارقتنـا وفوقهـا
مهـا كلهـا يـولى بجفنيـه خده

ولسيف الدولة بقوله : «شفاك الذى يشفى بجودك خلقه» (٤١)

ولمدوح آخر هو بدر بن عمار (برغم المبالغة السخيفة فى آخر البيت) :

سـلام الذى فـوق السـماوات عرشـه
تخص بـه ياخير ماش عـلى الارض

ولاحظ أن بدرا هذا هو أحد من كان يغلو فى مديحهم أحيانا ذلك الغـ
الآثم ، وهو ما يؤكد قولى ان الرجل وان بدر ذلك منه حينا بعد حين (و
قليل فى شعره بالقياس الى ما يدل على ايمانه بالله وخشيته منه ورجـ
فيه) ، فهو فى حقيقة الأمر مسلم موحد بالله . وتأمل هذا الدعاء الغ
الطريف : «سقا الله أيام الصبا مايسرها » (٤٢) . وكذلك هذا الدعاء الذ
خاطب به عضد الدولة ، وذلك فى آخر ما قال من شعر :

لعـــل الله يجعلـــه رحيــــلا

يعين عـــلى الاقـــامة فى ذراكمـــا

ثم هذا الدعاء الذى قاله فى رثاء والدة سيف الدولة :

صـــلاة الله خالقنـــا حنـــوط

عـــلى الوجـــه المكـــفن بالجـــلال

وكذلك هذا الدعاء ، وهو لسيف الدولة فى أعقاب انتصار له على الرو

فهنـــأك النصر معطيكـــه

وأرضـــاه ســـعيك فى الآجـــل

وهذا الدعاء ، وهو لسيف الدولة أيضـــا : «أنالك ربك ماتأمل » (٣

وهذا الدعـــاء ، وهو لحبيبته :

ســقاك وحيـــانا بك الله ، انمـــا

على العيس نـــور والخـــدود كمائمـــه

ثم هذا الدعـــاء لسيف الدولة كـــرة أخرى :

صـــلى الاله عليـــك غيـــر مـــودع

وســقى ثرى أبويك صـــوب غمـــام

وكســـاك ثـــوب مهـــابة من عنـــده

وأراك وجـــه شـــقيقك القمقـــام

وأيضا هذا الدعاء ، وهو فى ممدوح آخر (المغيث بن على العجلى) :

ســـقى الله ابن منجية ســـقانى

بدر ما لراضـــعه فطـــام

وهذا الدعاء ، وهو فى الممدوح نفسه : « عليك صلاة ربك والسلام » (٤٤) وكذلك هذا ، وقد دعا به لعمر بن سليمان الشرابى ، الذى كان يتولى على عهد سيف الدولة الفداء بين العرب والروم :

مكافيـــــك من أوليت دين رســـوله
يدا لاتـــؤدى شـــكرها اليــد والفم

. . . .

فعش لو فــدى الملــوك ربا بنفســه
من المـوت لم تفقد وفى الأرض مســلم

وهو دعاء يكشف عن عميق احساسه بالمنة التى يطوق جميل هـذا الرجل بها عنق كل مسلم . وهذا الدعاء التهكمى (وقاله فى كافور ضيقا بحبسـه له فى مصر وعدم تركه يخرج الى حيث يريد من دنيا الله الواسعة خوفا من لسانه وشعره) :

فليتـــه خــلى لنـــا ســـبلنا
أعــــانه الله وايـــــانـا

ثم هذا الدعـــاء ، وهو ما كتب به الى يوسف بن عبد العزيز الخزاعى ، الذى ساعده أثناء فراره من مصر :

جــزى عـــربا امســـت ببلبيس ربهـــا
بمســـعاتها تقـــرر بذاك عيونهـــا

وهذا الدعاء (لأبى العشائر ابن عم سيف الدولة) :

ان كان فيمــــا نراه من كــــرم
فيــك مــزيد فـــزادك الله

فهانت ترى كيف انه كان دائم التوجه الى الله فى كل حال ساخرا أو مهنيا ،شاكرا أوشاكيا، مادحا أومعزيا أو راثيا، وكيف أن فى بعض أدعيته طرافة وحلاوة ، وأن العبارة والصورة فيها متنوعة ، بما يدل على أنه كان يمتح هذه الأدعية من قلب يؤمن بالواحد الصمد الذى تتجه اليه قلــوب الداعين وشفاههم ، وبجدوى الدعاء له سبحانه . شىء آخر : أن هـــذه الأدعية مطردة فى كل مراحل عمره ، منذ صباه حتى آخر قصيدة قالها (كما رأينا ، وكانت فى عضد الدولة) . وهذا بعد فى الدعاء فقط .

ثم هو يلهج دائما بأن الله هو الخالق الرازق وأن كل شيء انما هو بقضاء من الله وقدر ، فارادته العلية فوق كل ارادة ، وانه وحده سبحانه الجدير بالعبادة والحمد والخشية والرجاء ، المتفرد بغفران الذنوب . وهذه أمثلة على ذلك :

ففي سيف الدولة يقول :

فمن كان يرضى اللؤم والكفـــر ملكه
فهـــذا الذى يرضى المكـــارم والربا

★ ★ ★

أيا ســـــيف ربـــك لاخلقـــه
ويـــاذا المكـــــارم لاذا الشـــطب

★ ★ ★

أرى المســــلمين مـــع المشركيـــ
ـــن أمـــا لعجــــز وامـــارهب
وأنت مـــع الله فى جــــانب
قليـــل الرقـــاد كثيــــر التعب

وفى رثاء محمد بن اسحاق التنوخى :

ألا انمـــا كانت وفـــاة محمـــد
دليـــلا على أن ليس لله غـــالب

(ولنلاحظ أن هذا ليس مما يتقرب به لأهل الفقيد)

وفى ممدوح له يريد أن يعلى من شأنه ، صنع كل شاعر مع ممدوحه، فيجعله أداة فى يد القدرة الالهية المباركة (أما فى الشطر الثانية فهو يشير الى الشفاعة ، لأن ممدوحه علوى) :

يبنى بـــه ربنـــا المعـــالى
كمـــا بـــكم يغفـــر الذنـــوبا

وحتى فى هجائه المقذع لضبة ،هذا الهجاء الذى كان سبب حتفه ، يقـول لمهجوه :

كــــذا خــــلقت ومن ذا الــــــ

ــــذى يغــــــــالب ربــــه

بما يدل على التفاته ، حتى فى هذا المقام الثائر الذى كان يقذف فمه فيه بالحمم البركانية الصاعقة التى لاتبــالى عرضا ولاتتحــرج من لفظ أو عبارة ، الى أن ارادة الله شاملة مطلقة تعنو لها كل الرقاب ٠

ومخاطبا مساور بن محمد الرومى :

عجــز بحــــر فاقـــــة ووراءه

رزق الالـــه وبابـــك المفتـــوح

(وان كنا نخالفه ونخالف سنة القدماء فى التكسب بالشــعر على هــذا النحو) ٠

وفى ارادة الله (كرة ثانية) يقول :

يا عــاذل الغاشـــقين دع فئـــة

أضـــلها الله كيف ترشـــدها ؟

وفى أمله فى لطف الله ورحمته وسابغ كرمه :

ولعـــلى مــــؤمل بعض ما أبــــ

ـــلغ باللـــطف من عزيز حميـــد

(والعلم فهذا البيت هو من القصيدة التى يبلغ ضيقه ببنى كلب أقصـاه وهو فى صباه فيشبه نفسه معهم بالمسيح بين اليهود وصالح مع ثمود) ٠

وفى ارادة الله ثانية يقول فى سيف الدولة :

واذا رأيتك دون عــرض عارضـــا

أيقــــنت أن الله يبغى نصــــره

أى أن سيف الدولة أداة منفذة لقضاء الله وقدره ٠

وفى كرم الله (وان كان شاب كلامه فيه بالحديث عن ممدوحه) :

ما يـــرتجى أحـــد لمكـــرمة

الا الالــــــه وأنت يــا بـــدر

حتى وهو يبالغ فى مدح ممدوحه ينسب الفضل الى الله . يقول فى مدح ابن العميد :

فدعــاك حسدك الرئيس وأمسكوا

ودعــاك خالقــك الرئيس الأكبرا

وهو يخفف وقع النكسة فى غزوة من غزوات سيف الدولة عليــه هكذا : (مع ملاحظة أن الكلام موجه الى الروم يحاول به أن يقلل من أهميــة ما أوقعوه ببعض جنود سيف الدولة الذين تخلفوا عن بقية العسكر) :

وانمــا عـرض الله الجنــود بكم

لكى يكونوا بلا فســل اذا رجعـوا

وفى أحد ممدوحى صباه : «به الله يعطى من يشاء ويمنع » (٤٥)

وفى ثورة بنى عقيل على سيف الدولة يذكر سخط الخالق :

برأى من انقـادت عقيل الى الردى

واشمات مخلــوق واسخاط خالق ؟

وفى جمال ما خلقت يد الله يقول : «ولاعجب من حسن ما الله خالق »(٤٦) (وبالمناسبة فقد ورد هذا الشطر فى نفس القصــيدة التى يقول فيها هـذا البيت السخيف الأحمق :

فما ترزق الأقدار من أنت حــارم

ولاتحــرم الأقدار من أنت رازق)

واسمع ما يخاطب به فرسه :

أى كبت كل حاســد منــافق

أنت لنــا وكلنــا للخــالق

وهذه أيضا (وهى فى أبى العشائر) :

وانمــا قيــل : لم خلقت كــذا

وخــالق الخلق خــالق الخلق ؟

وتلك (يخاطب سيف الدولة) :

عــدل الــرحمن فيــه بيننــا

فقضى باللفــظ لى والحمــد لـه

ثم هذه أيضا (وهى من آخر قصيدة قالها ، وكانت فى عضد الدولة) :

حبى من الـــــهى أن يـــــرانى
وقد فـــارقت دارك واصــــــطفاكا

، كذلك هذه ، وكان سيف الدولة قد نصب خيمة فظن الناس أنه لن يغزو ، فسقطت الخيمة ، ففسرها المتنبى بأن الله سبحانه قصد من وراء سقوطها أن ينبه الأمير الى وجوب الغزو :

ولمـــا أمـــرت بتطنيبهـــا
أشـــيع بأنـــك لا ترحـــــل
فما اعتمــــد الله تقويضـــها
ولكن أشـــار بمـــا تفعـــل

وهذه ، وهى فى سيف الدولة أيضا ، وكان المتنبى قد التمس منه أشياء عقب عليها قائلا :

وهذا دعـــاء لو ســكت كفيتـــه
لأنى ســـألت الله فيـــك وقد فعـل

ثم هذه (والاشارة فيها الى رسول ملك الروم الى سيف الدولة) :

تحيـــر فى سـيف ربيعـــة أصـله
وطابعـــه الرحمن والمجـــد صـاقل

فتأمل طرافة هذه الصورة التى تجعل «سيف» الدولة صناعة ربانية !

وهذه ، وهى فى سيف الدولة أيضا :

على عـاتق الملك الأغـــر نجـباده
وفى يد جبـار السماوات قائمـــه

(ولاحظ انه اختار من أسماء الله الحسنى اسم «الجبار» المناسب لجـــو الحرب والقتال ضد الـــروم • ليس ذلك فقط بل أضاف «الجبـــار» الى «السماوات» بما توحيه من العلو عن المطاولة ، وزاد فجمعها أيضا)

واذا كنا رأيناه يقول فى تولى كافور حكم مصر :

قضـــاء من الله العـــلى أراده
الا ربمـــا كانت ارادتـــه شرا

معترفا بذلك بأن كل شيء انما هو بقضاء الله وقدره ، على ما فى العبارة من جرأة وخروج على المألوف من طريقة الناس في التعبير عن هذه الفكرة، فانه في البيت التالي يتناول نفس المعنى ولكن فى ارادة الخير لا الشر :

فتمليـــك دليـــر وتعظيم قـــدره
شـــهيد بواحـــدانية الله والعـــدل

ودلير هذا هو الذى جاء الى الكوفة لقتال الخارجى الذى نجم بها من بنى كلاب ، ولكن الخارجى كان قد انصرف عن الكوفة قبل وصول هذا الفارس ٠ وقد اشترك المتنبى مع أهل الكوفة فى قتال هؤلاء الخارجين ٠ وفى البيت نغمة اعتزالية واضحة ، فقد كان اسم المعتزلة هو « أهل العدل والتوحيد »٠

ثم انظر الى معاتبته لسيف الدولة في البيت التـــالى (وهـــو من القصيدة التى بلغ فيها من الاعتداد بنفسه فى حضرة ملك مبلغا لم يبغله هو ولاغيره من قبل ولا من بعد) :

كم تطلبـــون لنا عيبـــا فيعجـــزكم
ويكـــره الله ما تأتـــون والكـــرم

وكذلك الى هذا البيت الذى يمدح فيه على بن ابراهيم التنوخى فيرى فى كرم أفعاله يد الخالق سبحانه التى تبدع الأعاجيب :

يريـــك من خلقـــه غـــرائبـــه
فى مجـــده كيف يخلـــق النســـم

ثم هذا البيت العجيب المذهل (وكم للمتنبى من أشياء مذهلة !) ، وفيه يقول ان قيسا قد تفردت بالمجد ، فانظر كيف أدى هذا المعنى :

كتبت فى صـــحائف المجـــد بسم
ثم قيس ، وبعـــد قيس الســـلام

والشاهد هنا أن ذهن المتنبى مركب تركيبة اسلامية برغم الغمامة التى كانت ترين عليه أحيانا ، فهو رحمه الله حتى فى هذه المبالغة لاينسى أن الأمور الهامة لابد أن تستفتح باسم الله الكريم ٠ ولكن انظر كيف اختصر «بسم الله الرحمن الرحيم» الى «بسم» ، وأعربها كما لو كانت اسما ، كلمة واحدة فاي اذهال !

وحتى وهو فى عنفوان ثورته وفخره بنفسه نراه يقول فى رثائه لجدته :

ولو لم تكونى بنت اكرم والد
لكان أباك الضخم كونك لى اما

لئن لذ يوم الشامتين بموتها
فقد ولدت مني لآنافهم رغما

تغرب لامستعظما غير نفسه
ولا قابلا الا لخالقه حكما

افيعقل أن قائل هذا يمكن أن يطمئن قلبه الى الكفر والالحاد ، وان جمح لسانه من حين لحين ؟ (وذلك على كل حال فى جنب أبياته التى تدل على ايمان بالله مكين ركين جد قليل) .

وقد طرق معنى شبيها بهذا فى قصيدته الحزينة ايام أن حم بمصر ، فقال :

يذم لمهجتى ربى وسيفى
اذا احتاج الوحيد الى ذمام

ونعم بالله ! وكفى بالله حارسا وحافظا !.

وحتى وهو من فرط سخطه على كافور ، الذى خدعه واستدرجه الى مصر ومناه الأمانى ثم كان حظه منه قبض الريح ، يحرض المصريين على تطيير رقبته ، نسمعه يقول :

الا فتى يورد الهندى هامته
كيما تزول شكوك الناس والتهم

ولايهمنا الآن أيستحق كافور هذا أم لا . انما المهم هو اننا نرى المتنبى ، حتى فى غمره نقمته وغيظه الملتهب ، يحاول أن يعلل هذا برغبته فى ازالة شكوك الناس فى وجود الله سبحانه وعدله (يقصد أن تولى مثل كافور الحكم يخلق فى نفوس بعض الناس الشكوك حول وجود اله عادل) . ولذلك فانه سرعان ما يتبع هذا البيت بأنه سبحانه موجود برغم أنف الملاحدة ،

وعادل حكيم ، وسوف يخزى هؤلاء الشاكين المشككين (طبعا بازاحة كافور من على عرش مصر بقتله) :

ما أقدر الله أن يخـــزى خليقتـــه
ولايصـــدق قوما فى الذى زعمـــوا

وانظر كيف وهو فى قمة من الغرور لاتطال يكون أول ما يخطر على باله هو التعجب من قدرة الله وحكمته ، اذ صاغ شخصيته على نحو مخالف لشخصيات الناس جميعا • قال :

ســبحان خالق نفسى كيف لذتهـــا
فيما النفـــوس تـــراه غاية الألم ؟

والواقع انى لا أذكر أنى وقعت على تعبير «سبحان خالق نفسى»عند أحـد غيره • لقد كان سيدنا رسول الله ﷺ كثيرا ما يقسم قائلا «والذى نفسى بيده» ، بيد أن التعبيرين مختلفان • علاوة على أن فى عبارة رســـول الله ﷺ التواضع ، على حين توشك عبارة شـــاعرنا أن تنفجر من الغــــرور والانشغال بذاته • ومع ذلك فانها والحق يقال عبارة عجيبة فريدة •

وانظر هذه أيضا (وهي من مدحه لسيف الدولة) ، كيف تعكس حرصه على ارضاء الاله :

ونصفى الذى يكنى أبا الحسن الهوى
ونرضى الذى يسمى الالـــه ولايكنى

وان كنت أرى فى قوله : «الذى يسمى الاله ولايكنى» جـرأة فى التعبيـــر «متنبئية» شفيعه فيها أنه يعرض بالروم وعقيدتهم فى أن له سبحانه ابنا ، وبالتالى فهو يمكن أن يكنى كالبشر فيقال : أبو عيسى ، وشفيعه أيضا هذه الصياغة العجيبة التى يحيرنى التفكير فى كيفية خطورها على ذهن الشاعر وقلمه • ترى من منا يستطيع أن يذكر شاعرا آخر خطرت له مثل هـــذه الصورة ؟

ثم هذه الأبيات ، وأسوقها من غير تعليق :

ومهذب أمر المنايا فيهمو (فى الروم)
فأطعنـــــــه فى طـــاعه الـــرحمن

★ ★ ★

ولا اعاشر من املاكهم احدا
الا احق بضرب الرأس من وثن

★ ★ ★

سبحان من خار للكواكب بالـ
بعد ولو نلن كن جدواه

وغيرها فى هذه المعانى كثير .

اما الأبيات التى تعكس ايمانه بالرسل واليوم الآخر والملائكة وبما جاء فى القرآن من قصص السابقين ، ويلهج فيها بألفاظ الحرام والحلال والعبادة والفرض والسنة وبالمناسبات الاسلامية ... الخ ، فهاك طائفة منها :

يقول عن سيف الدولة فى عودته من غزوة له فى بلاد الروم :

وغلس فى الوادى بهن مشيع
مبارك ما تحت اللثامين عابد

★ ★ ★

ومستكبر لم يعرف الله ساعة
رأى سيفه فى كفه فتشهدا

(فى كفه : فى كف سيف الدولة)

ويخاطبه قائلا :

هنيئا لك العيد الذى انت عيده
وعيد لمن سمى وضحى وعيدا

ومن قصيدة فى على بن ابراهيم التنوخى يقول (ذاكرا عادا) :

وحام بها الهلاك على أناس
لهم باللاذقية بغى عاد

ومن مدحه لابن العميد :

مثلما احدث (اى الله) النبوة فى العا
لم والبعث حين شاع فساده

وفى وصفه لطول ليله : «كأن أول يوم الحشر آخره »

ومن رثائه لمحمد بن اسحاق التنوخى :

وحفيف اجنحة الملائك حوله
وعيون اهل اللاذقية صور

حتى أتـوا جدثـا كأن ضريحـــه
في قــلب كـل موحـد محفـــور
. . . .
يبكى عليــه ومـا اســتقر قراره
في اللحـــد حتي صافحتـه الحور ؟
. . . .
فأعيـد اخـــوته بـرب محمــــد
أن يحــــزنوا ومحمـــــد مسرور
أو يرغبــوا بقصـــورهم عن حفـرة
حيـــاه فيهـــا منكـــر ونكيـــر
. . . .
واذا لقـــوا جيشـــا تيقن أنـــه
من بطن طيـــر تنــوفة محشـــور
وفى ختام مدحه لابن العباس بن أبى الاصبع الكاتب يقول :
قد خــلف العبـــاس غـرتك ابنـه
مرأى لنـــا والى القيـامة مســمعا
وفى أحدى غزوات سيف الدولة لبلاد الروم :
مخــلى له المرج منصــوبا بصارخة
له المنـــابر مشـــهودا بها الجمـع
وفى مدحه لأبى شجاع فاتك يقول :
ويـــد كـأن قتـــالها ونوالهـــا
فــرض يحق عليـك وهو تبـــرع
وفى تغنيه بانتصارات سيف الدولة والمسلمين على الروم :
ولست مليكـا هـــازما لنظيـــره
ولكنـــك التوحيـــد للشرك هـــازم
(أرجو معذرتى هنا فلست أملك نفسى من التعقيب : هل يعقل أن من يرى طبيعة المعارك بين سيف الدولة والروم على هذا النحو هو رجل زنديق لايؤمن بالله الواحد الأحد وبدينه ؟)
ومن نفس القصيدة :

هنيئـــا لضرب الهام والمجد والعلا

وراجيـــك والاســــلام أنك ســالم

ولم لايقى الرحمن حـــديك ما وقى

وتفليقـــــه هـام العــدا بك دائم ؟

وفيه أيضا ولكن من قصيدة اخرى :

الراجع الخيل محفـــاة مقـــودة

من كل مثــل وبــار أهلهـــا ارم

. . . .

مقلــدا فوق شــكر الله ذا شـطب

لاتســـتدام بأمضى منهمـــا النعم

وفى مدحه للمغيث العجلى وقومه بالكرم الشديد يقول :

ولو يممتـــهم فى الحشر تجـــدو

لأعطـــوك الذى صلوا وصـاموا

تحـايده (تحايد مالك) كأنك سامرى

تصـــافحه يـد فيهـــا جــذام

وفي مدحه لعمر بن سليمان الشرابى متولى الفداء بين المسلمين والروم :

أننقصـــه من حظـــه وهو زائــد

ونبخســـــه واليخس شىء محــرم

وزارك بى دون الملـــوك تحـرجى

اذا عن بحـــر لم يجــز لى التيمم

ليس هذا وحسب ، فانه قد نظم أهازيج الفرحة بانتصارات المسلمين التى شارك بنفسه فى صنعها تحت قيادة سيف الدولة على علوج الـــروم الكفرة المشركين ، فسخر من وثنياتهم وصلبانهم ، كما لم يترك فرصة الا وهمز اليهود والمجوسية ، أى أن عقيدته لاتظهر ايجابا فقط بل سلبا أيضا (أى فى اظهاره موقفـــه من الديانات الاخرى وأصحابها) · وهذه بعض الأمثلة :

فعن امبراطور الروم المنهزم الفار بجلده تاركا وراءه رعاياه ومدنه لايلوى على شىء :

ولكنه ولى وللطعن سورة

اذا ذكرتها نفسه لمس الجنبا

وخلى العذارى والبطاريق والقرى

وشعث النصارى والقرابين والصلبا

وعن الدمستق والملك الأعظم يقول متهكما باستنصارهما من دون رب العالمين بالمسيح عليه السلام ، الذى يؤمنان بأنه هلك على الصليب :

ويستنصران الذى يعبدان

وعندهما أنه قد صلب

ويدفع ما ناله (من الهلاك فى زعمهم) عنهما

فيا للرجال لهذا العجب !

ويقول مخاطبا نفسه ساخرا من اعتقاد المانوية فى الهين : اله النور وهو اله الخير ، واله الظلام وهو اله الشر :

وكم لظلام الليل عندك من يد

تخبر أن المانوية تكذب

وفى سيف الدولة وغزواته فى بلاد الروم :

حتى أقام على أرباض خرشنة

تشقى بها الروم والصلبان والبيع

وفى عبدة النجوم ودينهم :

فتبا لدين عبيد النجوم

ومن يدعى أنها تعقل

وفى تمجيد أحد انتصارات الاسلام بقيادة سيف الدولة على الروم يقول :

فتل (سيف الدولة) الحبال من الغدائر فوقه (فوق النهر)

وبنى السفين له من الصلبان

. . . .

خضعت لمنصلك المناصل عنوة

وأذل دينك سائر الأديان

والطـــرق ضيـــقة المسالك بالقنـا
والكفـــر مجتمـــع على الايمـــان

وبعد ، فهل يمكن أن نتهم المتنبى بعد ذلك كله بأنه كافر زنديق ؟ وهل يصح أن نعزو أقواله الايمانية الى العجز واليأس لا الى الاقتناع والاعتقاد الصادق ؟

ان المتنبى ، كما يظهره لنا شعره ، رجل مسلم مؤمن بالله ورســـله وملائكته واليوم الآخر ، يفرح لانتصارات دينه ويتغنى بأمجاده ، لافى أبيات قليلة متناثرة ولكن فى شعر كثير وفى مواقف مختلفه . وهو حين يتناول شيئا من ذلك فانك تشعر بالحرارة فى ألفاظه والصدق فى مشـــاعره ، وبخاصة أنه لايؤدى ذلك أداء تقليديا ، بل كان كثيـــــرا ما يأتى بالمعجب المذهل .

واذا كان قد روى عن بعض من يعرفه أنه ماصام ولاصـــلى ولاقرأ القرآن ، فانى لا أطمئن الى هذه الشهادة التى لاأدرى مبلغ صدق صاحبها وعدالته ولاكيف حملت حتى وصلت الى من أوردها لنا كتـــابة ، اذ كيف يستطيع انسان أن يقطع أن فلانا أو علانا لم يصل أبدا أو يصم ؟ لقـــد عاش المتنبى فى معية عدد من ملوك عصره المسلمين ،ألم تحضر الصلاة مرة مثلا وهو حضرة واحد منهم ؟ أم تراهم كلهم ومعهم حاشيتهم لم يكونوا يصلون ؟

لقد تعمد الاستاذ على الجارم رحمه الله أن يبرز هذه الدعوى كأنه يصدقها ، فصور لنا المتنبى (حين حضرت صـــلاة العصر فقام من حضر الصلاة) وقد بقى وحده جالسا يقرأ فى ديوان شعر ، ولم يذكر لنا بعد ذلك أنه أدى الصلاة وحده مثلا (٦٩) . والسؤال هو : لماذا نعض على هـــذه

بيتين يدلان على احترامه لهذه الشعيرة الدينية وان
الدولة ، الذى كان فى يده كأس (ويبدو أن المتنبى لم
فأذن المؤذن ، فوضع الأمير الكأس من يده ، فقال ال

ألا أذن فمــــا أذكـــرت نـــاسى
ولا لينت قلبـــــا وهـــ
ولا شـــغل الأميـــر عن المعـــالى
ولاعن حق خالقـــه بكـــ

وبالنسبة لعدم صيام الشاعر أقول انه اذا كا
عنه ذلك فمعنى ذلك أنه كان أمرا مشهورا عنه يعرف
لم نسمع أحدا من أعدائه ومنافسيه يشنع عليه بذلا
عنه ملازما له طول عمره حتى مات وتأكد على نحو
صلى ولاقرأ القرآن » ؟ ان الروايات تقول ان المتنبى
بغداد ، فكم مكث المتنبى فى بغداد بصحبة هذا الرجا
أحد أعلام الأدب فى عصره) (٥٢) · هذا ان كان
ولم يخترعه مخترع وينسبه اليه · ثم ان هناك
وآخرين على مائدة الحسن بن عبيد الله بن طغج ا
الافطار طوال شهر رمضان ، فلو كان المتنبى لايص
الى ذكر ذلك (٥٣) ·

ان مثل هذه الروايات ينبغى أن تقابل بالحذر
فى روايتنا هذه بين ثلاث خلال محمودة وثلاث مثا
نقصان) توحى بأنها مصنوعة · وحتى لو سلمنا بد
صلاة الرجل وصيامه أن نخرجه عن ربقة الاسلام
هذه الدراسة المستقصية نهاية أيضا لهذه الاتهامات

من كتبوا عن المتنبى قد نسبوه الى الشيعة ، بل ان بعض الدارسين المحدثين لم يكتفوا بذلك فجعلوه اسماعيليا وقرمطيا · فما حقيقة ذلك كله ؟

أما بالنسبة الى القرمطية فانه لم ينسب اليها الا فى العصر الحديث من بعض المستشرقين ومن شايعهم · لقد رأينا قبلا كيف أن طه حسين يعتمد ، فى دعوى قرمطية المتنبى ، على مانظم الشاعر فى صباه من ابيات ثائرة ، وعلى القصيدة التى مدح بها من يدعى «أبا الفضل» والتى رأى د · طه حسين أنها تعكس اعتقاد الشاعر فى الحلول · وقد ناقشت ذلك فى حينه (فى الفصل السابق) وبينت أنه لادليل على قرمطيـــة المتنبى عضلا عن أن واحدا من المؤرخين القدماء أو أصحاب كتب الفرق أو حتى من مترجمى المتنبى أو من أعدائه ، واحدا فقط ، لم يشر ولو من بعيد الى أنه كان قرمطيا أو حتى كانت له بهم صلة ، بل ولا الى أن أفكاره تشـــبه أفكارهم · كما بينت أن شعره الثائر ليس الاتنفيسا عن الفقر والغيظ الذى كان يحترق به قلب الشاعر وهو يرى نفسه ، برغم ذكائه الشديد ومواهبه المتميزة ، محروما من طيبات الحياة ، وغيره ممن تراهم دونه يتمتعـــون بالمال والمناصب والسلطان فثورته اذن ثورة فرديـــة ، وأساســـها نفسى شخصى لاعقائدى ، ومن ثم رأيناه فى مصر يطلب الولاية · كذلك فقد ذكرت من قبل أن المتنبى ، برغم شعره الدامى الموهم بحبه لسفك الدماء ، لم يقتل فى حياته أحدا ، فهو من هذه الناحية قوال لافعال ·

والعجيب أن يدعى د · أحمد أمين أنه لو نال الولاية لقرمطها وجعلها ولاية شيعية حسب تعاليمه (٥٤) ، فمن أين كان سيأتى بالقرامطـة الذين سيعاونونه فى قلبها قرمطية ؟ لقد ذكر د · أحمد امين فى نفس الموضع أن المتنبى كان يحب سيف الدولة وفاتكا الملقب بالمجنون ويفضـــلهما على كافور ، فهل كان ذانك قرمطيين ؟ وهل كان سيقلب الولاية التى سيتولاها فى مصر قرمطية بمساعدة فاتك هذا ؟ ترى لو كان المتنبى قرمطيا فلم لم يشترك قط فيما ارتكبة القرامطة من تخريب وتقتيل وافساد ؟ بل لم اشـــترك فى محاربتهم وردهم عن الكوفة فى أخريات حياته ؟ ولم هجاهم فى شعره ؟

بل أين قبل ذلك شعره فى مدح زعماء القرامطة كما يتساءل بحق د ٠ شعيب ؟ (٥٥) وكيف تتفق قرمطيته مع مدحه لسيف الدولة ، كما يقول د ٠ عزام ، بأنه سيف الدولة العباسية ، وتسميتها الدولة الهاشمية ودولة الخلافة وخيرة الدول ، وتسمية خلفاء العباسيين أئمة قريش ؟ (٥٦)ان د ٠ أحمد أمين نفسه يذكر أن القرامطة كانوا يدعون الى الاشتركية فى الأموال (٥٧) فهل فى شعر المتنبى أو فى ترجمة حياته ما يفيد أن المتنبى كان يشاركهم هذه الفكرة ؟ ثم كيف لم يلتفت الأستاذ الباحث الى أن المتنبى ذو نزعة فردية ، فهو يحتقر الآخرين عموما ويراهم دونه ، وكان من الصعب عليه تآلف الناس ، والقرمطية تحتاج الى مخالطة الجماهير بل مداهنتهم ، وهو لايداهن الا فى سبيل طموحه الشخصى ، وحتى فى هذا فان شعره يكشف سريرته ٠ واذا كان قد انقلب عليهم بعد أن كان منتميا الى مذهبهم فلم لم نسمع ولو شاعرا قرمطيا واحدا يهجوه بارتداده عن القرمطية ؟ ومن العجيب أيضا أن د ٠ أحمد أمين يرى فى البيتين التالين للمتنبى :

يا عاذل العاشقين دع فئة
أضلها الله كيف ترشدها ؟
ليس يحيق الملام فى همم
أقربها منك عنك أبعدها

تشيعا وقرمطة ٠ فأين القرمطة فيهما ؟ وهل من القرمطة أن يسعى المتنبى الى اعادة السلطان الى العرب كما يدعي ؟ (غير خساف على القارىء أني لاأرى هذا الرأى ، ولكنى آخذ الاستاذ الدكتور بكلامه) ٠

ومن الذين قالوا بتأثر المتنبى بأفكار القرامطة د ٠ مصطفى الشكعة، الذى يقول تحت عنوان جاذبى هو : « المتنبى وسفك الدماء » : «أما النزعة القرمطية التى هى فى حقيقتها حب سفك الدماء والتطلع الى قتل الناس واستباحة أعراضهم وأموالهم فقد سيطر جانب منها وهو جانب القتل والبطش على افكار المتنبى واشعاره منذ أن كان صبيا يتلقى مبادىء الثقافة فى الكتاب بالكوفة » (٥٨) ٠ وقد سبق أن قلت ان المتنبى ، برغم هذا الشعر،

لم يقتل انسانا في حياته ، كما بينت ان هذه الثورة كانت مجرد تنفيس عن حرمانه وفقره · أما قول الأستاذ الدكتور بعد ذلك ان المتنبى قد اشتد إعجابه بالقرامطة وطرب لما قرأ من سفكهم دماء الحجاج حينما أغاروا على مكة سنة ٣١٧ هـ وقتلوا الافا من الرجال والنساء حول البيت الحرام وطموا بأجسادهم الطاهرة بئر زمزم ، وأنه أنشأ في فجر صباه قصيدة يتيمة يضمنها كل المعاني التى تحض على سفك دماء المسلمين ومطلعها :

ضيف ألم برأسى غير محتشم

السيف أحسن فعلا منه باللمم (٥٩)

ففيه اجحاف كثير اذ أولا : من قال ان الشاعر قد أعجب (بل «أشتد اعجابه» ، لاحظ !) بما فعله القرامطة فى مكة ؟ وثانيا : اذا كان ذلك صحيحا فلم لم يمدح القرامطة ويمجد ما فعلوه ؟ ولم لم ينخرط فى صفوفهم ويصبح واحدا من شعرائهم وربما بعد ذلك واحدا من قوادهم المقدمين ، بدلا من انفاق عمره فى مدح أعداء القرامطة ابتغاء عطاياهم ؟ ان المتنبى ، وان قعقع بالثورة كثيرا فى شعره ، قد وقف ضد كل خارج على سلطان الحكومة · هكذا تقول لنا أشعاره :

أما قوله فى القصيدة المشار اليها :

لقد تصبرت حتى لات مصطبر

فالآن أقحم حتى لات مقتحم

لأتركن وجوه الخيل ساهمة

والحرب أقوم من ساق على قدم

. . . .

بكل منصلت مازال منتظرى

حتى ادلت لـه من دولة الخدم

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة

ويستحل دم الحجاج فى الحرم

فهو ليس أكثر من خيالات صبى يتيم فقير محروم ، والا فأين تلك الحرب التي هدد وتوعد بالقيام بها بعد أن طال صبره حتى نفد ولم يعد فى قوسه

منزع ؟ لقد عاش المتنبى بعدها عشرات السنين ، ولكنه بدلا من طريق الثورة والدماء والحروب مضى فى طريق المدح واسترفاد الأعيان والأمراء والملوك . أما تفسير الأستاذ الدكتور لكلمة «شيخ» فى البيت التالى :

شيخ يرى الصـلوات الخمس نافلة

ويستحل دم الحجـاج فى الحرم

بأنه شيخ انسان لاشيخ سيف ، وأن المقصود هو الفارس المعمم ، فهو تفسير يخالف سياق الكلام وان رأى هو خلاف ذلك (٦٠) . انه يعرب «شيخ» على أنها خبر مبتدأ محذوف تقديره «هو» . وانى لأتساءل : على من يعود هذا الضمير ؟ انه لايوجد فى الأبيات السابقة من يعود عليه هذا الضمير (على هذا التفسير) . وانى لذلك أرى أن تفسير من فسره بـ «السيف» هو الصواب (٦١) (سواء جعلنا «شيخ» مكسورة على أنها بدل من «منصلت» أو مرفوعة على أنها خبر لمبتدأ تقديره «هو» يعود على «منصلت») وعلى أية حال فهذه الأبيات هى مجرد تهديد فارغ من صبى يعجز تمام العجز عن تنفيذ شىء مما يقول ، صبى فقير محروم . ومما يدل على صدق ما أقول أنه لايكتفى بتأديب ملك واحد بل يهدد كل من عصى من ملوك العرب والعجم . ان هذه لواعج الفقر والغيظ من الحرمان . اسمع :

ليس التعـلل بالآمـال من أربى

ولا القناعة بالاقلال من شـيمى »

(الاقلال : الفقر)

. . . .

لم الليـالى التى أخنت على جـدتى

برقة الحـال واعـذرنى ولا تـلم

أرى أناسـا ومحصـولى على غنم

وذكر جـود ومحصـولى على كلم

ورب مـال فقيـرا من مروءته

لم يثر منهـا كما أثرى من العـدم

واسمع :

أيملك الملــــك والأسـياف ظامئـــة

والطير جائعـــة لحم على وضـــم

من لو رآني مـــاء مـــات من ظمـــا

ولو عرضـــت له في النـــوم لم ينم

لقد أحسن المتنبي اذ علق فزع الملوك منه حتى لايهنأ لهم جفن بنوم على مستحيل هو أن يعرض لهم في المنـــام ، فان أحـــدا منهم لم يســـمع به آنذاك ومن ثمة فلم يكن ليخطر لهم على بال في اليقظة فضلا عن المنام ، والمترتب على المستحيل مستحيل · أفيصح أن نأخذ هذه الحماسة الصبيانية مأخذ الجد ؟ أتدري كيف انتهت هذه الزوبعة ؟ انه يقول في آخر بيتين :

ميعـــاد كل رقيق الشـــفرتين غـدا

ومن عصى من ملوك العرب والعـجم

فان أجـــابوا فما قصـــدي بها لهمو

وان تولـــوا فمـــا أرضى لهـــا بهم

ومعنى ذلك أنها لم تكن الا زوبعة في فنجان ، فانه في الحالين لن يعمل في رقاب عصاته «من ملوك العرب والعجم» سيفا ، لأنهم اما أن يجيبوه واما أن يتولوا عن دعوته ويعصوه ، فان أجابوا فهو لا يقصدهم بسيوفه ، وان تولوا فهو لن يرضى بقتلهم بها · فماذا اذن ؟

ومع اختلافي مع الاستاذ الدكتور فاني لايسعني الا الموافقة التامة على اخراجه المتنبي من تطلع القرامطة الى استباحة أعراض الناس ، اذ لم يؤثر عن المتنبي أنه اعتدى على عرض لابزنا ولابلواط (كما لم يعتـــد على حياة أحد ، ودعك من الاشارة الغامضة الى ما كان يفعله أثناء قطع الطريق في البادية ان صح استنتاجي من عبارة الثعالبي العارضة) ، بل انه ، وان شرب الخمر مرات معدودة مسايرة لبعض من ألحوا عليه ، كان بوجه عام يكرهها ويكره ماتحدثه بالجسم والعقل والمرءوة · وليس هذا سلوك القرمطي ·

ومع ان الاستاذ الدكتور قد جعل المتنبي قرمطيا في بعض أشياء فانه عاد وذكر أنه مع اتصاله بسيف الدولة والحمدانيين (سنة ٣٣٧ هـ) قد

انقلب عليهم فهجاهم ، اذ «أنه ما من فرسان أوقعوا بالقرامطة وهزموهم وفرقوا شملهم وأعملوا السيف فى رقابهم مثلمـــا أوقع بهم الأمـــراء الحمدانيون» (٦٣) ان الاستاذ الدكتور يتخذ من هجاء المتنبى للقرامطة دليلا على خروجه من القرمطية لأنه اتخذ من سكوته عن هجائهم قبل ذلك شاهدا على قرمطيته (٦٤) ٠ والواقع أنه لادليل له فى صمت المتنبى عن هجاء القرامطة قبل اتصاله بسيف الدولة على شىء من هذا ، والا فان كل الشعراء الذين لانعرف لهم هجاء للقرامطة يجب أن يكونوا هم أيضا قرامطة ولا أدرى لم لايتخذ من صمت الشاعر عن تأييد القرامطة أو مدح زعمائهم وأفعالهم دليلا على أنه لم يكن واحدا منهم ؟ ترى لو كان المتنبى قرمطيا قبل دخوله حاشية سيف الدولة أكان منافسوه هناك يسكتون عن ذلك ؟ بل ألم يكن سيف الدولة نفسه سيثير له هذا الأمر ولو للتفكـه والمعاتبة ؟ أما استغراب الاستاذ الدكتور ممن قرأوا قصائد المتنبى فى تلك الفترة من حياته ثم لم يقولوا بقرمطيته فانى لا أوافقه عليه ، فقد قرأت تلك القصائد جيدا ولكنى لم أكتف فى كل قصيدة منها بالأبيات التى يهدد فيها ويتوعد بل كنت أقرأ القصيدة كاملة فأجد أنه دائما يتحدث عن الفقر وحظه البائس فى الحياة رغم مواهبه المتألقة ٠ واذا كانت القصيدة فى مدح أحد (وهذا المدح لغير القرامطة هو وحده دليل كاف على أنه لم يكن قرمطيا) وجدناه يستجديه ٠ ومن ثمة كان رأيى أنها ثورة الفقر والغيظ من عدم اتساق حظوظ البشر مع مواهبهم ٠ ولابأس أن أعيد سؤالى السالف ثانية : اذا كان المتنبى قرمطيا فلم لم ينخرط فى احدى جماعاتهم الكثيرة ؟ ولم لم يشر المؤرخون القدماء مجرد اشارة الى انه كان قرمطيا ؟ واذا كان قد انقلب على القرامطة بعد أن كان واحدا منهم فلم لم يهجوه على الأقل (ولانقول : يقتلوه) ؟

ثم هل يكفى أن يثور الانسان ويهدد باستباحة الدماء وقطع رقـاب الملوك من عرب وعجم حتى يعد قرمطيا ؟ ان للقرمطية عقائدها ومبادئها ٠ لقد قال القرامطة (مثل الاسماعيليين) بامامة اسماعيل بن جعفر ، ودعـوا الى الاشتراكية واتخذوا مبدأ التأويل ، فجعلوا مثلا الصلاة والزكاة مرة

واحدة فى العام · كما الغوا الغسل من الجنابة وجعلوا الوضوء كافيا ، وانكروا النبوات والمعاد ، وأحلوا الزنا واللواط وزواج الرجل من بنته وأخته وقالوا فى ذلك«ان صاحبهم (أى صاحب المسلمين ،يقصدون سيدنا رسول الله عليه السلام) حرم عليهم الطيبات وخوفهم بغائب لايعقل ، وهو الاله كما يزعمون » (٦٥) ·هذا فوق اعمالهم السيف فعلا فى رقاب الآلاف المؤلفة من المسلمين ونقلهم الحجر الأسود من مكانه الى بلادهم (٦٦) ·

فهل ترى فى شعر المتنبى أو سيرة حياته شيئا من ذلك ؟ لقد عرضت عقيدة المتنبى فى الاله والرسل واليوم الآخر ، وما ورد فى شعره عن الصلاة والصيام والحلال والحرام وما الى ذلك ، فهل تجد شيئا فى ذلك كله يتفق مع عقائد القرامطة ومبادئهم ؟ واذا كنا قد رأيناهم يلغون الغسل من الجنابة فان المتنبى فى رائعته عن الحمى التى أصابته فى مصر يقول على نحـــو تلقائى يكشف لنا ، على الاقل فى هذه النقطة ، بطريقة قاطعة أنه لم يكن يرى رأيهم :

اذا ما فارقتنى (أى الحمى) غسـلتنى

كأنــا عاكفـــان على حـــرام

بل ان فى البيت نكته أخرى شديدة الأهمية ، وهى أن المتنبى كان يرى الزنا حراما ، أى انه لم يكن يعف عن الزنا فقط (فربما ادعى بعضهم أن ذلك كان لعجز فيه مثلا) بل كان يراه حراما أيضا ، وهو ما ينـــاقض شريعة القرامطة تمام المناقضة ·

لقد بدأت هذه الضجة كلها على يد المستشرق الفرنسى ماسـينيون ، الذى أسس قرمطية المتنبى (المزعومة) على عدم تغزله فى الغلمان وعـدم وصفه جمال الجسد الانسانى وابتعاده عن الزهد وامتلاء القسم الأول من القصيدة عنده بالخواطر والأفكار الثائرة ضد الدهر ونواميس المادة كما هو الحال عند اخوان الصفاء ،الذين ثاروا ضد السماء والطبيعة والناموس والحكومة وضرورة الطعام والشراب (٦٧) · وهذا كما ترى كلام أقل ما يوصف به انه مضحك ، فكيف تابع هذا المستشرق فى قرمطية المتنبى بعض كبار باحثينا ؟ ذلك عجيب · ان ماسينيون يرى فى عدم تغزل المتنبى بالغلمان

دليلا على قرمطيته ، على حين أن القرامطة قد حللوا اللواط · وحتى لو أخذنا بما قال ماسينيون أفيكون كل من لم يتغزل من شعراء العـــرب بالغلمان ، وهم الكثرة الكاثرة ، قرمطيا ؟ هذه واحدة · واخرى انه يعد عزوف المتنبى عن وصف جمال الجسد الانسانى دليلا آخر على قرمطتيه · والعجيب أن القرامطة قد جعلوا النساء مشاعا بينهم ، ولم يراعــوا فى هجومهم على مكة والكوفة وغيرهما من بلاد المسلمين لعرض حرمة ، فكيف يعد عزوف المتنبى عن وصف جمال الجسد الانسانى علامة على قرمطيته ، وقد كان يجب عليه ، لو انصف العقل والمنطق ، ان يرى فى ذلك دليلا على أنه لم يكن قرمطيا ؟ ومع هذا فانى أحب أن أقول أن ما سينيون كما اخطأ هنا فى النتيجة قد أخطأ فى المقدمة التى بناها عليها ، اذ ان للمتنبى أبياتا يصف فيها جمال جسد محبوبته · وهذه بعض أمثله أوردها كيفما اتفق :

قال فى صباه (وذلك بالمناسبة من القصيدة التى يثور فيها ثورة عارمة ويهدد ويتوعد ويشبه نفسه بالأنبياء) :

كم قتيـــل كمـــا قتلت شـــهيد
ببيـــاض الطلى وورد الخـــدود
وعيـــون المهـــا ولاكعيـــون
فتـــكت بالمتيـــم المعمـــود
· · · · · · ·
عمـــرك الله هـــل رأيت بـــدورا
طلعت فى براقـــع وعقـــود ؟
راميـــات بأسهم ريشـــها الهـد
ب تشـــق القـــلوب قبل الجـلود
يترشـــفن من فمى رشـــفات
هن فيه أحـــلى من التوحيـــد
كل خمصـــانة أرق من الخمـــ
ـــر بقـــلب أقسى من الجلمـــود

ذات فــرع كأنمــا ضرب العنـــ
ــبر فيــه بمــاء ورد وعـــود
ـمــالك كالغـــــداف دجـــو
جى أثيث جعـــد بـــلا تجعيـــد
تحمــل المســك عن غدائـرها الريـ
ـح وتفتـــر عن شـــتيت بـــرود
جمعت بين جســـم أحمــد والسـقـ
ـم وبين الجفـــــون والتســـهيد
هــذه مهجتى لـــديك لحـــينى
فانقصى من عذابهـــا أو فــزيدى
اهـــل ما بى من الضنى بطل صـيـ
ـــد بتصفيف طـــرة وبجيـــد
وقال وهو فى الحبس :
و (ما) الهـــج نفسى بغيــر الخنـــا
بحب ذوات اللـــمى والنهـــود !
وقال فى صباه (يمدح محمد بن عبيد الله العلوى) :
بانوا بخـــرعوبة لهـــا كفـــل
يكـــاد عنـــد القيـــام يقعـــدها
وقال من قصيدة يمدح بها المغيث العجـــلى :
هام الفـؤاد بأعــــرابية ســـكنت
بيتـــا من القلب لم تمدد له طنبـــا
مظلومة القـــد فى تشبيهـــه غصنا
مظلومة الـــريق فى تشبيهـــه ضربا
بيضاء تطمـــع فيما تحت حلتهـــا
وعـــز ذلك مطلـــوبا اذا طلبـــا
كأنها الشـــمس يعيى كف قابضـــه
شـــعاعها ويراه الطـرف مقتـــربا
مرت بنا بين تربيهـــا فقلت لهـــا :
من اين جانس هذا الشادن العـربا ؟

وقال يمدح على بن منصور الحاجب :

بأبى الشـموس الجانحات غواربا
اللابسـات من الحرير جلاببا
المنبهـات قلوبنـا وعقـولنـا
وجنـاتهن الناهبـات الناهبـا
الناعمـات القاتـلات المحييـا
ت المبـديات من الدلال غرائبـا
حاولن تفـديتى وخفن مراقبـا
فوضـعن أيديهن فـوق ترائبـا
وبسـمن عن برد خشـيت أذيبـه
من حـر أنفـاسى فكنت الذائبـا
ياحبـذا المتحملـون و حبـذا
واد لثمت به الغـزالة كاعبـا

وقال يمدح كافورا سنة ست وأربعين وثلاثمائة للهجرة :

من الجـآذر فى زى الأعـاريب
حمـر الحـلى والمطايا والجلابيب
ما أوجـه الحضر المستحسنات بـه
كأوجـه البـدويات الرعـابيب
حسن الحضـارة مجلوب بتطـرية
وفى البـداوة حسن غير مجـلوب
أين المعيـز من الآرام ناظـرة
وغير ناظـرة فى الحسن والطيب ؟
أفـدى ظبـاء فلاة ما عرفن بهـا
مضـغ الكـلام ولاصبغ الحواجيب
ولابرزن من الحمـام مائلـة
أوراكهـن صقيـلات العـراقيب

فهذه ستة أمثلة على وصفه لجمال الجسد الانسانى شعرا وجيدا وعيـونا وشفاها ونهودا وأردافا وأوراكا وعراقيب · وهى (بالمصادفة المحضة وكلها من الجزء الأول فقط من شرح العكبرى) تمثل شعره فى أطواره المختلفة

فى صباه قبل السجن ، وفى شبابه ، وفى كهولته ٠ فعلى أى أساس قال ماسينيون ما قال ؟ وعلى أية حال فلا علاقة بين وصف الشاعر فى حد ذاته أو عدم وصفه لجمال الجسد الانسانى وبين القرمطية ٠ والمهم هنـــا أن المتنبى لم يؤثر عنه أنه ارتكب فاحشة الزنا ، فلا يمكن اتهامه بأنه كان قرمطيا ، اذ ان القرامطة كانوا كما سبق القول لايرعون لعرض حرمة ٠ ثم أين ثورة المتنبى فى شعره على نواميس المادة ؟ أما تهديداته فقد بينت من قبل بما لايدع مجالا للشك أنها ثورة الفقر والحرمان والاعتداد بالمواهب العقلية والخلقية ، فلا صلة بينها وبين ثورة القرامطة ٠ ألا يرينا هذا أن هؤلاء المستشرقين الأعاجم غير أهل للثقة الشــــديدة التى يوليهم اياها بعضنا فيلقون اليهم مطمئنين آذانهم وعقولهم ؟

وما سينيون لايقف عند حد اتهام المتنبى بالقرمطية بل يرى فى شعره علامات على اسماعيليته (على أساس أن القرامطة كانوا فى مبتدأ أمرهم اسماعيليين) ٠ ومن هذه العلامات انه ، كما يقول ، يستعمل ألفاظا ممـا كان الاسماعيليون يستعملونه ، مثل «قدس الله روحه» و «الفلك الدوار» و «المهدى» و «القائم» و «الخلف» (٦٨) ٠ والحقيقة أن الانسان لاينسـب الى مذهب ما لمجرد أنه تصادف استعماله لبعض الألفاظ التى تشيع بين أصحاب هذا المذهب ، بل العبرة أن يكون استعماله لها فى نفس المعنى الذى يستعملونها فيه وأن تكون مفهومات هذه الألفاظ جزءا من اعتقاده وأن يدل سلوكه ومواقفه على ذلك ، أما المسارعة ، لمجرد اســـــتعماله بعض ألفاظهم ، الى القول بأنه على مذهبهم فذلك اتجاه خطر ٠ ان أى مثقف لابد أن تجرى فى كتاباته وأقواله ألفاظ وعبارات من مذاهب وفلسفات بل وأديان مختلفة ، ولكن المهم هو قصده من ورائها ، وهل يعتقدها أو لا ؟ وهل تدل مواقفه المختلفة من هذه المذاهب والأديان وأصحابها على ذلك أو لا ؟ وعلى كل حال فاخوان الصفا جماعة سرية ظهرت فى البصرة فى النصف الثانى من القرن الرابع ، أى بعيدا عن المجال المكانى والزمانى للمتنبى أيام أن نظم قصائده التى فيها هذه الاشارات المزعومة ، فضلا عن أن أحدا من الذين كتبوا عن المتنبى لم يذكر عنه أنه كان واحدا منهم ، مع أننا رأينـا

بعضهم ، بناء على أبيات متناثرة ، ينسبونه الى مذاهب مختلفة ، فلم يذكروا من بينها المذهب الاسماعيلى • وقبل ذلك كله هل كان اخوان الصفا شيعة اسماعيلية ؟ ان العلماء مختلفون فى نسبتهم العقائدية (٦٩) •

ثم لو كان المتنبى اسماعيليا فلم لم يلحق بالاسماعيليين فى أماكن تجمعاتهم أو فى قلعتهم المعروفة بقلعة «الموت» أو فى شمال افريقية حيث كانت لهم شوكة ودولة طامحة الى التوسع والسيادة (وقد توسعت فعلا فضمت مصر والشام بعد موته بقليل) (٧٠) بدلا من التنقل المحفوف بالمخطر المهلك والتعرض لما يمس كبرياءه فى كثير من الأحيان ؟

ان بنت الشاطىء تنقل عن ابن العماد الحنبلى أن المتنبى قد اتجه الى الغرب قاصدا المعز لدين الله الفاطمى حين سمع أنه يستقبل الشعراء ويجيزهم على مدحه ، وقد أعد قصيدة عصماء فى مدح الأمير • بيد أن ابن هانىء ، الذى خاف أن ينافسه المتنبى على حظوته لدى مولاه خرج فى زى أعرابى فقير على راحلة هزيلة وأمامه شاة عجفاء ، فلقى المتنبى على مرحلة من قابس ، واحتال عليه موهما اياه أن هذا هو كل ما ظفر به من المعز على قصيدة عصماء قالها فيه ، فرجع المتنبى من حيث أتى (٧١) • ومعنى ذلك أن المتنبى قد فكر فى الذهاب للفاطميين ، الذين هم اسماعيليون • بيد أن الملاحظ هو أن أحدا من المتقدمين لم يذكر هذه القصة قبل ابن العديم، الذى توفى سنة ١٠٨٩ هـ ، أى بعد أن مات المتنبى بأكثر من سبعة قرون • ثم ما الذى أعلم ابن هانىء بعزم المتنبى على القدوم على المعز لدين الله ؟ وأية مصادفة تلك التى جعلته يلتقى به ؟ كذلك لقد تولى المعز لدين الله الخلافة سنة ٣٤١ هـ ، وكان المتنبى اذ ذاك عند سيف الدولة فى أوج مجده، ولانعلم أنه تركه الا الى مصر ، ثم لانعلم أيضا أنه ترك كافورا الا الى العراق • وقصيدته فى هربه مصر تذكر المواضع التى مر بها موضعا موضعا ، وكذلك أخباره • فهل ذهب قاصدا المعز وهو لايزال فى مصر ؟ ان كان الأمر كذلك فهل كان كافور يسكت عليه ؟ ألم يكن سيقتله فى الحال ؟

أما بعد وصوله الى العراق فانه لم يعد الى الغرب مرة أخرى ، بل يمم فارس ، وعند عودته قتل فمتى اذن ذهب قاصدا المعز ؟ ومن أى طريق ؟ وفضلا عن ذلك فان ابن هانىء لم يتصل بالمعز الا فترة قصيرة قصد بعدها المعز لفتح مصر ٠ يعنى كان اتصاله بالمعز ، فيما يبدو ، فى الوقت الذى كان المتنبى فيه قد مات ، لأن المعز فتح مصر سنة ٣٥٨ هـ (ومات المتنبى سنة ٣٥٤ هـ) ٠ واقول «فترة قصيرة» لأن ابن هانى لما هاجر الى المغرب وسنة ٢٧ (ولد فى ٣٢٠ أو ٣٢٦ هـ) لم يتصل بالمعز مباشرة بل مدح جوهرا وعددا من الولاة ، واخيرا وصل الى المعز قبل فتحه مصر بمدة قصيرة ٠ ثم ان المتنبى كان شديد الثقة فى تلك الفترة بنفسه وشعره ، ولم يكن يقصد بنفسه أحدا من الملوك ، وانما هم الذين كانوا يطلبونه ٠ وحتى لو افترضنا أنه هو الذى طلب بنفسه الوصول الى المعـز لدين الله فليس من السهل أن أصدق أن المتنبى ، وتلك ثقته واعتداده بنفسه وفنه ، قد ظن أنه سيلقى نفس مصير ابن هانىء ٠ بل اذا كان قد بلغه (اين ؟ فى الشام ؟ فى مصر ؟ فى العراق ؟ لا أدرى) أن المعز يجازى الشعراء على مدائحهم فيه بالأموال الطائلة (مما يدل على اشتهاره بهذا) فهل كان من السـذاجة والحماقة بحيث يصدق ابن هانىء لأول وهلة بعد كل ما قطع من سـفر وتكبد من مصروفات ومشقات ؟ ثم أين القصيدة التى كان قد أعـدها للمعز ؟ أيضا فقد كان ابن هانىء من المعجبين بشعر المتنبى فكيف يكـون كل ما دار بينهما هو «كلمة ورد غطاها » ؟ واذا كان الشـاعرن كلاهمـا اسماعيليين فكيف خان واحد منهما الآخر على هذا النحو بدلا من أن يضع يده فى يده ؟ وأخيرا فان شخصية ابن هانىء كما نعرفها ليست بهـذه الدرجة من المكر والدهاء ، فقد كان مجاهرا بعقيدته المنحرفة وتهتكه فى الخمر وقد اورد البديعى قصة لقاء المتنبى بابن هانىء مع اختـلاف فى بعض التفاصيل ، وفندها وحمل على من يرددونها واصفا اياهم بأنهم طغام ومشبها لهم بالأنعام (٧٣) ٠ وقد أورد البديعى قصـيدة قيل ان ابن

هانیء مدح بها سيف الدولة ، وخطأ من يقولون بذلك ، وهو ما يدل على كثرة الروايات الخاطئة التى تحتاج الى تمحيص (٧٤) . ولنفترض أن هذا حدث ، أفلم يكتشف المتنبى الخدعة بعد ذلك ؟ فكيف لم يهج ابن هانیء ؟ أيا ما يكن فان المتنبى حينقصد المعز (على هذه الرواية) فقد قصده كممدوح لا كاسماعيلى يلوذ به لاتفاقهما فى المذهب (٧٥) .

ولأخذ فكرة عن الخطأ الذى وقع فيه ما سينيون أقف عند قوله ان المتنبى قد استعمل كلمة «الثقلان» فى شعره بمعنى «العترة والقرآن» ، وذلك فى قوله يمدح كافورا :

فمـــا لك تختـــــار القسى وانمـا
عن الســـعد يرمى دونك الثقـــلان

وأى انسان عنده حس باللغة العربية وذوقها يدرك للوهلة الأولى أن هـذا فهم خاطیء للبيت ، فالثقلان ، كما جاء فى القرآن ، هما الانس والجن ، وهذا هو مراد المتنبى هنا ، والا فكيف يرمى القرآن والعترة النبـوية عن كافور ؟ لاحظ أن كافورا سنى ، وكانت بينه وبين الفاطميين الاسماعيليين فى شمال افريقية عداوة سياسية رهيبة ، اذ كان هؤلاء يطمعون فى أن يضموا مصر الى دولتهم (وقد نجحوا بعد ذلك كما هو معروف) ، فاذا كان المتنبى اسماعيليا كما يزعم ماسينيون فكيف يمدح كافورا السنى عـدو الاسماعيليين بهذا ؟ ثم ماذا يقول ماسينيون فى مثل هذا البيت ، وهو من قصيدة له فى سيف الدولة) أى قبل أن يقول البيت الســـــابق فى كافور) :

وتمـــلك أنفس الثقـــلين طـــرا
فكيف تحـــوز أنفســــــها كلاب ؟

اكان يقصد أن سيف الدولة يملك أنفس «القرآن والعترة» ؟ ولنفترض أننا ألغينا عقولنا وأذواقنا ومعرفتنا بلغتنا وقلنا ان المتنبى فى البيت الأول (بل وفى البيت الثانى أيضا) يقصد بـ «الثقلين» القرآنوالعترة ، فمن قال ان هذا يدل بالضرورة على أنه اسماعيلى ؟ لقد ورد فى أحد أحاديث الرسـول عليه السلام : «انى تارك فيكم الثقلين : القرآن وعترتى» ، فهل كان

الرسول عليه الصلاة والسلام ، (أستغفر الله) اسماعيليا ؟ بل ان أبن هانيء نفسه ، وهو اسماعيلى المذهب ، قد استخدم هذه اللفظة بمعنى «الانس والجن» بنص كلامه ، وذلك فى البيت التالى (من قصيدته التى يتحدث فيها عن المتنبى وشعره) :

فقد حمــلتم عليــه فى قصــائده

ما يضــحك الثقلين : الجن والبشرا

فهذا شاعر اسماعيلى يستخدم اللفظة التى يرى ماسينيون أن استخدام المتنبى لها أحدى علامات اسماعيليته · وأين ؟ فى قصيدة عن المتنبى نفسه· أليس يدل ذلك على تهاوى فكرة ماسينيون ؟

وهذا مثال آخر على طريقة ماسينيون فى الفهم والاستنتاج · انه يرى أن بيت المتنبى الذى يقول فيه :

وما التأنيث لاسم الشــمس عيب

ولا التذكيــر فخــر للهــلال

يشير الى الخلاف القديم بين الشيعيين فى تفضيل الميم (يعنى محمدا) على العين (يعنى عليا) ، بيد أن الشراح لم يلتفتوا الى شيء من ذلك · ففى علم الفلك عند الشيعيين تعنى الشمس «محمدا» ،والقمر «عليا» و «الزهراء» فاطمة ، والفرقدان «الحسن والحسين» (٧٦) والحقيقة التى ينطق بها ديوان المتنبى نطقا واضحا صريحا لايحتمل لبسا ولاتأويلا أنه كثير الاستعمال فى مدحه وغزله للفظتى «الشمس والقمر» · ولن أذهب بعيدا وسأقتصر (كما فعلت قبل قليل) على الجزء الأول من شرح العكبرى لديوان الشــاعر ، وسألتقط منه ما يقع تحت بصرى مصادفة · خذ عندك :

بســيف الدولة الوضــاء تمسى

جفــونى تحت شــمس ما تغيب

★ ★ ★

(وفيه أيضــا) :

ولو غيــر الأميــر غــزا كلابــا

ثنــاه عن شــموسهم ضبــاب

★ ★ ★

(شموسهم : نسائهم)
وفيه أيضا يقول :

وما قلت للبدر : أنت اللجين
ولا قلت للشمس : أنت الذهب

وعن الشمس وخولة يقول فى رثاء الأخيرة ، التى غاب نورها تحت التراب :

فليت طالعة الشمسين غائبة
وليت غائبة الشمسين لم تغب

وعن السيوف يقول :

طلعن شموسا والغمود مشارق
لهن وهامات الرجال مغارب

وفى مدح أبى أيوب أحمد بن عمران :

أعيا زوالك عن محل نلته
لاتخرج الأقمار عن هالاتها

وفى محمد بن عبد الله العلوى يقول (وذلك فى صباه) :

شمس ضحاها ، هلال ليلتها
در تقاصيرها ، زبرجدها

وفى المقدمة الغزلية لقصيدته فى شجاع بن محمد الطائى المنبجى (فى صباه أيضا) :

فرأيت قرن الشمس فى قمر الدجى
متأودا غصن به يتأود

وهذه أمثلة عارضة ومن جزء واحد من أربعة أجزاء · وهى تريك كيف أن المتنبى كثير الاستخدام لهاتين اللفظتين وأنه لايمكن أن يكون قصده منهما الرسول ﷺ وعليا وبالمناسبة قد تكررت الاشارة فى شعره الى الكوكب «زحل» ، الذى يفضل عليه ممدوحه ، فهل هذه أيضا فكرة اسماعيلية ؟ فاذا أضفنا الى ذلك تكرر الاشارة فى شعره الى فضل الذكر على الأنثى (بعيدا عن الشمس والقمر) تبين لنا على سبيل القطع أن ماسينيون قد أخطأ خطأ شنيعا · وهذه بعض شواهد على ما نقول :

يقول فى رثائه لخولة أخت سيف الدولة :

فان تكن خـلقت أنثى لقـد خـلقت
كريمـة غير أنثى العقـل والحسب

ويقول فى رثائه لعمة عضد الدولة :

أسـتغفر الله لشـخص مضى
كـان نـداه منتـهى ذنبـه

. . . . [*]

يحسـبه دافنـه وحـده
ومجـده فى القبر من صحبه
ويظهـر التذكيـر فى ذكـره
ويسـتر التأنيث فى حجبـه

وفى أم سيف الدولة :

وليسـت كالاناث ولا اللـواتى
تعـد لها القبـور من الحجـال

وفى بيت آخر (من قصـيدته فى رثاء أخت سيف الدولة الصـغرى) يقول مامعناه أن الناس ربما أنثوا لفظ الدنيا لما فيها من صفات الأنثى كالغدر وعدم تتميم الوصال ، وهو ما يدل على أنه يرى الأنثى أقل من الرجل مرتبة، يقـول :

وهى معشـوقة على الغـدر لاتحـ
ـفظ عهـدا ولاتتمم وصـلا

. . . .

شـيم الغـانيات فيها فمـا اد
رى لـذا أنث اسـمها الناس أم لا

المتنبى اذن لم يكن اسماعيليا كما لم يكن قرمطيا . وكيف يكـون اسماعيليا وهذه عقيدته كما نشرناها من قبل فى هذا الفصل ، وهى عقيدة المسلمين المعتدلين : فى الله والرسل والملائكة والمعاد والحلال والحرام ، وان نضحت على لسانه فى أوقات فشله وانكسار قلبه واحساسه بأنه غير

بالغ طموحه عبارات ما كان ينبغى أن يتفوه بها ، ولكنها لاتدل ، فى رأيى ، على أنه كان يعتقدها ؟ انما هى ، كما قلت ، خشونته ووعـــورة نفسـه واعتزازه بذاته اعتزازا عنيفا وأعماقه البدوية وجرأته التى لاتخلــو من حماقة وسفه أحيانا ٠

ثم ان للاسماعيلية معتقداتهم الخاصة ، كايمانهم بامامة اسماعيل بن جعفر الصادق ، وبأن النصوص القرآنية والأحاديث النبوية ينبغى أن تؤول حتى يعرف معناها الحقيقى . كذلك كانت لهم مصطلحاتهم ، كالعقل الأول والنفس الكلى والعقل المشخص ٠ كما أنهم كانت لهم تنظيماتهم الدقيقــة وفدائيوهم ودعاتهم وأسلوبهم فى تشكيك الناس فيما يؤمنون به وخلخلـة يقينهم (٧٧) ٠ ولم يعرف عن المتنبى شىء من ذلك ٠ بل حتى الرقم «سبعة» الذى يمثل مكانة هامة فى فكر الاسماعيلية وعقائدهم لاتجده يتردد في شعر المتنبى ٠ وقد أحصيت الأرقام التى وردت فى شعره فلم يقابلنى هذا الرقم ، فيما تنبهت ، الامرة واحدة ، وذلك فى البيت التالى من قصيدته فى على بن ابراهيم التنوخى :

فلمـــا جئتــــه أعـلى محــــلى
وأجلســـنى عـلى الســبع الشداد

و «السبع الشداد» تعبير قرآني يقصد به السماوات السبع ٠ وروروده فى شعر المتنبى دليل آخر على أنه كان يصدق بما في القرآنى مما لايدركـــه الحس ولا العقل ٠ على حين تكررت الأرقام الأخرى والكســور مرة أو مرتين مثل ٦، ١٠، ١٠٠، $\frac{1}{2}$، $\frac{1}{3}$) ٠

واذا لم يكن المتنبى اسماعيليا ولا قرمطيا فهل كان شيعيا عاديا ؟ (ذلك أن الاسماعيلية هم احدى فرق الشيعة الغالية المنحرفة ، والقرامطة كانوا فى مبدأ أمرهم اسماعيلية ثم انحرفوا فى طريق خاص بهم)٠

ان التشيع يقوم علي عقيدة الوصاية (اى وصاية النبى ﷺ لعلى ليتولى الأمر من بعده) والامامه (أى لابد من امام من أهل البيت معصوم). والمهدى ٠ كما أن هناك تقليدا بين الشعراء الشيعة فى البكاء وذرف الدموع

السخينة على النكبات التى انصبت على آل البيت انصبابا فى عهد الأمويين والعباسيين وتقتيلهم وتشريدهم فى الآفاق ، والمنافحة عن حقهم فى الخلافة وتولى أمور المسلمين ، وهجاء أعدائهم ، وتسميتهم بالنواصب ··· الخ وقد أورد د · الشكعة فى كتابه «فنون الشعر فى مجتمع الحمدانيين » لكثير من شعراء سيف الدولة ، ككشاجم وأبى بكر الخالدى والسرى الرفاء والخباز البلدى وأبى بكر الصنوبرى ، وحتى أبى فراس ، شعرا جميلا فى مصاب آل بيت النبى ، وحقهم فى الخلافة ، وفى على والحسين ··· الخ (٧٨) علاوة على ما أنفردوا به فى فقههم مثل زواج المتعة، وما اشتهروا به من خلق وسلوك كمبدأ «التقية» (٧٩) (ودعك من العقائد المغالية التى تنسب للشيعة الامامية) ·

ان ابن العديم فى «بغية الطلب» يروى عن على بن أحمد الماذرانى أن المتنبى كتب اليه بالرملة الأبيات التالية ، وذلك فى حاجة له :

انى سألتك بالذى ... زان الامامة بالوصى
وأبان فى يوم الغديـ ... ـر لكل جبار غوى
فضل الامام عليهمو ... بولاية الرب العلى
الا قصدت لحاجتى ... واغنت عبدك يا على

وأنه كان يتشيع (٨٠) · ولكن هذه الأبيات ان صح أنها للمتنبى (وفى نفسى أشياء منها ، فهى تخالف روح المتنبى وسائر شعره ، سواء من ناحية القافية ، التى لم تتكرر قط أو من ناحية هذه الأفكار الشيعية التى لايرد شيء منها فى ديوان الشاعر ، اذ ان هذه الأبيات لم ترد فيه) أقول : ان هذه الأبيات ان صحت فانى أفهمها على أنه يحاول كسب قلب الشاعر بمناشدته بالأعزاء الغالين عليه (وقد عقب ابن النديم ، على كل حال ، بما يدل على ان المتنبى لم يكن متشيعا) · وعلى هذا المحمل احمل رده على من عاتبه على تركه مديح آل البيت ، اذ قال :

وتـــــركت مدحى للوصى تعمـــــدا
اذ كان نورا مســــتطيلا شـــاملا
واذا اســـتطال الشىء قـام بنفســـه
وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا(٨١)

وهو رد (لو صحت الرواية وصحت نسبة البيتين اليه) يدل على تنصل وليس هذا برد رجل شيعى ، والا فقد كان الشيعة كلهم يؤمنون أجـــزم الايمان أن عليا نور مستطيل شامل وأنه يقوم بنفسه ، ومع ذلك فلم يمنعهم هذا أن يمدحوه . ولا أظن أن مثل هـــذا البيت (فى مـــدح أبى طـــاهر العلـــوى) :

هو ابن رســـول الله وابن وصيـــه
وشبههما شـــبهت بعـد التجارب

يكفى للحكم عليه بأنه شيعى ، بل الأجدر (فى ضوء مايدل على عدم شيعيته مما سأذكره حالا) حمله على محاولة التقرب الى ممدوحه · ثم ان لفظة «الوصى» لاتعنى فى حد ذاتها المصطلح كما يفهمه الشيعة ، فقد يعتقد المسلم ان النبى ﷺ قد أوصى المسلمين بأن يعاملوا عليا معاملة حسنة بوصفه ابن عمه وختنه ومن أوائل من آمنوا به لا بأن يتخذوه كرم الله وجهه اماما من بعـــده ·

وفضلا عن ذلك فان المتنبى فى مدائحه لأبى العشائر وسيف الدولة وابن العميد وعضد الدولة مثلا ، وهم شيعة ، لم يتطرق الى شىء من عقائد الشيعة ، ولو من باب التقرب اليهم · ليس هذا فقط ، بل قد تكرر وصفه لسيف دولة بأنه سيف دولة بنى هاشم ، وهو يقصد الدولة العباسية ، فلو أنه كان شيعيا ما جعل سيف الدولة أداة فى يد الخليفة العباسى ولاوصف الخلافة العباسية بأنها دولة بنى هاشم ، فان الشيعة كانوا يعتقدون أن العباسيين قد غصبوا العلويين حقهم وما كانوا لينسوا ما أنزلوه بهم ، رغم أنهم أبناء عمومة ، من عذاب وتنكيل لايقل بل ربما يزيد عما فعـــله بهم الأمويون · وذلك كقوله :

ياسيف دولـــة هاشـــم من رام ان
يـــلقى مثـــالك رام غيـــر مرام

وقوله :

قلـــــد الله دولـــة ســـيفها أنــ
ـــت حســـاما بالمكـرمات محـلى

وقوله :

ان الخليفـــة لم يســمك ســـيفها
حتى ابتـــلاك فكنت عين الصـــارم

وذلك متكرر كثير · وهذا فضلا عن مدحه لكثير من الأعيان السنيين وكافور أيضا ·

ومما يدل على عدم تشيعه أيضا أنه كان اذا مدح انسانا رفعـــه فوق كل البشر ، فكيف يتفق هذا مع اعتقاده بالامام وأنه أفضل البشر جميعا ؟ وهاك بعض الامثلة على ذلك :

قال يمدح الحسين بن اسحاق التنوخي :

أأنطق فيك هجـــرا بعـــد علمي
بأنـــك خير من تحت الســـماء ؟

وفي عبيد الله بن طغج يقول :

مـــاذا يقـــول الـذى يغني
يا خيـــر من تحت الســـماء ؟

وفي رثاء محمد بن اسحاق التنوخي وتعزية أهلـــه :

ولكـل مفجـــوع ســـواكم مشـــبه
ولكل مفقـــود ســـواه نظيـــر

[illegible] أحمد بن الحسين القاضي المالكي :

ولم يعـــظم لنقص كـــان فيـــه

ولم يــــزل الأميـــــر ولن يـ

بـــلا مثـــــــل وان أبصرت فيـــه

لكـــــل مغيب حســــن مثـــ

وفى سيف الدولة :

ان كان مثـــلك كان أو هو كـــائن

فبـــرئت حينئـــــذ من الاســ

هذا ، ولو كان المتنبى شيعيا أكان يقول فى ابن العميد :

فان يكن المهـــدى من بان هـــديه

فهذا والا فالهـــدى ذا فما المهد

انه بهذا يضع تعريفا للمهدى يخالف ما أجمعت عليه الش

الرجل أو ذاك من نسل على بن أبى طالب ، وليس مجرد أ

هديه • وثانيا فانه يجعل ابن العميد ، وهو ليس من ســلا

وجهه بل ليس عربيا أصلا ، هو المهدى • كذلك فان البيتين ا

السابق يسخران من فكرة الامام المهدى الغائب • وهذان ه

يعللنـــا هذا الزمان بـــذا الوعـــد

ويخـــدع عمـــا فى يديه من النقـ

هل الخير شىء ليس بالخيـــر غـــائب

أم الرشد شىءغائبليس بالرشد؟(

ثم لو كان المتنبى شيعيا أكان يندفع ابن حجاج البغدادى (

من كبار شعراء الشيعة) فى هجائه حينما وفد على بغدا

مصر وقبل أن يقدم على ابن العميد وعضد الدولة ؟ (وقد م

يغضب الشريف المرتضى ذلك الغضب العنيف حينما يلمح ا

تلميح (من بعيد) أن شعر المتنبى أفضل من شعره؟ (وقد مرت

أيضا) ، بل أكان يفكر مجرد تفكير فى التنقص من شعره

هوامش الفصل الثالث

(١) الوساطة · ص ٦٠ ·

(٢) المرجع السابق · ص ٦٢ ·

(٣) العميد / الابانة عن سرقات المتنبى · ص ٢٤ · هذا عن دين المتنبى ، أما نسبه فقد فرغنا من الكلام فيه فى الفصل الأول ، غير أنى لا أحب أن يفوتنى التنبيه الى سخف كلام ابن العميد عن سقوط آباء المتنبى وأجداده ، كما يقول ، فان هذا لايصح خقلا ولا دينا ولاحضارة · والاسلام الذى ينتمى اليه العميدى يدين كلامه هذا أشد ادانة ·

(٤) انظر النص فى شاكر / السفر الثانى · ص ٢٧١_٢٧٣ ·

(٥) انظر خزانة الأدب/جـ٢·ص ٣٤٨ _ ٣٤٩ ·

(٦) انظر ذلك فى ترجمة ابن العديم له فى شاكر/السفر الثانى · ص ٢٩٦ ·

(٧) د · مهدى علام / دراسات أدبية · ص ١١ ·

(٨) الحق ان الاستاذ الدكتور قد أضاف من عنده ، فى شرحه للبيت عبارة لا يقبلها كلام المتنبى ، وهى عبارة : «لاخوفا من الله » ·

(٩) د · مهدى علام/دراسات أدبية · ص ١١_١٥ ·

(١٠) المرجع السابق · ص ١٤ ·

(١١) على أدهم/على هامش الأدب والنقد ٠ ص ٦٦ـ٦٧ ، و د ٠ الشكعة / فنون الشعر فى مجتمع الحمدانيين ص ٤٢٧ـ٤٢٨ ٠

(١٢) جوزف الهاشم / أبو الطيب المتنبى ٠ ص ٧٤ ٠

(١٣) «فنون الشعر فى مجتمع الحمدانيين» ٠ ص ٤٢٢ـ٤٢٣ ٠

(١٤) «فنون الشعر فى مجتمع الحمدانيين» ٠ ص ٤٣٣ ٠

(١٥) «خزانة الأدب» / جـ٢ ٠ ص ٣٤٨ ٠

(١٦) انظر مثلا العكبرى / جـ ٤ ٠ ص ٢٧ فى تقديمه للقصيدة ، وص ٣١ فى الهامش فى تعليقه على البيت الثالث عشر ٠

(١٧) شاكر/السفر الأول ٠ ص ٦٣ـ٦٤ ، والسفر الثانى ٠ ص ١٥٣ـ١٥٤ ٠

(١٨) انظر فى ذلك ، الى جانب الأبيات الثلاثة الأخيرة التى سلفت الاشارة اليها ، الأبيات ٩ـ١٢ ٠

(١٩) الصبح المنبى ٠ ص ٣٨٧ ٠

(٢٠) انظر شرح العكبرى لهذا البيت / جـ ١ ٠ ص ٢١٢ ٠ هـ ١٢ ٠

(٢١) الوساطة ٠ ص ٦٠ ٠

(٢٢) هناك رواية أخرى للبيت هكذا :

يترشفن من فمى رشفات

هن فيه حلاوة التوحيد

كما أن هناك تفسيرا لكلمة «التوحيد» بأنها «نوع من التمر بالعراق» ٠ وعلى هذه الرواية وهذا التفسير فلا شئ فى البيت مما يؤاخذ عليه الشاعر ٠

انظر ابراهيم اليازجي / العرف الطيب فى شرح ديوان أبى الطيب · ص ١١٣ وهامش ٢ ·

(٢٣) انظر «العمدة» / ج ٢ · ص ٥١ ·

(٢٤) انظر دراسات ادبية · ص ١٤ ·

(٢٥) العقاد/حقائق الاسلام وأباطيل خصومه · ص ١١ـ١٢ ·

(٢٦) العقاد/حقائق الاسلام وأباطيل خصومه · ص ١٢ ·

(٢٧) المرجع السابق · ص ١٢ـ١٣ ·

(٢٨) المرجع السابق · ص ١٣ ·

(٢٩) الجن/١٠ ·

(٣٠) الأنبياء/٣٥ ·

(٣١) يونس/١١ ·

(٣٢) الفلق/١ـ٢ · وانظر أيضا مادة « Evil »
ص ٤٠٠ـ٤٠١ من The New Bible Dictionary
حيث يذكر كاتب هذه المادة أن أنبياء الكتاب المقدس قد اعتبروا الله سبحانه هو السبب النهائى للشر ، وان حاول بطبيعة الحال البحث عن الحكمة وراء وجوده كما عرضها الكتاب المقدس ·

(٣٣) الفرقان/٢ ·

(٣٤) انظر الصبح المنبى · ص ١٠٦ · هـ ٢ ·

(٣٥) العكبرى/جـ١ ٠ ص ٤٩ ٠

(٣٦) المرجع السابق/جـ١ ٠ ص ٩٤ ٠

(٣٧) المرجع السابق/جـ١ ٠ ص ٢١٣ ٠

(٣٨) المرجع السابق/جـ١ ٠ ص ٢٢٢ ٠

(٣٩) المرجع السابق/جـ١ ٠ ص ٢٤٨ ٠

(٤٠) انظر «يتيمة الدهر» / جـ١ ٠ ص ١٣١ ٠

(٤١) العكبرى/جـ٢ ٠ ص ٢١٨ ٠

(٤٢) العكبرى/جـ٢ ٠ ص ٣٠٧ ٠

(٤٣) العكبرى/جـ٣ ٠ ص ٧٣ ٠

(٤٤) العكبرى/جـ٤ ٠ ص ٨٠ ٠

(٤٥) السابق/جـ٢ ٠ ص ٢٣٩ ٠

(٤٦) السابق/جـ٢ ٠ ص ٣٤٨ ٠

(٤٧) أما شرح العكبرى لهذا البيت فهو أن الله اذا كان قد ملك كافورا على المصريين فقد أراد ذلك اخزاء لهم، ولا دليل فيه على عدم وجوده أو عدم عدله ٠ وقد استغربت هذا الشرح ، لأنه لايستقيم مع بناء الكلام فى البيت ، فان الواو (فى أول الشطر الثانى) هى للعطف ٠ ومعنى ذلك ان الله سبحانه قادر على اخزاء الناس وتكذيب الشاكين المشككين منهم . وقد رجعت لليازجى فوجدته يعرض شرح الواحدى ، الذى يتفق مع شرح

العكبرى ، ثم يعقب بشرح البيت ، كما يراه انسب لمقصد المتنبى ، شرحا يتفق مع ماتبادر الى فهمى من البيت · انظر العكبرى /جـ٤ · ص ١٥١ · هـ ٨ ، واليازجى / مجلد ٢ · ص ٣٩١ · هـ ٢ ·

(٤٨) العكبرى/٢ · ص ١١٨ ·

(٤٩) انظر «الشاعر الطموح» · ص ٣٤ـ٣٥ ·

(٥٠) «رسالة الغفران» · ص ٤٢٢ ·

(٥١) العكبرى/جـ ٢ · ص ١٨٥ ·

(٥٢) انظر «الصبح المنبى» · ص ٥٤ وفى هامش ١ ·

(٥٣) المرجع السابق · ص ٢٢٩ والهامش ·

(٥٤) «المهدى والمهدوية» · ص ٥٠ ·

(٥٥) انظر «المتنبى بين ناقدية» · ص ٣٤٦ ·

(٥٦) «ذكرى ابى الطيب بعد الف عام» · ص ٢٥٩ · أما قول د · شعيب (المتنبى بين ناقديه · ص ٣٤٧) بأن المتنبى عاش طول عمره يحلم بالاطاحة بالدولة العباسية فلا أوافقه عليه ، لأنه قول بلا دليل ·

(٥٧) «المهدى والمهدوية» · ص ٤٣ ·

(٥٨) «ابو الطيب المتنبى فى مصر والعراقين» · ص ٣٨ـ٣٩ ·

٥(٩) المرجع السابق · ص ٩٣ ·

(٦٠) المرجع السابق · ص ٤٠ ، وانظر ايضا طه حسين / مع

المتنبى . ص ٩٧ حيث يفهم من كلامه أيضا أن المقصود بـ «الشيخ» فى البيت «الانسان» لا «السيف» .

(٦١) انظر التفسيرين فى العكبرى / جـ ٤ . ص ٤٢ . هـ ٢٣ ، و «العرف الطيب» (مجلد ١ . ص ١٣٨ . هـ ٥) ، الذى ينقل عبارة العكبرى بنصها . وانظر أيضا «ذكرى أبى الطيب بعد ألف عام» . ص ٤٥-٤٦ . والثلاثة يختارون تفسير «شيخ» بـ «السيف» .

(٦٢) ان العكبرى يفسر الشطرة الثانية من البيت الأخير بأنهم «ان أدبروا عنى فلا أقتصر على قتلهم وحدهم ، بل أقتلهم وقوما آخرين » (العكبرى/جـ ٤ . ص ٤٤) ، وهو ما يتابعه اليازجى فيه (العرف الطيب / مجلد ١ . ص ١٣٩) . وهذا تفسير كما ترى لايسعف البيت عليه أبدا . ولا أدرى كيف فاتهم المعنى الواضح الذى يتبادر الى الذهن لأول وهلة والذى لايستطيع الانسان أن يطرحه مهما يعد قراءة البيت مرات ومرات .

(٦٣) «أبو الطيب فى مصر والعراقين» . ص ٤٥ .

(٦٤) المرجع السابق . ص ٤٤ .

(٦٥) انظر د . أحمد أمين / المهدى والمهدوية . ص٤٣، ٤٧، وعبد الله سلوم السامرائى / الغلو والفرق الغالية . ص ١١١-١١٢ ،و«الفرق بين الفرق» . ص ٢٧٠، ٢٧٨، ٢٨٢ . وانظر مادة «Karmatians» فى ص ٢١٨-٢٢٣ ، وكذلك مادة «Carmathians» فى دائرة المعارف البريطانية / مجلد ٤ . ص ٨٨٧ . وانظر أيضا «المتنبى بين ناقديه » . ص ٣٤٣-٣٤٦ ، وكذلك انعام الجندى / دراسات فى الأدب العربى . ص ٢٠٠-٢٠١ (فى الهامش) .

(٦٦) انظر فى تاريخهم وأفعالهم السود الفصل الموجز الذى كتبه د . أحمد أمين فى «ظهر الاسلام» / جـ٤ . ص ١٢٢-١٢٤ . وانظر كذلك

مادة «Karmatians» فى Shorter Encyclopaedia of Islam ص ٢١٨ ٢١٩ وأيضـــا د ٠ حسن ابراهيم/تاريخ الاسلام السياسي والدينى والثقافى والاجتماعى /ج ٣ ٠ ص ١٩٦ـ١٩٧ ٠

(٦٧) انظر ماسينيون
Mutanabbi devant le siècle ismaelien de l'Islam
ص ١٢ نقلا عن ٠ شوقي ضيف / الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ٠ ص ٣١٢ ٠

(٦٨) «الفن ومذاهبة فى الشعر العربى » ٠ ص ٣١٢ ٠

(٦٩) انظر الفصل الذى كتبه د٠ احمد امين عنهم فى «ظهر الاسلام» ج ٢ ص ١٤٣ـ١٦٣ ٠

(٧٠) وذلك كما فعل ابن كلس اليهودى ، الذى هرب من مصر اليهم وجاء معهم عند فتحهم لها ٠ انظر د ٠ الشكعة/أبو الطيب المتنبى فى مصر والعراقين ٠ ص ٢٠٠ ٠

(٧١) بنت الشاطىء/قيم جديدة للأدب العربى / ج ١ ٠ ص ١٤٦ـ١٤٧ ٠

(٧٢) انظر «الأعلام » للزركلى،و «الأدب الأندلسى» للدكتور احمـد هيكل ٠ ص ٢٣٣ـ٢٣٥ ٠

(٧٣) «الصبح المنبى» ٠ ص ٣٢١ـ٣٢٣ ٠

(٧٤) المرجع السابق ٠ ص ٣٢٥ـ٣٢٦ ٠

(٧٥) انظر رأى البديعي فيمن يرددون هذه القصـــة المزعومة ،

«الصبح المنبى» ٠ ص ٣٢١ ٠

(٧٦) المرجع السابق ٠ ص ٣١٢ـ٣١٣ ٠

(٧٧) انظر «الملل والنحل» / ج ١ ٠ ص ١٩١ـ١٩٨ ، «وظهر الاسلام» / ج ٤ ٠ ص ١٢٧ـ١٣١ ، ومادة «Isma'iliya» فى Shorter Encyclopaedia of Islam

(٧٨) «فنون الشعر فى مجتمع الحمدانيين» ٠ ص ٢٨٨ـ٣٠٢ ٠

(٧٩) انظر فى ذلك الشهرستانى / ج ١ ٠ ص ١٤٦ـ١٤٧ ، ١١٢ـ١٦٥ ، «وظهر الاسلام» / ج ٤ ٠ ص ١٠٩ـ١٢٦ ، «واسلام بلا مذاهب» للدكتور مصطفى الشكعة ٠ ص ١٦٩ـ١٧٣ ، ١٩١ـ٢٠٤ ، و Shorter Encyclopaedia of Islam مادة « Shi'a » ص / ٥٣٤ـ٥٤١ ، و Dictionary of Islam لمؤلفه T. Hughes مادة « Shi'ah » ص / ٥٧٢ـ٥٧٩

(٨٠) انظر شاكر / السفر الثانى ٠ ص ٢٩٥ ــ ٢٩٦ ٠

(٨١) انظر «العرف الطيب» / مجلد ١ ٠ ص ٢٢ ٠

(٨٢) انظر شرح العكبرى لهذه الأبيات / ج ٢ ٠ ص ٦٧ـ٦٨ ، وكذلك شرح اليازجى لها / مجلد ٢ ٠ ص ٤٤٢ ٠

الفصل الرابع

(شخصيته)

عقله وثقافته :

أظهر المتنبى منذ طفولته ذكاء وتميزا عقليا واهتماما شديدا بالكتاب والمعرفة · وقد شهد له بذلك أحد العلويين من جيرانه وهو محمد بن يحيى الزيدى العلوى ، الذى قال انه « نشأ وهو محب للعلم والأدب وطلبه ، وصحب الأعراب فى البادية ، فجاءنا بعد سنين بدويا · وقد كان تعلم الكتابة والقراءة ، فلزم أهل العلم والأدب ، وأكثر من ملازمة الوراقين ، فكان علمه من دفاترهم · فأخبرنى وراق كان يجلس اليه يوما فقال لى : ما رأيت أحفظ من هذا الفتى ابن عيدان قط ! فقلت له : كيف ؟ قال : كان عندى اليوم وقد أحضر رجل كتابا من كتب الأصمعى يكون نحو ثلاثين ورقة ليبيعه فأخذ ينظر فيه طويلا ، فقال له الرجل : ياهذا ، أريد بيعه ، وقد قطعتنى عن ذلك ، فان كنت تريد حفظه ، فهذا ان شاء الله يكون بعد شهر · فقال له ابن عيدان : فان كنت قد حفظته فى هذه المدة فما لى عليك ؟ قال : أهب لك هذا الكتاب · قال : فأخذت الدفتر من يده ، وقلت : هيا ! فأقبل يتلوه على الى آخره ، ثم استلبه فجعله فى كمه ، فعلق به صاحبه يطالبه بالثمن · فقال : ما الى ذلك من سبيل وقد وهبته لى · فمنعناه منه وقلنا له : أليس شرطت على نفسك هذا للغلام ؟ فتركه » (١) · ومجمل القصة يدل على تعلق المتنبى الشديد بالكتب والقراءة وذكائه وجودة حافظته ، التى لا أظن مع ذلك أنها قد بلغت أن يحفظ ثلاثين ورقة فى جلسة واحدة سريعة ، اللهم الا اذا كان هذا الكتاب قد وقع فى يده من قبل وحفظه براحته ، ثم لما رآه وأخذ يقلب فيه ظن صاحبه أنه يقرأه لأول مرة ··· الخ ·

ويبدو أن هذا الذكاء والاهتمام بالكتاب والعلم هو الذى جعل أشراف الكوفة ، ان صح استنتاجى الذى ذكرته من قبل ، يرعونه فى طفولته ويدخلونه فى كتاب أولادهم ، هذا الكتاب الذى تعلم فيه دروس العلوية

والشعر واللغة والنحو (٢) · وقد جاء فى «يتيمة الدهر » أن والد المتنبى قد سلم ابنه فى المكاتب ، وهو ما يدل على أن أباه ، رغم فقره وبساطة مهنته ، قد اهتم بتعليمه ولم يقصر فى ذلك أى تقصير (٣) ·

أما بالنسبة لأساتذته فاننا لانعرف على من تتلمذ الصبى فى ذلك الكتاب الكوفى أو فى أى من المكاتب التى سلمه أبوه فيها · وقد ذكر المرحوم د · عبد الوهاب عزام أنه ود فى مقدمة نسخة من الديوان مخطوطة وفى ورقة ملحقة بنسخة أخرى رواية فيها ذكر لشيوخ المتنبى الذين أخذ عنهم اللغة والأدب ، ومنهم الزجاج وابن السراج والأخفش وأبو موسى الحامض وأبو عمر الزاهد وأبو نصير ونفطويه وابن درستويه وابن دريد وأبو على الفارسى وأبو القاسم عمر بن سيف البغدادى وأبوعمران موسى وقد بين الأستاذ الدكتور المرحوم ان المتنبى لايمكن أن يكون قد قابل بعض هؤلاء الشيوخ ، وعقب قائلا ان « هذه الرواية عن شيوخ المتنبى تحتمل الصدق فى جملتها لا فى تفصيلها» · وأضاف أن هذه الرواية قد جعلت «أخذه عن ابن دريد بعد أخذه عن أصحاب المبرد وثعلب والسكرى ، فان صح هذا فقد لقى شاعرنا ابن دريد فى آخر حياته · وسنرى أنه رحل الى الشام فى السنة التى مات فيها ابن دريد · وأما الفارسى فقد لقيه فى شيراز · وجائز أن يكون لقيه قبل هذا » (٤) · وقد أحسن الأستاذ الدكتور باحتياطه ذاك ، اذ ان المتنبى قد لقى فعلا أبا على الفارسى قبل هذا، وكان ذلك بحلب ، بل كا ن للمتنبى معه موقف مداعبة اذ تلثم وركب فرسه وصوب رمحه اليه عند سور المدينة مما أفزع أبا على وكاد ان يسقط عن دابته فعند ذلك حسر المتنبى لثامه ··· الخ (٥) · وثمة خبر آخر مفاده أن المتنبى كان أحد الذين كتبوا ما كان يمليه الناشىء الأصغر من شعره فى المسجد الجامع بالكوفة سنة ٣٢٥ هـ (٦) وذلك كله بخلاف ما روى الرواة من ان المدعو أبا الفضل الذى مدحه المتنبى بقصيدته المشهورة قد أضل الشاعر فى صباه وهوسه ، وهو ما يفيد أن أبا الفضل هذا قد وجه المتنبى فى صباه ثقافيا ، وان كانت لاتوجد فى الحقيقة وثائق تدل على هذا ، اذ ان القصيدة فى حد ذاتها لاتثبت ما يقولون · وذلك فضلا عن أننا لانعرف شيئا ، أى

شيء ، عن أبى الفضل هذا سوى أن المتنبى قد مدحه بهذه القصيدة التى تدل بعض أبياتها على أن ذلك كان بغرض التكسب ، والتى لاتشير من بعيد أو قريب أن هذا الرجل قد علمه شيئا أو كان له تأثير عليه من ناحيـــة الثقافة أو العقيدة ٠

وقد كان المتنبى على معرفة واسعة باللغة ودقائقها فيما تحكى لنـا الروايات ، ومن ذلك أنه قد «اجتمع هو وأبو على الفارسى فقاله له أبو على: كم جاء من الجمع على وزن «فعلى» فقال : «حجلى وظربى» (جمع«حجل» و «ظربان») ٠ قال أبو على : فسهرت تلك الليلة ألتمس لهما ثالثا فلم أجد ٠ وقال في حقه : ما رأيت رجلا فى معناه مثله » ٠ وهذا ، كما يقول راوى الحكاية ، من مثل أبى على كثير فى حق المتنبى (٧) ٠ وثمة حكاية أخرى عن خلاف لغوى بينه وبين ابن خالويه فى مجلس سيف الدولة حول فهم كلمة فى بيت من قصيدة له وكيف فلج على ابن خالويه ، وهو العالم اللغوى الضليع (٨) ٠ وحكاية ثالثة حدثت وقائعها فى مجلس الوزير المهلبى ببغداد حيث اختلف المتنبى مع الحاضرين حول كلمة وردت فى بيت أنشده أبـو الفرج الأصبهانى ٠ قالوا : «جراما» ، فصححها المتنبى قائـــلا انهـــا «جرابا» (٩) ٠ ومما يدل أيضا على تبحره فى اللغة أن ابن العميد (وابن العميد أحد كبار الأدباء والساسة فى عصره ، لاحظ) كان يجلس المتنبى فى دسته ، ويقعد بين يديه فيقرأ عليه «الجمهرة» لابن دريد ، لأن المتنبى كان يحفظها عن ظهر قلب » (١٠) ٠

وليس معنى هذا أنه لم يكن يخطىء فى اللغة ، فلا يوجـــد انسـان لايخطىء ٠ كما اننا (فى كتابنا المقبل ان شاء الله عن «فن المتنبى») سوف نورد أمثلة تبين أنه ، برغم عبقريته الشعرية ، كان يستخدم الفاظا لاتناسب مواقعها ، على عكس ماكان يدعى أبو العلاء المعرى ، الذى كان معجبا بالشاعر اعجابا مغاليا لايعرف حدا (١١) ، وأنه كان يستخدم صيغا غير صحيحة (على حسب معرفتنا ، ونرجوا ألا نكون نحن المخطئين) ٠

وممن رووا عن المتنبى «القاضى أبو الحسين محمد بن أحمدبن القاسم المحاملى ، وأبو الفتح عثمان بن جنى النحوى ، وأبو محمد الحسن بن على بن الصقر الكاتب ، والحسن على بن أيوب بن الحسين بن الساربان الكاتب والاستاذ أبو على أحمد بن محمد بن مسكويه ، وأبو عبد الله بن باكويه الشيرازى ،وأبو الحسن على بن عيسى الربعى ،وأبو القاسم بن حسن الحمصى ، وعبد الصمد زهير بن أبى جرادة ومحمد بن عبد الله بن سعد النحوى الحلبيان ، وعبد الله بن عبيد الله الصفرى الشاعر الحلبى ، وعبيد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبى الجوع الوراق المصرى ، وأبو اسحاق ابراهيم بن عبد الله بن المغربى ، وأبو بكر الطائى ، وأبو القاسم النيلبختى ، وأبو محمد الحسن بن عمر ابراهيم ، وأبو العباس بن الحوت ، وجماعة سواهم » (١٢) ومنهم أيضا محمد بن أحمد بن قادم ، وزكريا بن بكر الغسانى المشهور بابن الأشج وهما من الأندلس . ومثلهما فى ذلك ابراهيم وأبو بكر الطائى (١٣) .

ويدل على غرام المتنبى الشديد بالكتب الىجانب الرواية التى أوردناها فى أول هذا الفصل ، أنه كان من عادته السهر كل ليلة يطالع كتبه على ضوء الشموع لايشغله عن ذلك شىء (١٤) ، وانه كان شديد الاهتمام بدفاتره ،التى أحسن انتخابها وأحكمها قراءة وتصحيحا ، فكان يحملها معه أينما سافر ويوليها أكبر عنايته . وكانت معه فى سفرته التى قتل فيها ، وهى السبب فى مصرع ابنه ، الذى كان قد فر ناجيا بنفسه ، ثم عاد ليأخذ كتب أبيه فأمسك به أحد القتلة وجز رأسه (١٥) . ولكنا يحفظ بيته المشهور (وهو من قصيدة قالها فى مصر) :

أعز مكان فى الدنا سرج سابح

وخير رفيق فى الزمان كتاب

وقد صور المرحوم الاستاذ على الجارم بأسلوبه القصصى غرام شاعرنا بالكتب فقال : « وانفلت ابن سعيد (راوية الشاعر) ... الى لقاء المتنبى ، فدخل حجرة فسيحة ثمينة الأثاث فرشت أرضها بالبسط الفارسية ، وغطيت

نوافذها بسجوف الحرير المصرية ، ونضدت حولها الأرائك ٠ وكان ما يسترعى نظر الناظر فيها كثرة خزائن الكتب وكثرة المناضـــد التى القيت عليها الكتب أكداسا» (١٦) ٠ أما الأستاذ العقاد رحمه الله رحمة واسـعة فقد كان ، على العكس من ذلك ،يرى أن المتنبى لم يكن نهما الى القراءة وانما زاده من الدرس التبلغ (١٧) ، وهو يخالف ما أوردنا من روايات ، ولا يستند الى أساس ومع هذا فان الذين ترجموا للمتنبى على كثرتهم لم يذكروا لنا أسماء الكتب التى كان يقرؤها ، فيما عدا أربعة كتب : «الجمهرة» لابن دريد ، وديوانى البحترى وأبى تمام ، اللذين روى أنهما وجدا معه حينما قتل وعليهما تأشيرات وتصحيحات بخط المتنبى ، وكذلك ديوان ابن الرومى وثمة كتاب آخر ورد فى القصة التى أوردناها فى أول كلامنا عن عقله وثقافته ، ذكر أنه للأصمعى ، ولكن لم يذكر شيء عن عنوانه ٠ وهذا كل ما أذكر أنى عثرت عليه مما قرأ المتنبى من كتب بأعيانها (١٨) ٠

الروايات اذن لم تذكر مما قرأ المتنبى من كتب بأعيانها سوى أربعـة بل انها لم تذكر من نوعية هذه الكتب سوى الشعر واللغة ٠ من هنا فانى لا أدرى من أين للمرحوم د ٠ النعمان القاضى الجزم بأن كتب المتنبى « كانت تشتمل على فنون مختلفة من المعرفة فى اللغة والأدب والأيام والفلســفة والملل والنحل وغير ذلك مما تردد صداه فى مجالسه ومناظراته فى بلاط الحمدانيين ولدى كافور والمهلبى وابن العميد وأبى على الفارسى والحاتمى وغيرهم » (١٩) ٠ ان عبارة الأستاذ الدكتور رحمه الله التى ساقها عقيب ذلك كسبب بنى عليه النتيجة السابقة لاتؤدى أبدا الى هذه النتيجة ، اذ قال : « فقد كان حقا من حفاظ اللغة ورواة الشعر » ، فان حفظ اللغـة ورواية الشعر لايستلزمان أن يكون المتصف بهما قارئا لكتب «الفلســفة والملل والنحل وغير ذلك » ، بله أن تحوى مكتبته هذه الكتب ٠ اننى لا أستطيع أن أنفى أن مكتبه المتنبى كانت تضم هذه الكتب والا وقعت فيما اخذت على الأستاذ الدكتور ، ولكنى لم اكن أحب له أن يجزم بشيء ليس فى يده مستند يدل عليه ٠ قد يقال ان فى شعره أشارات الى أديان وعقائد مختلفة ، كما أن فيه عددا من مصطلحات الفلسفة وعلم الكلام ٠ وهـذا

صحيح لا اعتراض عليه ، ولكن لايترتب عليه بالضرورة أن المتنبى كان من قراء الفلسفة وكتب علم الكلام ، فما أكثر ما يلم كل منا بأفكار وآراء عن طريق السماع لا القراءة ، وذلك من محـــاضرة أو برنامج اذاعى أو مناقشة ... الخ .

كذلك مما لايمكن القطع به المصادر التى استمد منها فلسفته . ان للحاتمى رسالة يقارن فيها بين كثير من أبيات المتنبى الحكمية والفلسفية وحكم الفيلسوف الاغريقى أرسطو ، فهل ثمة دليل لايقبل النقض على أن المتنبى قرأ أرسطو وتأثر به فى أبياته تلك ؟ ان د . شعيب يعلن أنه قـرأ كل ما ترجم من مؤلفات أرسطو الى العربية وغيره مما يتضمن شيئا عن أرسطو فلم يد فى شىء منها أيا من هذه الحكم التى نسبها الحاتمى اليـــه وجعلها مصدرا لحكم المتنبى (٢٠) . وعلى كل حال فان الحاتمى لم يتهم المتنبى بالسرقة ، بل جوز أن يكون المتنبى قد قرأ الفلسفة أو يكون الأمر مجرد اتفاق ، وأثبت له الفضل فى الحالين (٢١) . أما المرحوم الشـــيخ مصطفى عبد الرازق مثلا فانه قد جعل المنبع الأول لهذه الفلسفة (بغض النظر عن موافقتنا على اطلاق هذا المصطلح على مجموع آراء المتنبى أو لا) فى آراء الفارابى لا فى فلسفة أرسطو . وحجته فى ذلك أن المتنبى عاشر المعلم الثانى سنتين فى بلاط سيف الدولة ولابد أن يكون حضر مجالسه وقرأ كتبه ثم يورد بعض شواهد من شعر المتنبى يراها انعكاسا لآراء ذلك الفيلسوف بل ان الشيخ قد شك فى أن تكون أبيات المتنبى التى عزاها الحاتمى الى أرسطو مأخوذة من هذا الفيلسوف الاغريقى ، ويرى أن الحاتمى ، وربما المتنبى أيضا ، قد أخذها من أقوال الفارابى . ومثل ذلك ما لاحظه المرحوم العقاد من وجود وجوه شبه بين الفيلسوف نيتشـــه وبين مذهب المتنبى فى حب القوة ، الذى رده الشيخ الى نصـــوص فى كتـــاب الفارابى «المدينـة الفاضلة» (٢٢) انه مادام لايوجد دليل قاطع على شىء فينبغى عدم القطع والاكتفاء بقولنا : «يبدو» أو «يخيل الى» أو «ان هناك من الشواهد ما يجعلنى أخمن أو أرجح ذلك » الخ ، وهو ما فعله د . الشكعة فى موازنته بين فكرة الفارابى التى تجعل للعقل والمعرفة المقام الأول وبيت المتنبى التالى :

الرأى قبل شـجاعة الشـجعان
هـو أول وهى المحـل الثـانى

اذ قال «لعل المتنبى قد ردد صدى هذه الفكرة فى قوله » ، ثم ساق البيت السابق (٢٣) ، بيد أنه لم يلتزم هذا التحرز على طول الخط٠ اننى لا أقولهذا حبا فى الاعتراض ، ولكن رغبة فى اتباع المنهج العلمى قدر الطاقة ٠ ولكى أبين أهمية هذا (على رغم أني لا أستبعد أن أكون أنا نفسى قد أخطات فى مواضع من كتابى لم ألتزم فيها بهذا المنهج) أذكر للقارىء أن الشـيخ مصطفى عبد الرازق ، رحمه الله ،قد ارجع رأى المتنبى فى تعذر تغيير الطبع كما فى البيتين التاليين :

أبـلغ ما يطـلب النجـاج به الطبـ
ـع وعنـد التعمـق الـزلل

و :

يـراد من القـلب نسـيانكم
وتـأبى الطبـاع على النـاقل

الى كلام الفارابى فى كتابه «الجمع بين الحكمين» عن هذا الموضوع ، مع ان البيت الأول هو من قصيدة قالها المتنبى فى بدر بن عمار قبل اتصـاله بسيف الدولة وطبعا قبل رؤيته الفارابى فى حاشية هذا الأميـر بوقت طويل (٢٤) ٠ كذلك فان البيت الثانى هو من قصيدة قالها المتنبى يهنىء فيها سيف الدولة بالانتصار على الخارجى وتخليصه تغلب بن داود بن حمدان من أسره سنة ٣٣٧ هـ ، أى فى أول أتصاله بسـيف الدولة وقبل قدوم الفارابى الى حلب بنحو سبع سنين (٢٥) ولنفترض أن المتنبى قد تأثر ببعض أقوال الفارابى فعلا فهل كانت أقوال الفارابى هذه تعبيرا عن أفكاره هو أو انها أفكار فلاسفة آخرين قرأهم الفارابى وتاثر بهم ؟ ان الذى دفعنى الى هذا التساؤل هو ما أورده الشيخ نفسه من نصوص للفارابى يفهم منها أن بعض هذه الآراء على الأقل آراء قوم من الفلاسفة آخرين (٢٦) ٠

هذا بالنسبة للمصادر التى استقى منها المتنبى أفكاره وآراءه ٠ على أن هناك بعضا آخر من الباحثين قد حاول أن يجد شبها لهذه الافكار والآراء

عند هذا الفيلسوف الغربى أو ذاك ٠ والحقيقة أننى لا أعرف أى فائدة تعود علينا من وراء ذلك ، اذ السؤال هو : وماذا بعد ؟ بل اننا لنتساءل قبل ذلك : علام يدل هذا التشابه ؟ وهل مثل هذا البحث يدخل فى نطاق «الأدب المقارن» ؟ أن المسألة ليست بهذه البساطة ، لأن مجرد التشابه بين شاعرين او فكرتين أو شكلين أدبيين أو صورتين خياليتين ٠٠٠ الخ لايكفى لدخولهما بحوث «الأدب المقارن» ، اذ لابد قبل ذلك من العثور على الطريق الذى سلكته الفكرة أو الصورة أو الشكل الأدبى من المؤثر الى المتأثر واثبات ذلك بالأدلة القاطعة او على الأقل بأدلة قوية مقنعة (٢٧) ٠ وعلى هذا ، فاننى رغم اعجابى بجهد الاستاذ العقاد فى المقارنة بين بعض أفكار المتنبى من ناحية وأفكار نيتشه وداروين من الناحية الاخرى (٢٨) ، لمايدل عليه هذا الجهد من سعة الاطلاع وعمق الفهم والتقصى فى البحث والمقارنة (وان خالفته مع ذلك فى بعض المسائل الهامة) لا أملك نفسى من التساؤل : وماذا بعد ؟ هل عندنا دليل على أن نيتشه وداروين قد تأثرا بشاعرنا العبقرى ؟ واذا كان فكيف ياترى ؟ هل قرأ شعره ؟ وبأية لغة ان صح ذلك؟ أم هل اطلعا على أديب أو فيلسوف غربى قرأ المتنبى (بطريق مباشر أو غير مباشر) وتأثر به ؟ وطبعا لاتوجد فى الفصل الشائق الذى كتبه عملاق الفكر والأدب العربى أية اجابة على شىء من هذه الأسئلة ٠ ونفس الكلام يقال عن المقارنات التى عقدها د ٠ مهدى علام بين بضعة أبيات للمتنبى وبعض افكار وليم بت وصمويل سمايلز (٢٩) ٠ انه لا أنا ولاغيرى ، بطبيعة الحال، نستطيع أن نحجر على أحد أن يكتب مايحب بالطريقة التى يريد ، لكن على أن نفهم أن مثل هذه الكتابات انما هى خواطر (وقد تكون خواطر ممتعة) أثارتها قراءة المتنبى فى ذهن صاحبها ، وهذه الخواطر شىء والنقد الأدبى والأدب المقارن شىء آخر ٠

المرأة فى حياته :

لانعرف من نساء بيت المتنبى الا جدته (لأمه) ، التى ذكر الرواة أنها همدانية صحيحة النسب كما مر ، والتى رثاها المتنبى رثاء حارا ، لأنها هى التى قامت ، فيما يبدو ، على تنشئته وتربيته بعد أن ماتت أمه (وأبوه

أيضا) وهو صغير (فيما نفهم من صمت الروايات وصمته هو عنهما) ٠ كذلك جاء فى بعض الروايات المتأخرة أنه كان له أخت وأن هذه الأخت قد رثته بعد موته (٣٠) ٠

وكان للمتنبى زوجة ، ولكننا لانعرف عنها شيئا لا من أخبار المتنبى ولا من أشعاره ، بل أننا لانعرف حتى اسمها ٠ والغريب أن المتنبى ، الذى لم يترك أحدا مات من ممدوحيه أو ممن يتصل بهم الا رثاه لم يرث زوجته ، التى ماتت فيما يبدو قبله ، والتى أنجب منها ابنه محسدا ٠ ولكن هل كانت فى حياة المتنبى العاطفية امرأة أخرى غير زوجته ؟

هناك خبر أورده الثعالبى فى يتيمته مفاده أنه انشد سيف الدولة احدى مدائحه فيه ، ثم ناوله بعد ذلك نسختها ، فلما انتهى الى قول الشاعر :

أقل أنل أقطع احمل عل سل أعد

زد هش بش تفضل أدن سر صل

وقع تحت كل كلمة بما يلبى طلب المتنبى،وتحت «سر» (من«السرية»)، فأمر له بجارية (٣١) ٠ فهذا الخبر يدل على أن المتنبى لم يكن زاهدا فى النساء تماما منصرفا بكليته الى مطامحه ٠ ولكن بنفسى من هذا الخبر شيئا ؛ وهو أن المتنبى قد أنشد هذه القصيدة أولا على مسامع سيف الدولة فكيف نسى هذا هكذا سريعا أن المتنبى قد نطق «سر» بفتح السين وكسر الراء (مع تشديدها) ، فظنها بضم السين ، وفتح الراء (مع التشديد) ؟ ومع ذلك فسواء صح هذا الخبر أو لا فان الأبيات التالية (وهى من نفس القصيدة):

لا أكسب الذكر الا من مضاربه

أو من سنان أصم الكعب معتدل

جاد الأمير به لى فى مواهبه

فزانها وكسانى الدرع فى الحلل

ومن علـى بن عبـد الله معـرفتى

بحملـه · من كعبـد الله أو كعلى ؟

معطي الكواعب والجرد السلاهب وال

بيض القواضـب والعسـالة الذبل

وكذلك هذا البيت (عن نساء الروم) :

فكلمـا حلمت عـذراء عندهمـو

فانمـا حلمت بالسبى والجمـل

ثم هذا باليت عما كان سيف الدولة يهديه اليه من أفراس وقيان :

وزنـا قيمـة الدهمـاء منـه

ووفينـا القيـان به الصـداقا

(يريد أن يقول انه دفع قيمة الفرس الدهماء التى وهبها له الأمير وصداق القيان اللاتى منحهن له من شعره) ، كلها تدل على أن مواهب سيف الدولة له كانت تتضمن الجوارى أيضا · وربما كان الخبر صحيحا ونسى سيف الدولة نطق المتنبى لـ «سر» ، أو ربما أنشد المتنبى هذا اللفظ بضم السين وفتح الراء وتشديدها ، ثم عن له أن يداعب أميره ويحصل منه على جارية من سبى الروم ·

بيد أننا لانعرف للمتنبى شعرا يدل على شغفه بجارية منهذه الجوارى (كما لسيف الدولة فى جارية له رومية هام بهاهياما شديدا) ، ومع ذلك فان للمتنبى مقدمات غزلية فى بعضها حرارة وأسى ، (وان كانت له أبيات أخرى تدل على أن المرأة لم تكن تحتل من قلبه وحياته واهتماماته موضعا ذا بال ، وذلك كقوله :

اذا كان مـدح فالنسـيب المقـدم

اكل فصيح قال شـعرا متيمم ؟

وقوله :

وللضـــود منى ســاعة ثم بيننــا

فـــلاة الى غيـــر اللقــاء تجــاب)

ولكن هذ هو كل ما هنالك ، فلسنا نعرف أنه كانت له فعلا حبيبة يخفق قلبه لمرآها ، فاذا وصلته أقبلت عليه الدنيا مسرورة جذلة واذا هجرته اســودت الآفاق فى عينيه وخنقت الأحزان قلبه خنقا ، فان الاخبار التى وصلتنا عنــه لاتذكر شيئا من هذا ٠

وظل الحال هكذا حتى جاء الاستاذ محمود شاكر فطلع بنظريته عن نسب المتنبى العلوى الشريف واطلاع سيف الدولة على هذا السر ومواعدته له أن يزوجه أخته خولة ، التى كان الشاعر يحبها وتحبه (وذلك فى كتابه الذى نشره له «المقتطف» فى مفتتح عام ١٩٣٦) ٠ ثم تابعه على هذا الرأى (كله أو بعضه) بعض الأدباء والباحثين من مثل الاستاذ على الجارم ومارون عبود وابراهيم العريض (٣٢) ٠ والاستاذ شاكر يعتمـــد فى رأيه هذا ، بعد علوية المتنبى (التى فرغنا من تفنيدها) ، على مثل هـــذين البيتين للمتنبى (وهما من احدى مدائحه فى كافور ، التى يتحـدث فيها عن فراقه لسيف الدولة وبكاء كثير من أهل حلب عليه) !

رحـــلت فكم باك بأجفـــان شـادن

على وكم باك بأجفـــان ضـــيغم

وما ربـــة القـــرط المليح مكـانه

بأجـزع من رب الحسام المصمم (٣٣)

وذلك البيت (وهو مطلع قصيدة له فى ابن العميد بأرجان) :

باد هـــواك صبـــرت أم لم تصـــبرا

وبكاك انلم يجر دمعك أو جرى (٣٤)

ثم هذه الأبيات التى يرى الاستاذ شاكر ان ثانيها هو فى خولة :

ومن لى بيـــوم مثل يوم كرهتـــــه

قربت بــه عنـــد الوداع من البعــد

وألا يخص الفقـــد شـيئا لأننى

فقدت فلم أفقـــد دموعى ولا وجـــدى

تمن يلـــذ المســـتهام بذكـــره

وان كــان لايغنى فتيــلا ولايجـدى

وغيظ على الأيام كالنار فى الحشــا

ولكنــه غيظ الأســير على القد (٣٥)

فهو يرى أن الاشارة فى هذه الأبيات انما هى الى أخت الأمير الحمدانى ٠ وذلك علاوة على قصيدته فى رثائها ، (٣٦) اذ يرى أن هذه القصيدة انما هى عاطفة قد أخذها الحزن وغلبها البكاء ، وبخاصة اذا وضعت جنب قصيدته السابقة فى رثاء أختها الصغرى ٠ كما يرى أن سيف الدولة قد كان على علم بما كان بينهما من الحب الغلاب وأنه قد وعد الشاعر بأن يزوجها له ولكنه لم يف بذلك ، وأن أبا فراس قد نما الى علمه هذا الأمــر فكان هذا سببا فى العداوة الباغية بينه وبين المتنبى (٣٧) ٠

لكن السؤال هو : لماذا يجعل الأستاذ شاكر كل شىء فى نظريته سرا؟ ومن ذا الذى أخبره اذن بذلك وحده من بين الناس جميعا من لدن سـيف الدولة والمتنبى الى أيامنا هذه يا ترى ؟ وما الذى منع سيف الدولة من أن يفى بوعده ويزوج أخته للمتنبى ؟ واذا كان أبو فراس قد عاداه بسببها فلم لم يتقدم لخطبتها أثناء مقام المتنى بحلب أو بعد رحيله عنها ؟ وهل يعقل أن تبقى أميرة عربية مسلمة فى ذلك الوقت من غير زواج طوال هذه السنوات الكثيرة اذا كانت بلغت سن الحب وتيقظ العواطف والاهتمام بالرجال وتقدير اهتمامهم بها كما توحى بذلك دعوى الاستاذ شــــاكر ؟ (وسوف أعود الى هذه النقطة بعد قليل) ٠ ثم لماذا لانرجع العداوة التى كانت بين أبى فراس والمتنبى الى الغيرة بسبب تنافسهما كشاعرين ورجلين من رجال البلاط الحمدانى واعتزاز كل منهما بنفسه وشعره وبلائه فى الحرب ؟ واذا كان المتنبى علويا شريفا وأبو فراس متعصب للعلــويين بوصفه شيعيا وكما تبين قصيدته فى مدح العلويين والتألم لما أصابهم فكيف لم ينعطف الى هذا العلوى المشرد فى الآفاق بسبب علويته ؟ واذا غضضنا النظر عن علوية المتنبى الموهومة المزعومة وقلنا مع الأستاذ شاكر أن أبا فراس كان يغار منه ويضيق به بسبب ما بينه وبين خولة فلم لم ينظم فى

ذلك شعرا يسخر منه فيه ومن تطلعه الى الزواج من أميرات البيت المالك ؟ واذا كان المتنبى قد ترك حلب لفشله فى تحقيق آماله السياسية واخلاف سيف الدولة وعده بتزويجه أخته ومحاداة أبى العشائر وأبى فراس له وتآمرهما على قتله غيرة منهما على حرمهما (٣٨) فلم ترك حلب خفية مع أن مفارقته لهم من شأنها ان تريحهم ؟ كذلك أليس من الغريب أنه فى مدائحه لكافور لم يلمز فيها سيف الدولة الا لتكــديره جوده عليه بالمن والأذى ، فلا ذكر لخولة ولا لوعد أخيها المزعوم له بتزويجه اياها · وهذه بعض أبيات تشهد بصحة ما نقوله :

اذا الجود لم يرزق خلاصا من الأذى
فلا الحمد مكسوبا ولا المال باقيـــا

وللنفس أخــلاق تــدل على الفتى
أكان ســخاء ما أتى أم تســاخيا

. . . . . .

ولكن بالفســطاط بحـرا أزرتــه
حيــاتى ونصحى والهــوى والقوافيــا

وجــردا مددنا بين آذانهــا القنــا
فبتن خفــافا يتبعن العــواليــا

. . . . . .

قواصــد كافــور تــوارك غيــره
ومن قصد البحر اســتقل السواقيا

★ ★ ★

جــزاء كل قــريب منكمــو ملل
وحظ كل محب منكمــو ضــغن

وتغضبون على من نسال رفدكمــو
حتى يعــاقبه التنغيص والمنن

أما زيادة حرارة رثائه لخولة عن رثائه لأختها الصغرى فلماذا لانعزوها للظروف النفسية السوداء التى كانت تحيط بالمتنبى اثر فراره

من مصر بعد آن تحطمت آماله التى علقها على كافور تحطما ، وما بلغه من مرض سيف الدولة وعدم قدرته على قتال الروم وانهزامه آنذاك فى بعض مواقعه معهم ، واحساس الشاعر بنبو موضعه به فى العراق حيث كان يعيش بعيدا عن الملوك الذين تعود منذ وقت ليس بالقصير أن يكون قريبا منهم وأن يستحوذ على اهتمامهم ويثير غيرة الشعراء المتحلقين حولهم ، وكذلك لتقدمه فى السن وشعوره أن الحياة تجرى مولية بعيدا عنه ؟ لقد كان فى الحقيقة لايرثى خولة وحدها بل كان يرثى آماله وربما أيضا نفسه وسيف الدولة وذكرياته بعد أن فشل فى تحقيق أى شىء فى مصر يرفع رأسه أمام عداته وحساده ٠

والذى يرجع الى كثير من قصائده التى قالها فى مصر وبخاصة فى أخريات أيامه فيها ، وبعد فراره منها سوف يجد فيها لذعة الحزن هذه ٠ ويمكن الرجوع الى نونيته التى أولها :

صحب الناس قبلنـــا ذا الـــزمانا

وعنـــاهم من شـــأنه ما عنـــانا

وقصيدته فى الحمى وشعره فى رثاء فاتك للتحقق من صدق ما أقول ٠ ثم لاينبغى أن ننسى أن خولة كانت هى الأخت الوحيدة المتبقية لسيف الدولة ، بعد أن ماتت الصغرى قبل سنين ، فكان الألم لموتها أشد وحرارة الرثاء أكثر التهابا ، وربما كان هذا هو السبب فى أنه عزاه فى الصغرى ولم يعزه فى الكبرى (٣٩) ٠ ثم ان الواضح أنه حين نظم رثاءه فى خولة قد رجع الى قصيدته السابقة فى رثاء أختها الصغرى (٤٠) ، ومن المرجح أن رجوعه لهذا الرثاء القديم قد ضاعف احزانه وأراه فداحة المصاب الذى وقع بسيف الدولة ٠

واذا افترضنا بعد ذلك كله أنه كانت بين المتنبى وخولة علاقة حب فلماذا لم يسارع بالعودة الى حلب مع ابن سيف الدولة ، الذى أرســـله أبوه اليه محملا برسالة وهدية ، وهما من سيف الدولـــة وفى ذلك الوقت بالذات (اثر فرار شاعرنا من مصر) ليستا بالقليل ؟

ثم أن المتنبى يقول فى رثائه خولة :

قد كان كل حجـــاب دون رؤيتهـــا
فما قنعت لهـــا يا أرض بالحجب
ولا رأيت عيــــون الانس تدركهـــا
فهل حسـدت عليهـــا أعين الشهب ؟

وقد يضاف الى هذين البيتين قوله فى نفس القصيدة عن صـــعوبة بلوغ سلامه اليها بعد أن ماتت :

وكيف يبلغ مـــوتانا التى دفنـــت
وقـــد يقصر عن أحيـــائنا الغيب

على أساس أن معنى الكلام هو أنه اذا كان سلامى لم يكن يصل اليها وهى حية لاتزال بسبب احتجابها عن الناس فكيف أطمع أن يصل اليها بعد أن ماتت ؟ (٤١)

وهى ما يفهم منه انها كانت ممنعة لاتراها أعين الناس (ومنهم المتنبى طبعا ، أليس هو من الناس ؟) فكيف يمكن أن يقوم حب بينهما ولم يكونا يلتقيان أو حتى يتراءيان ؟ وأرجو أن تتلبث أمام قوله عن سيف الدولة :

يظن أن فـــؤادى غيـــر ملـــتهب
وأن دمع جفونى غيـــر منســـكب

وهو يدل على أن ما قاله الأستاذ شاكر عن الحب الذى كان بين الشاعر والفقيدة ومعرفة أخيها بذلك ووعده الشاعر بتزويجه منها غير صحيح ، اذ لو كان المتنبى يحبها وسيف الدولة يعلم ذلك فكيف طاف بخاطر المتنبى أن سيف الدولة يشك فى حزنه عليها وبكائه لفقدها ؟ كذلك مما يلفت النظر بقوة قول المتنبى فى هذه القصيدة يعلل التهاب فؤاده وانسكاب دمع جفونه عليها (وذلك فى حديثه عن سيف الدولة) :

يظن أن فـــؤادى غيـــر مـــلتهب
وأن دمع جفـــونى غيـــر منسكب
بلى وحـــــرمه من كانت مراعيـــة
لحـــرمة المجـــد والقضـــاد والأدب

ومن مضت غير موروث خلائقهـا

وان مضبت يدها موروثـة النشب

وهمهـا فى العلا والملك ناشـئة

وهم أترابهـا فى اللهـو واللعب

فان كلامه فى هذه الأبيات يشير اشارة واضحة الى طبيعة العلاقة بينهما، وهى أنها كانت تحسن الى الشعراء (وهو منهم طبعا) (٤٢) ٠ كذلك فان البيت الأخير يدل على أنها كانت تبدى اهتماما بشؤون الملك منذ صغرها واستمر عندها .هذا الاهتمام كما يفهم من البيتين التاليين (وهما الـ ٩،١٠ من القصيدة) :

كـأن فعلـة لم تملأ مواكبهـا

ديار بكـر ولم تخـلع ولم تهب

ولم ترد حيـاة بعـد توليـة

ولم تغث داعيـا بالويل والحرب

وأميرة كهذه لايشغلها الغرام على نحو ما يصور الأمر لنا الاستاذ شاكر٠ بل ان من الواضح من هذه الأبيات أنها ماتت وهى صغيرة ، أصغر من المتنبى كثيرا ، فكيف يسوغ القول أن المتنبى وقع فى غرامها وأنها بادلتـه عاطفة بعاطفة ؟ (لاحظ أيضا أن ذلك كان قبل عدة سنوات من وفاتها ، أى عندما كان سنها أصغر واصغر) ٠

أما اشارة المتنبى الى أنه قد بكاه عند مفارقه حلب ،الى جانب الرجال النساء فلست أوافق الاستاذ شاكر على أن المراد بذلك خولة ، فان هـذا معنى قد تكرر عند المتنبى قبل اتصاله بسيف الدولة والبيت الحمدانى فى حلب بما فيه خولة (هذا ان تناسينا أنها كانت صغيرة السن جدا بالنسبة

حاولن تفـــديتى وخفن مراقبـــــا

فوضـــعن أيديهن فـــوق

فالجميلات يشفقن من فراقه ويضعن أيديهن على ترا

الرجيب ، ويعرضن عليه أن يفدينه بحياتهن . وفي

أبا القاسم طاهر بن الحسين العلوى نجده يقول ع

له أن يفارقها :

تخوفنى دون الـــذى أمـــرت بـــه

ولم تدر أن العـــار شر

وفى قصيدة أخرى يمدح بهـــا عبد الواحـــد

الأصبع الكاتب يقول أيضا عن موقف الوداع بنيه

حسنها الظباء :

فكـــأنها والدمع يقطـــر فوقهـــا

ذهب بســـمطى لؤلؤ ق

ولأن هذا المعنى يتكرر عنده رأينا حتى وهو يصف

فى مصر) يذكر أنها كانت تبكى عند مفارقتها أياه

كأن الصـــبح يطـــردها فتجـــرى

مدامعهـــــــا بأربعـــ

وحتى بعد أن ماتت خـولة نجد هذا المعنى أيضا في

العميد :

ياليت باكيـــة شـــجانى دمعهـا

نظرت اليك كما نظـــرت

وهو يقول لعضد الدولة مودعا له بقصيدة هي آخر

وكم دون الثـــوية من حـــزين

يقول لـــه قدومى : ذا

مولاها منذ وقت بعيد · ثم ان قول المتنبى : « رحلت فكم باك بأجفـــان شادن على » يدل على أن الباكيات على فراقه من الجميلات كثيرات لا واحدة فقط ، فكيف يقال ان المقصود بالكلام هنا خولة ؟ ان منطق الحب يمنع العاشق أن يفكر فى غير من يهواها الفؤاد حتى لو كانت نساء الأرض كلهن متيمات بحبه فعلا ، فما بالك اذا كانت حبيبـــة الفؤاد هى أخت ســـيف الدولة الحمدانى ؟

أما قول الاستاذ شاكر ان قول المتنبى :

متى تزر قوم من تهـــوى زيارتهـــا

لايتجفوك بغيـــر البيض والأســـل

انما هو اشارة منه لسيف الدولة الى ان قوم «خولة» (أبا فراس وأبا العشائر الخ ···) لن يدعوه أن يكون بينه وبينها صلة فليس صحيحـا (٤٣) · فان هذا أيضا من المعانى التى تكررت عند المتنبى ، اذ قال مثلا من قصيدة يمدح بها كافورا :

كم زورة لك فى الأعـــراب خافيـــة

أدهى وقـد رقـــدوا من زورة الذيب

أزورهم وســـــواد الليل يشــفع لى

وأنثنى وبيـــاض الصبح يغـرى بى

وتأمل أنه قال ذلك فى الوقت الذى كان فيه ، على حسب دعوى الاستاذ شاكر حزينا أشد الحزن لحرمانه منها وفراقه اياها · بل انه فى بعض أبيـــاته التى حن فيها الى بشر انما حن الى أهله ، ولم يذكر خولة أو يلمح اليها من قريب أو بعيد (٤٤) ·

كذلك فانظر مثلا الى هذه الأبيات التى قالها فى سيف الدولة وهو لايزال شاعر بلاطه الأول :

اذا كان مدح فالنســـيب المقـــدم

أكل فصـــيح قال شـــعرا متيم ؟

لحب ابن عبـــد الله أولى فـــانه

بـــه يبـــدأ الذكر الجميـــل ويختم

أطعت الغـــوانى قبل مطمح نــاظرى
الى منظـــر يصـــــغرن عنه ويعظم

ومن الواضح أنه يسخر من الشعراء المتغزلين ، ويفضل سيف الدولة على حسان الأرض جميعا ، فهل ، لو كان يحب خولة وتحبه (ان غضضنا النظر عن صغر سنها) أكانت تواتيه نفسه على التلفظ بذلك وهو يعرف أنهـــا تسمع كلامه وتترقبه ؟

وهل يعقل أن يقول من حرم من حبيبة قلبه (ومن ؟ خولة ، الأمير أخت سيف الدولة قاهر الروم) وذلك اثر تركه حلب ووصوله الى مصر :

وللخود منى ســـاعة ثم بيننـــــا
فـــلاة الى غيـــر اللقـــاء تجـــاب

اهذا كلام محب محروم ملتاع الفؤاد ؟ كذلك تأمل قوله حين نجح فى الفرار من مصر وأقبل على الكوفة مزهوا بأنه استطاع الافلات من قبضة كافور الداهية ومن عيون من أرسلهم فى أثره ليأتوه به ٠ لقد كان أول ماهتف به من القصيدة التى قالها آنذاك هو :

ألاكـــل ما شـــية الخيـــزلى
فـــدا كـل ما شـــــية الهيـــدبى
وكــــــل نجـــــــاة بجـــــاوية
خنـــــوف ، ومـــا بى حسن المشى

أو لو كان يحب خولة (وأى حب !) أيكون أول ما يهتف به جنانه ولسانه أن يجعل النساء الناعمات المدللات فدى للابل ؟ أهذا منطق المحبين او كلامهم ؟

بل هل يعقل أن من تعلق قلبه باحدى أميرات البيت المالك الى ذلك الحد الذى يصوره الاستاذ شاكر يمكن ان يخطر على باله الذى يصوره البيت التالى ، ولم يكن قد مر على وفاتها الا شهور ٠

لو فكـــر العــــاشق فى منتـــهى
حسن الذى يســـبيه لم يســـبه ؟

أو يمكن أن يقول (فى ذلك الوقت أيضا) مخاطبا خيال حبيبته الذى زاره فى المنام (أيا كانت هذه الحبيبة : خولة على زعم الاستاذ شـــاكر أو غيرها) :

عـد وأعـدها فحبـذا تلف

ألصق ثديي بثديها النـاهد ؟

كذلك لو كان بينه وبين خولة علاقة حب كما يدعى الاستاذ شاكر أكان يتغنى فى حياتها (وذلك فى قصيدة له يمدح بها كافورا) بالبدويات مفضلا اياهن على الحضريات ، اللاتى يسمهن بالتكلف فى التزين بالمساحيق ومضغ الكلام ، وبأنهن يخرجن من الحمام «مائلة أوراكهن ، صـقيلات العراقيب » ، وخولة كما نعرف حضرية بل تأتى على رأس الحضريات ، فهى أميرة أخت ملك (٤٥) ؟ وهو ما تكرر مرة أخرى فى احدى مدائحـه فى عضد الدولة :

الحسن يرحـل كلمـا رحلـوا

معهم وينـزل حيثمـا نزلوا

فى مقلـتى رشـأ تديرهمـا

بدويـة فتنت بهـا الحـلل

تشـكو المطـاعم طول هجـرتها

وصدودها ، ومن الـذى تصـل ؟

ما أسـارت فى القـعب من لبن

تركتـه وهـو المسـك والعسـل

قالت : الا تصـحو ؟ فقلت لهـا :

اعلمـتنى أن الهـوى غـزل

أو لو كان يحب خولة ومزق موتهـا قلبـه ، أكان ينهض هكذا سريعا من آلامه ويجد فى قلبه نشـاطا الى الحديث عن اية امرأة بلـه التغـزل فيها ووصف فمها وريقها بأن لهما حلاوة العسل وطيب رائحة المسك ؟

بل أكان يقول فى قصيدته التى رد بها على هدية سيف الدولة التى بعث بها اليه بالكوفة اثر فراره من مصر :

زودينا من حسن وجهــــك مـــادا

م فحسن الوجـــــوه حال تحول

وصلينـــــا نصـــلك في هذه الدنـــ

ــيا فان المقـــام فيهـــا قليـــل ؟

اننى أرجح أن هذين البيتين بل أبيات مقدمة القصيدة كلها هى أبيات رمزية مقصود بها سيف الدولة ٠ ومع ذلك فانه لو كان بينه وبين خولة أخت الرجل الذى نظم فيه هذه القصيدة حب وغرام ماطاوعته نفسه أبدا للحديث عن فعل الأيام بجمال حبيبته وتذكيرها بأن الموت يتربص بها (وبه أيضـــ طبعا) ليعدو على حسنها ويجعله كأن لم يكن ، لأن الكلام سيمسها أراد أو لم يرد ، فهى حبيبته (على زعم الاستاذ شاكر) وهى جميلة وجمالها يخضع لقانون الصيرورة وهي لقانون الفناء٠لهذا كله أرى أن نظرية الاستاذ شاكر الخاصة بحب المتنبي لخولة وحبها له هى ، مثل نظريته في علـــوية الشاعر ، نظرية تفتقر الى أساس تنهض عليه ٠

هذا عن خولة ٠ وثمة حب آخر أوقع فيه المتنبى الاستاذ على الجارم وهو حبه لعائشة بنت رشدين أخت صالح بن رشدين أخلص أصدقائه فى مصر وحبها له ، هذا الحب الذى يقول فيه المرحوم الاستاذ الجارم ان أهل مصر كلهم كانوا يعلمون بقصته (٤٦) ٠ والاستاذ الجارم يسوق هذا الكلام في سياق أحداث قصته وما فيها من حوار غير مدع أنه يكتب دراســـة علمية ، وانما هو خيال القصصى الفسيح المدى ومتطلبات فنه ٠ وعلى أية حال فيكفينا فى نفى هذا الحب أيضا أن أحدا ممن كتبوا عن المتنبى لم يتحدث فيما نعلم عن شيء من ذلك ، وأن شعر المتنبى يخلو من الاشارة الى مثل هذا الحب ٠ ولقد كانت قصيدة الحمى وأرجوزته التى يصف فيها طريقه الذى سلكه فى هروبه من مصر فرصة للتغنى بهذا الحب واستلهام السلوان منه (لو كان له طبعا وجود) ٠ ثم اذا كان بينه وبين هذه السيدة المصرية الكريمة علاقة عاطفية بهذا العفاف والقوة والاستغراق وكان أخوها ، كما نعرف ، أخلص أصدقائه فى أرض الكنانة (حماها الله مما يراد لها من سوء وقصم ظهر من يبغيها بشر !) فلم لم يغادرا معه مصر ؟

اخـــلاقه ونفســـيته :

بالنسبة لصفات المتنبى النفسية والاخلاقية يلاحظ أن من كتبـــوا عنه قد انقسموا بازائها فريقين : فريق يرفعه الى عنان السماء ، وفريق آخر يخسف به الأرض · وقليل ما هم الذين لايغلون فى حبه والاعجاب به أو الزراية على أخلاقه والحط من شأنه ·

ومن الفريق الاول نذكر الاستاذ محمود شاكر وابراهيم العريض ، فقد كتب كل منهما كتابا عن المتنبى صوره فيه بصورة الرجل الذى لايكاد يصمه عيب · قال الأول : «كان أبو الطيب من أول أمره متورعا فى خلقـــه ، لايخرج من حدود الوقار ، متزمتا لايلين للشهوات ولايلقى اليها مقاده ، مترفعا عن سفساف الأخلاق ، متمسكا بمعاليها ، آخذا نفسه بالجد الذى لايفتر · وكان لايقرب التهم ولايدانيها ، «فما كذب ولازنا ولا لاط» ولا أتى أمرا منكرا يؤخذ عليه أو يزن به ، واستمر على ذلك حياته كلها ، وخالف الأدباء والشعراء من أهل عصره ، فما شرب الخمر ولاحمل وزرها · ولولا اضطراره فيما نرى لما حضر مجلسها · وكان منصرفا الى العلم قارئا له ، محققا لدقائقه ،طويل النظروالتدبر فيمايمربهمن أحداث الزمان كثيرالاهتمام بامر الأمة التى هو منها ، لايفوته مغمز ينتقده أو خلق يستسقطه ·وكان أهل العصر على خلاف له فى ذلك وخاصة من انتسب الى الأدب واعتزى الى الشعر · فكان الأدباء والشعراء أهل شراب ومعاقرة ولهو وهزل وباطل، لايفرغون الى الجد الابمقدار ، ولايتورعون عن دنية الا مكرهين على الورع فلا عجب اذا عده أهل صناعته من الأدباء والشعراء غريبا عنهم » (٤٧) فانظر الى هذه الصورة التى صور بها الأستاذ شاكر المتنبى فهل تجد فيها من شائبة ؟ أليس هو الكمال بعينه أو يكاد ؟ ويقول عنه الاستاذ العريض : «كان المتنبى يرى نفسه ··· أكبر من كثير من ملوك عصره الذين عـــرفهم واحدا واحدا لهذه الخلال الملكية التى كان يتحلى بها من علو الهمه وكبرياء النفس والاعتداد بالقلب وعدم المبالاة وصدق اللهجة والعفة والوفاء · دع عنك ما يتفرع عنها من العجب والاباء والجــــرأة والاقدام والصـــدق والشجاعة فى قلب ثائر مثله» (٤٨) · وهى كما ترى صورة مثالية للشاعر توحي بأنه لم يعرف العيب أو النقصان فى أى جانب من جوانب شخصيته·

أما الفريق الثانى فنمثل له بالاستاذ عباس حسن و د٠ بنت الشاطىء يقول الاستاذ عباس حسن : « فأما أخلاق المتنبى فصورة من صور الأخلاق السيئة كما عرضها علينا ديوانه ١ ـ فهو شاعر منافق كاذب يمدح حينا بدافع خاص (ثم يشير الى مدحه وذمه لسيف الدولة وكافور) ٠٠٠
٢ ـ ومن عيوبه أنه فخور بل مغرور مفرط الزهو والادعاء ٠٠٠ حتى حجب غروره وادعاؤه عن عينيه عيوبه الكثيرة ٠٠٠ فأين المكارم والعلا ممن يطوف بالممالك والأقطار وراء المنح والاستجداء ؟ وأين العدا ودماؤهم التى سالت على السيوف وقد خرج بليل هائما خائفا يترقب ؟ (يشير ذلك الى هروبه من مصر) وأين الوفاء والاباء من رجل يسقط كما يسقط الطير حيث يلتقط الحب ، لايبالى بنزاهة الطعمة ولاشرف المورد ٠٠٠ ؟ ٣ ـ وهذا المدعى المغرور هو المستجدى الصفيق الذى يستعطف الملوك والأمراء ليمنحوه ولاية أو ضيعة ٠٠٠ مادا يده الى سيف الدولة ، الذى ضربه بالدواة فى وجهه حين كان ينشده القصيدة التى مطلعها :

واحر قلباه ممن قلبه شبم
ومن بجسمى وحالى عنده سقم

فلم يغضب للضربة بل قال :

ان كان سركمو ما قال حاسدنا
فما لجرح اذا أرضاكمو ألم

فرضى عنه سيف الدولة وأرضاه بألف دينار ثم ألف فأنسته الدنانير كل شىء ، وقال للأمير :

جاءت دنانيرك مختومة
عاجلة ألفا على ألف
أشبهها فعلك فى فيلق
قلبته صفا على صف ٠٠٠

٤ ـ ثم هو رجل حقود ، فلا تراه الاساخطا على الدنيا ٠٠ ناقما على أهل النعمة والجاه ، داعيا الى شفاء الأحقاد بدواء عجيب هو حد الظباة ورؤوس الرماح ٠٠٠ ولقد بلغ به الحقد القتال حد الشماتة بعدو له (هو اسحاق بن كيغلغ)فقال يهجوه حين سمع نعيه ٠٠٠ :

قالوا لنا : مات اسحاق ، فقلت لهم :

هذا الدواء الذى يشفى من الحمق

٥ - وهو بخيل غاية البخل ··· وقد يرتكب أكبر الجرائم فى سبيل الاحتفاظ به (أى المال) · وهل أدل على ذلك من أن يقتل غلامه لأنه سرق بعض ماله ··· ؟

٦ - وهو بذىء القول سليط اللسان » (٤٩) · ومن الواضح أن عباس حسن لايرى فى شخصية المتنبى أى شىء يدعو الى الاعجاب ، بل بالعكس لايبصر فيها الا الظلام والسواد · ولايقع بعيدا عن هذا الرأى د · بنت الشاطىء ، التى تقول فيه : « أما هذا المتنبى الذى ملأ الدنيا وشغل الناس فى القرن الرابع الهجرى وماتلاه من قرون تصدع وانحطاط ، فما كرهوا له أن يترك صحبه الأمير العربى البطل سيف الدولة ، بعد أن أفرغ عليه مدحه ، ونال ما نال من عطائه ··· ليمضى الى كافور الاخشيدى بمصر يعرض عليه بضاعته ··· ثم الح عليه فى دفع ثمن البضاعة ، فلما ماطله كافور شكا اليه ضارعا متذللا ··· حتى اذا يئس منه تسلل هاربا من مصر وهو يلعنها ويلعن حاكمها الأسود (ثم تذكر قصة ذهابه المزعوم للقاء المعز لدين الله الفاطمى ، وهى القصة التى بينا زيفها من قبل بحيث لامعنى لاعادة سوقها هنا) ··· ومن قبل أنذر سيف الدولة ، اذا لم يدفع له الثمن الذى حدده أن يمضى بالبضاعة الى سواه ··· :

أخا الجود ، أعط الناس ما أنت مالك

ولاتعطين الناس ما أنا قائل »

(ثم تذكر) هوان موقفه على مائدة كافور الاخشيدى يغنيه وهو يشرب مستجديا فضلة كاسه :

ابا المسك ، هل فى الكأس فضل أناله

فانى أغنى منذ حين واشرب

وكان المتنبى بهذا البيت وحده جديرا بأن ينحى عن مكانه فى حياتنا الطامحة الى الوجود الكريم المكبرة لمكان الفن فى الحياة سيادة وقيادة » · وتختتم هجومها الضارى على الشاعر قائلة :

« لكن ما الحيلة وقد ملأ الدنيا وشغل النلس فى القرن الرابع وماتلاه حتى

بلغ عدد شروح ديوانه أكثر من أربعين شرحا الى عصرابن العماد المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ · فليظل أبدا ملء دنيانا ، ولاحول ولاقوة الا بالله» (٥٠) ·

ومن الواضح أن كلا الفريقين مغال مغالاة شديدة فى حكمه على شخصية الشاعر وأخلاقه · ان الاستاذ شاكر يزعم ان المتنبى لم يخرج عن حدود الوقار · فماذا نقول اذن فى هجائه العنيف العارى لابن كيغلغ وكافور وضبة ؟ أهذا داخل أيضا فى حدود الوقار ؟ ومبالغاته السخيفة السمجة التى تصدم شعور المسلم وذوقه مما تناولناه من قبل والتى كانت تقع منه بين الحين والآخر مفتخرا ومادحا ، أترى حدود الوقار تتسع لها ؟ وتعبيراته المكشوفة التى تكثر فى أشعاره مما أرجو بمشيئة الله أن أتناوله فى كتاب مستقل عن فن المتنبى من مثل قوله مخاطبا خيال حبيبته (من قصيدة له يمدح بها عضد الدولة) :

عـد وأعـدها فحبـذا تـلف
الصـق ثديى بثديهـا النـاهد

وقوله يمدح القاضى أحمد بن عبد الله الأنطاكى وقومه :

ستروا الندى ستر الغراب سفاده
فبـدا ، وهل يخفى الرباب الهاطل ؟

ومن مثل قوله فى كافور :

وقـد ضـل قـوم بأصـنامهم
فأمـا بـزق ريـاح فـلا
وذاك صـموت وذا ناطـق
اذا حـركوه فسـا أو هـذى

وقوله أيضا فيه :

العبـد لاتفضـل أخـلاقه
عن فرجـه المنتن أو ضرسـه

أيصر الاستاذ شاكر أنها لاتتنافى مع مقتضيات الوقار ؟ وهل من الوقار أن يقول فى أحد ممدوحيه (وهو الحسين بن اسحاق التنوخى) :

واسـمع من الفاظه اللغـة التى
يلـذ بها سمعى ولو ضمنت شتمى؟

أو يقول فى كافور (ولو من باب التعمية) :

يقل لـه القيـام على الـرؤوس
وبذل المكـرمات من النفـوس ؟

أيمكن أن تخطر هذه الصورة فى ذهن رجل وقور ؟ أم هل يمكن أن يقول رجل وقور فى معرض المقارنة بين كافور وأهله :

أحن الى أهلى وأهـوى لقـاءهم
وأين من المشـتاق عنقـاء مغرب ؟
فان لم يكن الا أبو المسـك أو همـو
فانك أحلى فى فؤادى وأعـذب ؟

أو ذلك البيت الذى أخذه عليه كثير من النقاد :

أبا المسـك ، هل فى الكأس فضل أناله
فانى أغنى منـذ حين وتشرب ؟

صحيح أنه لايقصد أن ينعم عليه كافور بفضلة شرابه ، وصحيح أيضا أنـه لم يكن يغنى لكافور فى مجلس أنسه ، ولكن الصورة فى حد ذاتها تنافى الوقار تماما (مهما حاولنا أن نجد لها مخرجا) ٠

اننى لا أريد أن أقول ان المتنبى كان هازلا ماجنا لايتحشم ولايتوقر، فان هذا أيضا حكم جائر ، الا أن الزعم بأنه لم يكن يخرج عن حدود الوقار هو زعم ، كما رأينا ، مبالغ فيه (مع ملاحظة أنى لاأتناول الآن هـذا الشعر من الناحية الفنية ، فهذا موضعه ان شاء الله فى كتاب مسـتقل كما سلف القول قبل قليل) ٠

فهذا عن الوقار ، وهو ما يصدق أيضا على دعوى أخـذه نفسـه بالجد الذى لايفتر ، فهل من الجد الذى لايفتر أن ينتقل من ممدوح الى آخر قائلا فيه ما قاله فيمن سبقوه ومن لحقوه ؟ وما الهدف من وراء كل ذلك ؟ ان الاستاذ شاكر طبعا يرى أنه كان يسعى الى هدف قومى نبيل ، هو تخليص الأمة من حكامها المستبدين وارجاع السلطة الى يد العرب أصحابها

الشرعيين . وأظن أنه بعد أن ناقشنا وفندنا هذا الكلام فى فصل سابق لا معنى لاعادة القول فيه هنا .

ولعل الكلام عن نصيب المتنبى من الفكاهة أن يكون موضـعه هنا . أن الاستاذ العقاد يرى ان الفكاهة جد قليلة فى شعر المتنبى وأنه كانت تخفى عليه الجوانب المضحكة من أخلاق الناس ، وأن ديوانه لذلك لايحوى أكثر من قطعتين اثنتين فكاهيتين ، هما القطعة التى تبتدىء هكذا :

لقد أصـــبح الجــرذ المســتغير
أســـير المنـــايا صريع العطب

وتلك التى تبتدىء بقوله :

قد ســـمعنا ما قلت فى الأحـــلام
وأنلنـــاك بـــدرة فى المنـــام

بل انه يرى ان أولى هاتين القطعتين قد ضمنت من الخيــلاء والفخــر بالشجاعة وازدراء الجبن أكثر مما ضمنت من روح الفكاهة البريئة ، فاذا وجدنا شيئا فكاهيا غير ذلك فى شعره فهو من الفلتات العرضية التى لاتنم على ملكة ، بل هو ضحك غليظ خشن . أما ما يوجد فى شـــعره غير ما سبقت الاشارة اليه فانه لايضحك منه الا هو (٥١) .

هذا ما يقوله الاستاذ العقاد ، طيب الله ثراه ، ويتابعه فى ذلك المرحوم الاستاذ على أدهم ، الذى يرى أن ملكة الفكاهة كانت ضعيفة عند المتنبى لدرجة أن من يقلب صفحات ديوانه يخيل اليه أنه لم يضحك ســـوى مرة واحدة فى حياته ، وذلك حين مر فى شبابه برجلين قتلا جـــرذا وأبرزاه للناس يعجبانهم من ضخامته . ثم يذكر هجاءه لكافور وضبة مؤكدا أنــه تندر فيه الفكاهة المستطرفة ، فأكثره اقذاع وسباب يدل على جفوة الطبع وشدة الحقد واتقاد الغضب والغيظ (٥٢) .

والواقع أن فى هذا الحكم على طبع المتنبى قدرا من الظلم ، فقد كانت فى الرجل فكاهة ، وكانت تظهر فى سلوكه وفى كلامه وشعره . فمن ذلك حكايته عند سور حلب مع أبى على الفارسى ، الذى يرويها بقوله : «خرجت

بحلب أريد سيف الدولة فلما برزت من السور اذا أنا بفارس متلثم قد أهوى نحوى برمح طويل ، فكدت أطرح نفسى من الدابة فرقا ، فلما قرب منى ثنى السنان وحسرلثامه ، فاذا المتنبى ، وانشدنى :

نثـرت رؤوســا بالأحيــدب منهـو
كما نثـــرت فــوق العروس الدراهم

ثم قال : كيف ترى هذا القول ؟ أحسن هو ؟ فقلت : ويحك ! قتلتنى يارجل !» ويعقب ابن جنى على هذه الحكاية قائلا : « فحكيت هذه الحكاية بمدينــة السلام لأبى الطيب ، فعرفها وضحك لها ، وذكر أبا على بالثناء والتقريظ بما يقال فى مثله » (٥٣) ٠

ومن ذلك ماروره ياقوت قائلا :«قيل كان المتنبى يوما جالسا بواسط وعنده ابنه المحسد قائما وجماعة يقرؤون عليه فدخل عليه بعض الناس ، فقال : أريد أن تجيز لنا هذا البيت ، وهو :

زارنا فى الظـــلام يطلب ســـــترا
فافتضحنـــــا بنـــوره فى الظـلام

فرفع رأسه وقال : يا محسد ، قد جاءك بالشمال فائته باليمين ، فقال محسد ارتجالا :

فالتجـــانا الى حنـــادس شـــعر
سترتنا عن أعين اللـــوام » (٥٤)

فانظر طريقته فى الرد وهى الدعابة عينها ، وكيف لم يتحشم أن يقول ذلك أمام ابنه ، بل كيف استجاب ابنه سريعا لاغراء والده له بالرد على هــذا التحدى ، مما يدل على أن الابن كان متعودا هذه الدعابة من أبيه ، ثم التهكم المستتر فى عدم رده على الرجل وتحويله اياه على ابنه بما يوحى انه يراه أقل منزلة من أن يجيزه بنفسه ٠

بل ان القصة التالية التى تروى عن بخله لتدل دلالة قوية على أن الرجل لم يكن متزمتا بل كانت فيه فكاهة يلجأ اليها ليدارى بها عيبا من عيوبه النفسية ٠ قال أبو بكر الخوارزمى عنه : «حضرت عنده يوما وقد أحضر مال ، فصب بين يديه صلات سيف الدولة على حصير قد افترشه،

فوزن وأعيد فى الكيس ، وتخللت قطعة كأصغر ماتكون خلال الحصير ، فأكب عليه بمجامعه يعالج لاستنقاذها منه ، ويشتغل عن جلسائه حتى توصل الى اظهار بعضها ، وأنشد قول قيس بن الخطيم :

تبدت لنـــا كالشـمس بين غمـــامة
بدا حاجب منهـــا وضنت بحـاجب

ثم استخرجها وأمر باعادتها الى مكانها ، وقال : انها تحضر المائدة » (٥٥)

*

ومما يدل على أن طبع المتنبى لم يكن يجافى الفكاهة أنه كان لايضيق بهزل الهازلين معه ، بل كان يوسع صدره لهم ويشاركهم ضحكهم · يقـول على بن حمزة البصرى اللغوى «انه زار أبا الطيب عند وصوله من مصر الى مدينة الكوفة ، فوجد بحضرته شيخا فيه دعابة لا تقتضيها منزلة أبى الطيب يقول له : يا أبا الطيب ، خرجت من عندنا (يعنى من الكوفة زمن شبابه) ولك ثلاثمائة قصيدة ، وعدت بعد ثلاثين سنة ولك مائة قصيدة ونيف ، أفكنت تفرقها على المنقطعين من أبناء السبيل ؟ فيقول له أبو الطيب : ألا تدع هزلك ؟ فيقول الشيخ : فأخبرنى عن قصيدتك الشاطرية التى خرجت من أجلها الى البصرة حتى أظهرت فيها معارضـــــتك للخبز أرزى ، لم أسقطتها ؟ فيجيب المتنبى قائلا : تلك هفوات الصبا » (٥٦) ·

اننا ينبغى أن نفرق بين خشونة أبى الطيب مع أعدائه وحساده ومن يحاولون ايذاءه والاساءة اليه وبين تلطفـــه وتفكهـــه مع من لايريدون به شرا · وأحسب أن الذين اتهموا المتنبى بأنه زميت لايعرف الفكاهة ولا الضحك قد أهملوا مثل هذه الحكايات الدالة وركزوا على وعورته مع منافسيه ، الذين كانت بينه وبينهم عداوات مرة ·

فاذا تصفحنا شعره تصفحا سريعا وجدنا أن الرجل كانحاضر الفكاهة وكانت فكاهته رائقة معجبة (ودعنا الآن من هجائياته المقذعة ، فما عن هذا نتكلم) · وهذه بعض أمثلة أسوقها من غير ترتيب تاريخى :

فهناك الأبيات التى أشار اليها المرحوم الاستاذ العقاد فى التهكم

برجلين قتلا فأرا وأبرزاه للناس يعجبانهم من ضخامته · وهى مشهورة يستشهد بها دائما بحيث لاتحتاج الى أن نوردها (٥٧) · ثم هذا البيت الذى لا أتمالك نفسى من الضحك كلما قرأته أو خطر ببالى (ودعنا الآن مما قاله بعض النقاد فيه) وهو من قصيدة له فى أحد ممدوحيه المبكرين :

لو استطعت ركبت الناس كلهمو
الى سعيد بن عبد الله بعرانا

ان قائل هذا البيت لايمكن أن يكون الاصاحب مزاج فكاهى رائق ·

وعرض عليه عبيد الله بن طغج سيفا ، فأشار المتنبى به الى بعض من حضر ، وقال :

أرى مرهفا مدهش الصيقلين
وبابة كل غلام عتا
أتأذن لى ، ولك السابقات ،
أجربه لك فى ذا الفتى ؟

وفى تعريضه بأن خصاء كافور قد أذهب عقله يقول :

لقد كنت أحسب قبل الخصى
أن الرؤوس مقر النهى
فلما نظرت الى عقله
رأيت النهى كلها فى الخصى

ولا أظن من يستطيع أن يلتقط هذا المعنى ويرسم هذه الصورة الا رجلا تضرب الفكاهة فى أعماق طبعه بعرق قوى متين ·

وانظر هذين البيتين اللذين يصوران ما لقيه من معابثة طيف حبيبته الذى زاره فى الأحلام :

دار الملم لها طيف تهددنى
ليلا فما صدقت عينى ولاكذبا
ناءيته فدنا · ادنيته فنأى ·
جمشته فنبا · قبلته فأبى

وأرجو أن تقرأ البيت الثانى متأنيا متذوقا أثر الجمل القصيرة المنفصلة التى به وكيف تصور بقصرها وانفصالها مداورة الطيف له ، وكيف كذلك تزيد التقطيعات الموسيقية البيت دعابة وظرفا · ألا تحس معى كأن المتنبى كان ينشد هذا البيت وهو يتمايل ويتكسر ؟

وحتى وهو فى السجن لاتفوته السخرية بحبسه وبمن حـــوله ، اذ يقـــول :

وكنت من النـــاس فى محفــــل
وهأنا فى محفـــل من قـــرود

كذلك وهو حزين مقيد الحركة عند كافور لايستطيع أن يغـــادر مصر ولا كافور قد أوفى له بما وعده به وأطعمه ، لاينسى أن يتهكم بحاله :

أصـــبحت أروح خـــازنا ويـــدا
أنا الغنى وأمـــوالى المواعيـــد

وتأمل هذه الصورة الكاريكاتورية لابن كروس ، الذى كان يعـــاديه ويتآمر عليه :

فيـــا ابن كـــروس يانصف أعمى
وان تفخـــر فيا نصـــف البصـير

وكيف أنه جعله أضحوكة من أيما زاوية نظرت اليه : من الزواية السـلبية التى لا ترى الاعماه ، أو من الزاوية الايجابية التى تركز على بصره ·

وكذلك هذه الصورة التى يرى فيها العكبرى اجمالا لما فصله أبو تمام فى أبيات ثلاثة له ، ولا أرى أنا فيها شيئا من ذلك ، اذ هى صورة جديدة تماما ، والا فلا جديد فى الشعر اذن · وفى هذه الصورة يقـــارن بين الطريقة التى رد بها سيف الدولة على رسالة ملك الروم آنذاك والاسلوب الذى كان يتبعه فى مراسلته من قبل :

وكنت اذا كاتبتـــه قبـــل هــذه
كتبت اليـــه فى قذال الدمســـتق

مشيرا الى هروب الدمستق (قائد الجيش البيزنطى) وجرحه فى موقعة بينه وبين سيف الدولة · ووجه الفكاهة هنا ذكره «القذال» والكتـــابة فيه · والقذال والقفا كما نعرف هما محل الصفع ، ولاتخفى عليك بعد ذلك الاشارة فى قول الشاعر : «كتبت اليه فى قذال الدمستق» ·

وانظر اليه يسخر من امام الخوارج الذى هزمه سيف الدولة فى أول وهلة من الحرب بعدما استعد لها طويلا وهدد بخوض غمار حرب طحون · وكان هذا الخارجى قد ادعى أن الله أوحى اليه أن يحارب سيف الدوله على جمل مشيرا بدل السيف بكمه : (٥٨)

أقـــال لـــــه الله : لاتلقـــــــــه
بمـــــاض عـــلى فرس حـــائل

. . . .

يشـــمر للـــــج عن ســــــاقه
ويغمـــــره المـوج فى الســـــاحل

وانظر أيضا وصفه للأسد الذى سمع بهزيمة زميله على يد بدر عمار بأنه «ابن عمته» (أى ابن عمة الأسد المهزوم) وكأنه كان يعرف أنساب الأسود وقرابة هذا لذاك على هذا النحو من الدقة والتفصيل والمقصود ، كمـا لا أحتاج الى القول ، السخرية بالأسدين :

ســـمع ابن عمته به وبحــــــاله
فنجـــــا يهـــرول منـــك أمس مهولا

وتنبـه لكلمة «سمع» ، وكأن هزيمة الأسد قد انتشرت وشاعت بين الأسود تلوكها ألسنتها ويخوف بها بعضها بعضا ، كما يحدث فى دنيا الآدميين

واقرأ كذلك هذه الأبيات التى تقطر دعابة وتهكما لطيفا ولاتحتاج الى أى تعليق ، اذ «أنفذ رجل الى سيف الدولة أبياتا يذكر أنه رآهـــا فى النوم يشكو الفقر فيها ، فقال أبو الطيب » : (٥٩)

قد ســــمعنا ما قلت فى الأحــلام
وأنلنـــــاك بـــدرة فى المنـــام

وانتبهنـــا كمــــا انتبهت بلا شي
ء وكـــان النـــوال قدر الكـــلام
كنت فيمـــا كتبتـــه نـاعم العيـــ
ن فهـــل كنت نـــائم الأقـــلام ؟

ثم هذين البيتين اللذين أجراهما المتنبى على لسان حصانه الناصح الحكيم الذى ينظر الى البشر من عل مستغربا حماقتهم وقلة عقلهم التى تسول لهم ترك الخضرة والبساتين والماء النمير والسكينة وسلام القلب الى الحرب والموت والقتال الضروس :

يقـــول بشعب بـوان حصـانى :
أعن هـذا يســار الى الطعـــان ؟
أبوكـــم آدم ســـن المعـــاصى
وعلمــــكم مفـــارقة الجنـــان

فمن هذه الأمثلة يتبين لنا ظلم الحكم الذى أطلقه الاستاذ العقـاد وجاء المرحوم الأستاذ على أدهم فبالغ فيه ، هذا الحـــكم الذى يجـــرد المتنبى من موهبة الفكاهة ٠ كذلك فانى أرى أن الاستاذ شاكر قد قصر فى قوله الذى ظن أنه به ينصف المتنبى من هذه الناحية فلم يستطع ، لأن مازعمه له من وقار شديد ونزوع الى السيادة والحد والمجد منعه من أن يبصر جيدا هذا الجانب فى شخصية الشاعر ٠ قال الاستاذ شاكر : «ولعله (أى المتنبى) كان فى أصل طبيعته قريب الميل الى المرح والطرب في وقار ، ولولا ما كلف نفسه من المشقة للسيادة والمجد لكان من أبرع الناس نكتة بليغة وأكثرهم نادرة عالية » (٦٠) ، اذ بعد أن عرضنا بعض أمثله سريعة على فكاهة المتنبى (وما رددنا به قبل قليل على دعوى وقاره الشديد) يصبـــح من غير المقبول أن يكون كل ما نصف به الشاعر من هذه الناحية هو « أنه فى أصل طبيعته قريب الميل الى المرح والطرب في وقار » ان هذه وسوسة وتحرج لامعنى لهمـــا ٠ أما دعوى المرحوم د ٠ النعمان القاضى من أن المتنبى قد أكتشف قدرتـــه الرائعـــة على الفكـــاهة والســـخرية فى مصر

فأحسب ، بعد أن سقنا مـ نالامثلة ما يدل على وجود الفكاهة فى شعر صباه وفى سيفياته ، أى قبل ذهابه الى مصر ، أنه يسوغ لنا أن نصف مثل هذا الحكم بعدم الدقة ٠

فاذا عدنا الى ما قاله الاستاذ شاكر فى وصف خلق المتنبى من أنه «ماشرب الخمر ولاحمل وزرها» وأنه «لولا اضطراره ٠٠٠ لما حضر مجلسها» وجدنا عجبا ، اذ ان المتنبى نفسه قد صرح أكثر من مرة بأنه ذاق الخمر ٠ صحيح أنه لم يكن من شرابها المداومين ، بل كان الى النفور منها أقرب ، لكن هذا لايسوغ أبدا القول بأنه ماشربها قط ولاحمل وزرها ٠ انه مثلا يقول فى صباه :

كل شىء من الدماء حرام
شربه ماخلا دم العنقود
فاسقينها فدى لعينيك نفسى
من غزال وطارفى وتليدى

ويقول لبدر بن عمار :

فخر الزجاج بأن شربت به
وزرت على من عافها الخمر
وسلمت منها وهى تسكرنا
حتى كأنك هابك السكر

وقال وقد أخذ الشراب منه عند بدر وأراد الانصراف :

نال الذى نلت منه منى
لله ما تصنع الخمور !
وذا انصرافى الى محلى
أآذن أيها الأمير ؟ (٦٢)

وعرض عليه بدر الصحبة للشرب فى غد فقال ارتجالا :

وجدت المدامة غلابة
تهيج للقلب أشواقه
تسىء من المرء تأديبه
ولكن تحسن أخلاقه

وأنـفس ماللفـــتى لبـــــــة
وذو اللب يكـــره انفـــــاقة
وقد مت أمس بهـــا مـــوتة
ولايشـــتهى المـــوت من ذاقــه

والشاهد طبعا فى البيت الأخير ، الذى يصرح فيه بأنه شربها فى اليـــوم السابق · ولعله يشـــير الى ما أصـــابه من جرائهـا من آلام فى البيتين السابقين (٦٣) ·

وكان مع محمد بن طغج وقد نال منه الشراب وأراد أن ينصرف ، ولكن هذا أمسك به واستبقاه ، فقال :

مـــال عـــلى الشراب جـــدا
وأنت بالمكـــرمات أهـــدى (٦٤)

وفى مدح ابن طغج هذا يقول :

شربت على استحسان ضوء جبينــه
وزهر تـــرى للمـــاء فيه خريرا

وقال وقد كثر البخور وارتفعت رائحة الند والأصوات (٦٥) :

أنشر الكبـــاء ووجـــه الأميـــر
وصوت الغنـــاء وصافى الخمور ؟
فداو خمـــارى بشربى لهـــــا
فـــانى ســـكرت بشرب السرور

وفى مناسبة ثانيـــة عرض عليه محمد بن طغج الشرب فامتنع فأقسم عليه بحقه فشرب وقال (٦٦) :

ســـقانى الخمـــر قولك لى بحقى
وود لم تشـــــبه لى بمـــذق
يمينـــا لـــو حلفت وأنت نـــاء
عـــلى قتـــلى بهـــا لضربت عنقى

ويبدو ان المتنبى كان ضعيفا أمام من يقسم عليه أن يقاسمه الشراب ، وذلك واضح مما مر وأيضا من البيتين التاليين اللذين رد بهما على أبى محمد

الحسن ن عبيد الله بن طغج ، وكان قد أقسم عليه أن يشرب ، فأخذ الكأس وقال : (٦٧)

حييت من قسم وأفدى المقسما
أمسى الأنام له مجلا معظما
واذا طلبت رضا الأمير بشربها
وأخذتها فلقد تركت الأحرما

ثم من هذين البيتين اللذين قالهما لما مد له أحدهم يده بكأس وحلف عليه بالطلاق ليشربنها :

وأخ لنا بعث الطلاق ألية
لأعللن بهذه الخرطوم
فجعلت ردى عرسه كفارة
عن شربها وشربت غير أثيم

اذن فقد شرب المتنبى الخمر مرات عدة (اذا اقتصرنا فقط على ما ذكره فى شعره) ، وهو دليل آخر قاطع على أن ما كتبه الاستاذ شاكر عن المتنبى ، رغم امتاعه وطرافته وسبحات ما فيه من خيال ، يتسم بالمغالاة الشديدة التى حجبت بين المترجم وحقيقة المترجم له · وانى فى واقع الأمر لا أدرى لم نفى الاستاذ شاكر أن يكون المتنبى قد ذاق الخمر أو حمل وزرها ، وهذا هو المتنبى يصرح بنفسه أنه قد فعل ، لامرة ولامرتين بل مرات متعددات ، اللهم الا أن يكون الاستاذ المترجم قد جرى على مذهب سيدنا رسول الله ﷺ فى محاولة رد المعترف بالزنا اعترافه وله فى التوبه واستغفار الله والعزم على عدم معاودة الخطيئة منادح عن اقامة الحد عليه· بيد أننا هنا لانريد أن نقيم الدليل على المتنبى حتى نعاقبه ، وانما نحن نكتب التاريخ ، فاما أن نكتبه بصدق واما لا · وعن نفسى فانى أدعو الله سبحانه أن يغفر للمؤمنين كلهم ويتجاوز عن زلاتهم ، وهو رحيم كريم يقبل التوبة ويعفو عن السيئات ·

ويبقى من كلام الاستاذ شاكر عن شخصية المتنبى مامعناه أن أهل عصره وبخاصة الأدباء والشعراء ، بسبب ما كان عليه من تورع خلقى

والتزام للوقار وتزمت لايلين للشهوات وابتعاد تام عن الخمر طوال حياته كلها ، قد عدوه غريبا بينهم · وهى نتيجة خاطئة عن مقدمة خاطئة · فأولا: لم يكن المتنبى غريبا بين كل أدباء عصره ، بل كان له منهم أعداء وأصدقاء· ومن هؤلاء الأخرين ابن جنى والخالديان فى حلب ، وابن رشدين وابن أبى الجوع وفاتك أبو شجاع فى مصر ، وأبو على الفارس وابن العميــد فى العراقين · وهى مجرد أمثلة سريعة · وهذا غير ممدوحيه الذين قربـوه اليهم ورفعوا مكانته عندهم ولم يعدلوا به شـاعرا آخــر ، وكذلك غيــر تلاميذه الذين ذكرنا عددا منهم فيما مضى · وثانيا : فان الذى بغض المتنبى الى من ابغضوه انما هو فى المقام الأول موهبته التى كســفت مواهبهم ، واعتداده الزائد بنفسه وفنه وعدم استطاعته التحكم فى آرائه فيهم وعواطفه نحوهم ، ثم ارادته دائما الاستئثار بممدوحه من دون الآخرين ·

أما قول الاستاذ العريض ان المتنبى كان «يرى نفسه أكبر من كثير من ملوك عصره الذين عرفهم واحدا واحدا لهذه الخلال الملكية التى كان يتحلى بها من على الهمة وكبرياء النفس والاعتداد بالقلب وعدم المبـالاة وصدق اللهجة والعفة والوفاء» فاننا لانسلم له به كله فأين كانت هذه الأخلاق الملوكية حنيما كان يدور على ممدوحيه فى بداية حياته رافعــا كلا منهم فوق السماء السابعة لقاء دراهم معدودة؟وأين كانت كبرياؤه حينما ظل يلح على كافور ويذكره بالولاية على حين كان من الواضح أن كافورا قد سد أذنيه تماما تجاه هذا الالحاح ؟ ولقد مرت بنا أمثلة أخرى فيمـا مر من فصول رأينا فيها المتنبى يدخل فى حد السخف ويسىء الى نفســه ارضاء لهذا الممدوح او ذاك · على أن ليس معنى كلامى أننى أنفى عنه كبرياءه واعتداده بنفسه · لا ، ولكنى أريد أن أقول ان الاستاذ العريض والاستاذ شاكر ، فى غمرة تدلههما فى شعر المتنبى وشخصيته (وعين الرضا كما يقولون عن كل عيب كليلة) يركزان على الجانب المضىء من حيـاة الشاعر واخلاقه ونفسيته ، ويتجاهلان تماما أن هناك جانبا آخــر غيــر مضىء ·

والآن الى الفريق الثانى المبغض لشخصية الشاعر والذي لايري فيها

ولابصيصا من ضوء · ان الاستاذ عباس حسن يرى أنه شاعر منافق كاذب لما حه سيف الدولة وكافورا أولا ثم انقلابه عليهما ذاما هاجيا ، وهو فى الحالين مدفوع بدافع خاص · وواقع الأمر أن فى هذا القول تبسيطا للمسألة مخلا وظلما للشاعر ، لأننا اذا عبنا الشاعر فينبغى أن نعيب معه هذين الممدوحين ، فانهما لم يغدقا عليه ما أغدقاه من أموالهما بل من أموال المسلمين ، وفقرائهم بخاصة · هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان المتنبى لم يكن هو البادىء بالانقلاب عليهما ، بل سيف الدولة هو الذى (صوابا أو خطأ) ألقى أذنيه لحساد الشاعر والواشين به حتى أن ابن خالويه لم يحترم وجود سيف الدولة فى أحد مجالس البلاط ، فأخرج من كمه مفتاحا اثر عبارة تهكمية من المتنبى تعرض بجهله بالعربية ، ليضربه به (فى رواية ، أو ضربه فعلا فى رواية أخرى) ، ولم ينتصف الأمير للشاعر ولاوجه لوما الى اللغوى الكبير ، بل ولاحتى حاول أن يسترضى المتنبى ، فكان أن فر من حلب حيث وقع ما أساء الى كرامته · (٦٨)

ومع ذلك فان المتنبى لم ينقلب على سيف الدولة هاجيا شاتما ، وان بدرت منه بعض العبارات التى ينفس بها عن غيظه ويشفى بها جراحات نفسه والذى يرجع الى كافورياته سوف يجد أنه كان لايزال على حبه لسيف الدولة وأن مفارقته له ولحلب لم تكن سهلة عليه ، فقد قال مثلا فى أولى قصائده فى كافور :

حببتك قلبى قبل حبك من نأى
وقد كان غدارا فكن أنت وافيا
وأعلم أن البين يشكيك بعده
فلست فؤادى ان رأيتك شاكيا
فان دموع العين غدر بربها
اذا كن اثر الغادرين جواريا
· · · · · · ·
أقل اشتياقا أيها القلب ، ربما
رأيتك تصفى الود من ليس صافيا

خلقت ألوفا لو رجعت الى الصبا
لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

ومن قصيدة له أخرى فى كافور يقول فى افتتاحيتها :

أود من الأيام ما لا توده
وأشكو اليها بيننا وهى جنده
يباعدون حبا يجتمعن ووصله
فكيف بحب يجتمعن وصده ؟
أبى خلق الدنيا حبيبا تديمه
فما طلبى منها حبيبا ترده ؟

وفى مطلع قصيدة ثالثة يقول :

فراق ، ومن فارقت غير مذمم
وأم ومن يممت خير ميمم

. . . .

فلو كان ما بى من حبيب مقنع
عذرت ولكن من حبيب معمم
رمى واتقى رميى ، ومن دون ما اتقى
هوى كاسر كفى وقوسى وأسهمى

وفى رابعة يقول :

سهرت بعد رحيلى وحشة لكمو
ثم استمر مريرى وارعوى الوسن

ثم هذا البيتان فى سيف الدولة وقد قالهما فى مصر :

فارقتكم فاذا ما كان عندكمو
قبل الفراق أذى بعد الفراق يد
اذا تذكرت ما بنى وبينكمو
أعان قلبى على الشوق الذى أجد

وكذلك هذه الأبيات (وهى من قصيدة قالها فى واسط) ، والحديث فيها عن سيف الدولة وكافور :

عثـــرت بســـيرى نحو مصر فلا لعا
بها ، ولعا بالسير عنها ولاعثـــرا
وفارقت خيـــر الناس قاصــد شرهم
وأكـــــرمهم طـــرا لألأمهم طـــــرا
فعــاقبنى المخصى بالغــدر جــازيا
لأن رحيـــلى كان عن حلب غـــدرا
وما كنت الا فائل الــــرأى لم أعن
بحزم ولا استصحبت فى وجهى حجرا (٦٩)

ومثلها الأبيات التالية :

أقيم على عبـــــــد خصى منــــافق
لئيم ردىء الفعـــل للجـــود مدعى
وأترك ســـيف الدولة الملك الرضـــا
كريم المحيـــــا أروعـــا وابن أروع
فتى بحـــره عذب ومقصـــده غنى
ومرتع مرعى جـــوده خيـــر مرتع
*ظل اذا ما جئتـــه الدهــــر آمنـــا
بخير مكـــان بل بأشرف موضـع (٧٠)

ترى من ذا الذى يستطيع أن يقرأ هذه الأبيات ولاتجيش عيناه من هذا الحب المعقد الذى يأبى ، برغم ادعاء صاحبه عكسه أحيانا ، الا أن يغلبه على نفسه وينبجس على لسانه وقلمه ؟ انى اســـتطيع أن أدعى وأنا آمن من الزلل أن مثل هذا الحب لايوجد فى ســـيفيات المتنبى نفســـها حين كان الشاعر ناعم الحياة بجوار أميره ٠

ثم فلنتنبه الى أن سيف الدولة هو الذى باداه بعد ذلك بالرســـائل والهدايا بمجرد علمه برحيله عن مصر ، فهل كان يفعل ذلك لو أن المتنبى قد غدر به ؟ شىء آخر هو أن المتنبى ، برغم استدعاء سيف الدولة له أكثر من مرة يرجع الى حلب ، وقد ذكر فى أحدى قصـــائده ردا على رســـالة لسيف الدولة انه يخشى الوشايات ان عاد ، فهل هذا سلوك أو كلام غدار؟

لاشك أن عزة نفسه هى التى أملت عليه هذا الموقف ٠ وهنا نتذكر بيته المشهور الذى قاله قبل هذا :

غنى عن الأوطان لا يستخفنى
الى بلد سافرت عنه اياب

أما انقلاب المتنبى على كافور فان المسؤول عنه فى رأيى هو كافور نفسه لا الشاعر ٠ انه هو الذى كاتبه وهو بالرملة يستقدمه الى مصر ، ومناه الأمانى ، فلما صار فى يده تنكر لما وعده به (٧١) ٠ ليس هذا فقط ، بل أمسك به مصر لا هو يوفى له بوعده ولا هو تاركه ينطلق فى أرض الله ٠ سيقال انه كان خائفا من لسانه ٠ وأقول : وهل يسوغ هذا ان تقيد حرية واحد من عباد الله ؟ ان د ٠ الشكعة يقول مدافعا عن كافور ان المتنبى بعد أن جعل يعرض به كان لابد من مراقبته ، وأصبح شخصا غير مرغوب فيه بلغة عصرنا ، فلم يجد أمامه من سبيل الا أن يترك البلاد هاربا (٧٢) والحقيقة أن الأمر لم يكن كذلك ، والا فلو كان المتنبى قد أصبح شخصا غير مرغوب فلم لم يطلب منه مغادرة البلاد ، بدلا من مراقبته ، التى لاتعنى الا أن كافورا كان لايريد له أن يغادر البلاد ؟ ثم ماضر كافورا ان يهجوه المتنبى أو ألف واحد كالمتنبى ؟ ولقد هجاه المتنبى فعلا ووقعت الواقعة ، فما الذى حدث ؟ لا شىء ٠ ومع هذا فانى لا أعفى الشاعر من اللوم ، فقد كان عليه أن يعرف أنه خلق للفن والشعر لا للحكم ومؤامراته وأعبائه ٠ لقد كان المتنبى يباهى دائما بمواهبه الخلقية والأدبية ، فما الذى جعله يعتقد أن حياته ستظل ناقصة اذا لم يول ولاية ؟ وهل الولاية تستحق هذا العناء والالحاح وتصديق المواعيد المخادعة المراوغة ؟ ان الوالى ما هو فى نهاية المطاف الا عبد للحاكم الاكبر ٠ ولكن ماذا نقول فى الطبيعة البشرية ، التى كثيرا ما تعمى عن مواطن السعادة وهى تحت أنفها وعينيها وتذهب تبحث عنها حيث لايوجد الا الشوك والعلقم ؟

وأحب هنا أن أقف قليلا عند حادثة الدواة التى يقال ان سيف الدولة

قدرماه بها عندما ضاق بادعاءاته وافتخاره الشديد بنفسه في ميميتـــه المشهررة التى أولها :

واحـــر قلبـــاه ممن قلبــه شبم

ومن بجســـمى وحالى عنده سقم

فان الرواية التى وردت فيها هذه الحادثة لاتدخل لى فى عقل ٠ وهذه هى الرواية أسوقها بتمامها أولا قبل أن أبين رأيى فيها : « قال أبو فراس لسيف الدولة : ان هذا المتشدق (يقصد المتنبى) كثير الادلال عليك ، وأنت تعطيه فى كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد ٠ ويمكن أن تفرق مائتى دينار على عشرين شاعرا يأتون بما هو خير من شعره ٠ فتأثر سيف الدولة من هذا الكلام وعمل فيه ٠ وكان المتنبى غائبا ، وبلغته القصة ، فدخـل على سيف الدولة وأنشده :

الا ما لســـيف الدولة اليوم غاضبا

فداه الورى أمضى السيوف مضاربا

فأطرق سيف الدولة ولم ينظر اليه كعادته ، فخرج من عنده متغيـــــرا ، وحضر أبو فراس وجماعة من الشعراء فبالغوا فى الوقيعة فى حق المتنبى ، وانقطع المتنبى يعمل فى القصيدة الميمية التى أولها :

واحـــر قلبـــاه ممن قلبـــه شبم

فانشدها ، وجعل يتظلم فيها من التقصير فى حقه ،فهم جماعة بقتله بحضرة سيف الدولة مما وجدوا من شدة ادلاله واعراض سيف الدولة عنه ٠ فلما وصل فى انشاده قوله :

يا أعـــدل الناس الا فى معـــاملتى

فيك الخصـام وأنت الخصم والحـكم

أعيـــذها نظـــرات منك صـــادقة

ان تحسب الشحم فيمن شـحمه ورم

علم ابو فراس أنه يعنيه ، فقال : ومن أنت يادعى كندة حتى تأخذ أعراض أهل الأمير فى مجلسه ؟ فاستمر المتنبى فى انشاده ولم يرد عليه الى أن قال :

أنا الذى نظـــــر الأعمى الى ادبى

وأسـمعت كلماتى من به صـــمم

فزاد ذلك غيظا فى ابى فراس · فلما وصل الى قوله :

الخيـــل والليل والبيداء تعــرفنى

والطعن والضرب والقرطاس والقـلم

قال ابو فراس : وما أبقيت للأمير اذا وصفت نفسك بالشجاعة والفصـــاحة والرياسة والسماحة ؟ أتمدح نفسك وتأخذ جوائز الأمير ؟ فقال المتنبى :

وما انتفـــاع أخى الدنيـــا بنـــاظره

اذا استوت عنـــده الأنـوار والظلم

فغضب سيف الدولة من كثرة مناقشته فى هذه القصيدة وكثرة دعاويه فيها ، وضربه بالدواة التى بين يديه · فقال المتنبى فى الحال :

ان كان سركمـــو ما قال حاســدنا

فما لجــــرح اذا ارضاكمـــو الم

فأعجب سيف الدولة هذا البيت ورضى عنه فى الحال ، وادناه اليه وقبل رأسه واجازه بألف دينار ، ثم أردفه بألف دينار اخرى ، فقال المتنبى :

جـــــاءت دنانيــــرك مختـــومة

عاجلــــة ألفـــا عـــــلى ألف

اشـــــبهها فعـــلك فى فيـــــلق

قلبتـــــه صفـــا على صف » (٧٣)

على أن هناك تفاصيل أخرى لهذه الحادثة وردت فى رواية «الصبح المنبى» (رغم نقله عن نفس المصدر الذى نقل عنه ابن عساكر ، وهو كتاب «المآخذ الكندية» من المعانى الطائية») · وهذه التفاصيل تتلخص فى أن المتنبى كان كلما انشد بيتا من أول قوله :

يا أعـــدل الناس الا فى معـــاملتى

فيك الخصـــام وأنت الخصم والحكم

اعترضه ابو فراس ، وقال له : لقد اخذت هذا البيت وسرقته من فلان أو

مسخت قول فلان ، ثم يورد بيت فلان هذا ، وقد يورد معه بيتا آخر يشبهه لشاعرثان (٧٤) • وأسارع فأقول أولا ان هذه التفاصـــيل التى أوردها البديعى فى «الصبح المنى» غير معقوله أو مفهـــومة ، اذ كيف يجـرؤ أبـــو فراس ، مهما كانت قرابته لسيف الدولة ، أن يقاطع المتنبى فى كل بيت ينشده وجو المجلس يسوده كل هذا التوتر وسيف الدولة صامت ؟ ولا شك أن الفضول كان متسلطا على الأمير ليعرف ما ســـيقوله المتنبى فى قصيدته هذه الغريبة العجيبة ، فكيف سكت على أبى فراس ، الذى كان يقطع انشاد القصيدة اثر كل بيت ليدل بسعة علمه بالشعرويسخف فن الشاعر ، وهو بهذا القطع يفسد عليه تشوقه وفضوله علاوة على أن الوقت ليس وقت موازنات شعرية وادلال بالعلم بالشعر ؟ ثم من أين لأبى فراس بهذه الذاكرة «الكمبيوترية» التى ما ان تسمع البيت من قصيدة المتنبى حتى تتذكر فى الحال ، من غير تفكير ودون أدنى عناء وبرغم الجو المشـــحون بالتـوتر والغضب ، البيت الذى سرقه المتنبى (على حسب كلامه) وأحيانا بيتـــا ثانيا مشـــابها والشـــاعرين اللذين قالا البيتين ؟ كذلك فمن الغـــريب أن يسكت المتنبى على هذه المقاطعات والاتهامات فلا يدفع عن نفسه تهمة السرقة •

ولنرجع الآن الى القصة كما أوردها ابن عساكر • وانى لأتساءل : ماذا كان سيف الدولة يفعل بالدواة فى مجلس شعر كهذا لاكتابة فيـــه ولاتوقيع وانما انشاد واستماع ؟ ثم اننا لم نسمع أن سيف الدولة قـد أهانه قبلها أو بعدها ، فكيف يقدم على اهانته له على هذا النحو بقذف الدواة فى وجهه وادمائه ؟ بل كيف بقى الشاعر بعدها خمس سنوات وهو الذى لم يتحمل سكوته على لكم ابن خالويه له بمفتاح (أو همه بذلك) رغم أن ذلك كان ردا على عبارة عنيفة قاسية وجهها اليه ؟ ثم هل يعقل أن يستطيع المتنبى ارتجال البيت التالى :

ان كان سركمـــو ما قال حاســـدنا

فما لجـــرح اذا أرضاكمـــو ألم

أثر المفاجأة المذهلة:مفاجأة قذف سيف الدولة اياه بالدواة؟بل هل يعقل أن ينزل
من سماء كبره وافتخاره المتفجر بنفسه فجأة الى هذا التذلل الضارع؟ولو سلمنا
جدلا بهذا فكيف استمر ينشد الأبيات الباقية من القصـــــيدة وهى مثـل
الماضية مشحونة بالكبر والتعنيف والتهديد والانذار ؟ ان الذين يشنعون
على المتنبى بهذه القصة يفهمون «الجرح» المذكور فى البيت على انه جرح
وجهه بسبب الدواة ، فلم لم تذكر الرواية أن سيف الدولة ، حين استرضى
الشاعر اثر سماعه منه هذا البيت ، قد أمر بماء وقطعة قماش لازالة الدم
من على وجهه وملابسه ؟ كذلك أين الحبر الذى كان فى الدواة فلم نسـمع
أنه لطخ وجه الشاعر وملابسه ؟ أم تراها كانت فارغة ؟ فماذا كانت تفعل
هناك اذن ؟ ومن جهة أخرى كيف يقوم سيف الدولة فيقبل رأس الشاعر
على أثر البيت السابق فيستمر هذا فى انشاد القصيدة كما أعدها قبلا
وكلها كما قلت انذار وتهديد وتعنيف ؟ على أن القصة تمضى فتتحدث عن
السامرائى أحد كتبة سيف الدولة ، الذى عرض عليه بعد أن فرغ المتنبى
من انشاده وخرج أن يلحقه فيأتيه برأسه (٧٥) والسؤال الآن هو : اذا كان
سيف الدولة قد قبل رأس الشاعر واسترضاه ولم يسمع كلام ابن عمـــه
فيه بل أعطاه ألفا ثم الفا ، فكيف جرؤ هذا السامرائى أن يعرض عليـــه
مثل هذا العرض ؟ بل كيف دبر أبو العشائر محاولة الاغتيال التى كاد
الشاعر أن يضيع فيها ؟ من هنا فانى أرى أن «الجرح» المذكور فى هذا
البيت انما هو الجرح المعنوى لاجرح الدواة · وحتى لو تجاهلنا كل هذا
وصدقنا هذه الرواية التى لاتصدق ، ألا يكفى المتنبى أن الأمير نفسه ، برغم
هذه القصيدة العنيفة المنذرة المتوعدة التى وضع فيها الشاعر نفسه فوق
الناس جميعا بما فيهم سيف الدولة ذاته ، قد نهض وقبل رأس الشـــاعر
وطيب خاطره وأعطاه ألفى دينار ؟

ويأخذ الاستاذ عباس حسن (ومثله فى ذلك د · بنت الشاطىء) على
المتنبى ادعاءه وغروره وهو المستجدى الصفيق الذى يســتعطف الملوك
والأمراء ليمنحوه ولاية أو ضيعة وقد كان المتنبى فعلا كثير الحديث عن
مواهبه والاشادة بها لايرى أحدا من الشعراء أو من غيرهم يساميه · ولكن

أكان المتنبى هو وحده الذى يرى ذلك (رغم أننا كنا نحب لو خافت من صوته قليلا) ؟ ألم يكن الملوك والأمراء يتنافسون عليه ؟ فكيف يقال انه كان بالنسبة اليهم مستجديا صفيقا ؟ الحقيقة أنهم ربما كانوا لشعره أكثر استجداء منه لأموالهم • وأنا هنا أتحدث عن الأمراء والملوك ، والا فقد غير على المتنبى زمان كان يستجدى فعلا ، وماذا ؟ الدرهمين والثلاثة ! وكان ذلك فى أول حياته • وقد قلت وسأقول اننى لا أحب هذا اللون من المديح ، ولكن اذا أخذنا المتنبى عليه فلنؤاخذن كل الشعراء المداحين وكل الممدوحين والأوضاع التى أنتجت هذا اللون من الشعر •

لقد كان المتنبى شديد الاعتداد بمواهبه ، وكان يصرح بأن الخلق كلهم دونه • ومع ذلك فانه كان اذا مدح انسانا وضعه أيضا فوق الخلق جميعا • وقد يفديه بنفسه • ولا أظن أن هذا ينفى ذاك • وقد رأيناه فى ميميته التى أنشدها فى حضرة سيف الدولة وأبى فراس وغيرهما من آل حمدان ورجال بلاطهم يضع نفسه فى أعلى سماء غير مبال بالخطر المهلك الذى كان يحيط به والذى كاد من جرائه بعدها ان يفقد حياته • كما أن الرواة يقولون انه حين اتصل بسيف الدولة اشترط عليه شروطا قبلها جميعا (٧٦) صحيح أنه لم يحرص على نفس هذه الشروط عند كافور أو عضد الدولة ، ولكنه كان محترما فى البلاطين له وزنه (وان لم يحب هناك كما أحبه سيف الدولة) ، وكان يعامل معاملة مختلفة عما يعامل به بقية الشعراء • وقد رأينا ابن العميد يجلس منه مجلس التلميذ من أستاذه وهو يقرأ عليه كتاب «الجمهرة» لابن دريد ، ورأيناه كذلك وهو يغريه بالذهاب الى عضد الدولة وهو يتمنع ، ثم رضى فى النهاية • ورأيناه من قبل يرفض مدح ابن حنزابة وزير كافور ، والوزير المهلبى فى بغداد • كذلك فان فراره من مصر عندما لم ينله كافور ما يطلب يدل دلالة قوية على أنه لم يكن مستجديا صفيقا ، والا فقد كان يكفيه ما يجريه عليه كافور ، بل كان يكفيه من قبل ذلك عطاء سيف الدولة ، وهو عطاء لم يعطه أحد من الشعراء • ومع ذلك فقد ترك هذا وذاك (وان أخذت عليه عليه قبلا أنه بقى يلح على كافور أن ينوله ولاية برغم اتضاح نوايا الرجل فى عدم الايفاء بوعده ، بل انتقدته

على اهتمامه بالولاية أصلا ، وقد كان بمواهبه غنيا عن الولاية وعن وجع الدماغ الذى تجلبه لصاحبها) • على أى حال ، فقد كان المتنبى شديد الاعتداد بنفسه ومواهبه ولكنه فى نفس الوقت كان يغلو فى مدح ممدوحيه وكان مدفوعا فى الاولى بما يحسه فى نفسه من مواهب أدبيه ونفسية ،بينما كان مدفوعا فى الثانية بمطامحه ومطامعه ، الا أنه فى هذه لم يكن كما قلت بدعا بين الشعراء

والاستاذ عباس حسن يسم المتنبى بأنه «منافق كاذب» • ولا أظن أن هذا حكم منصف وأنا لا أنفى ان للمتنبى مدائح كاذبة ، ولكنى أرى أن وصم شعره كله بالنفاق هو تعميم خطر • هل يرى الاستاذ أن قصائد المتنبى فى مدح سيف الدولة وتمجيد انتصاراته على الروم الكفرة أعداء الاسلام هى نفاق كاذب ؟ بل هل يرى أن مدائحه فى سيف الدولة بوجه عام هى كذب ونفاق ؟ لقد رأينا أن المتنبى ظل يحب سيف الدولة ، الذى استمر بدوره على حبه للشاعر وحرص على أن يسترده وان لم ينجح فى ذلك (ودعنا من تلك الغمزات التى وجهها الشاعر الى سيف الدولة فى بعض كافورياته ، فقد كان هذا كما قلت تنفيسا عن غيظه • وكلنا تقريبا تمر عليه أوقات يقول فيها كلاما قاسيا فى أعز من يحب) • وهل كان شعره فى فاتك مدحا ورثاء هو أيضا نفاقا فى نفاق ؟ وحتى شعره فى ابن العميد وعضد الدولة ،أيمكن القطع بأنه كان نفاقا وكذبا ؟ ان الممدوح الوحيد (فيما نعرف) الذى انقلب شاعرنا عليه هو كافور • وقد بينت قبلا أن كافورا هو المسؤول الأول عن ذلك•سيقال : ولكن المتنبى كان اذا مدح انســــانا رفعه فوق العــالمين جميعا • وهذا صحيح • ولكن المتنبى لا ينفرد بهذا ، وليس من الانصاف أن نحمله وزر هذا الاسلوب فى المديح ، فهو تقليد شعرى قديم لم يصطلح عليه الشعراء وحدهم بل شاركهم فيه النقاد وحثوهم عليه حثا • ان كاتب هذه السطور يكره شعر المديح ما لم يكن فى الثناء على مكرمة خلقيـــــة حقيقية أو عمل بطولى أو تضحية من أجل الدين أو الأمة أو الانسانية • وأنا أعرف أن شعر المتنبى ليس كله كذلك ، ولكن لم الهجوم على المتنبى وحده واتهامه من أجل ذلك بالكذب والنفاق ؟ سبحان الله ! ألم يحسن اليه

بينه وبين المتنبى أكثر من قرنين ، ولم تظهر هذه الرواية فيما نعرف عند أحد قبله (ولابعده) (٧٩) ٠

هذا ، ولاداعى لأن نقف عند دعوى قتله غلامه لسرقته منه بعض المال، فقد بينت من قبل أن جريمة الغلام لم تقتصر على السرقة بل أنه أراد قتل الشاعر ، الذى لم يقتله مع ذلك بيده بل ضربه فى وجهه بالسيف وترك الغلمان يجهزون عليه ٠ كما بينت الأخطار التى كانت محدقة بالشاعر آنذاك أثناء قطعه الفيافى هاربا من يد كافور الطويلة ٠ ومع ذلك فقد كان أفضل لو أنه عفا عنه مادام لم يستطع أن ينال منه منالا ٠ كما كان أحجى به ألا يهجو ابن كيغلغ بعد إن أفضى الى ربه مهما كانت درجة العدواة بينهما قبل ذلك ومهما كانت جهالة ابن كيغلغ هذا وحمقه الذى سول له أن يحصل على مدح الشاعر بالقوة ، فأخذ عليه الطرق وحبسه عن المضى لطيته عدة أسابيع الى أن واتته الفرصة فهرب منه (٨٠) ٠

ويبقى اتهام الاستاذ عباس حسن للمتنبى أنه مبالغ فى الحديث عن شجاعته وقتله الأعداء مع أنه هرب من مصر بليل ، وقد بينت من قبل ان المتنبى فى تهديداته للملوك والأمراء مجرد قوال لافعال ٠ صحيح أننى لم أكن أنتظر منه أن ينفذ تهديداته فيهم فانه لم يكن صاحب عصبية ولاجيش ولاأتباع ، ولكن كان أقمن به ان يكف عن هذه الجعجعات ، ومع هذا فانى لا أ وافق الاستاذ عباس حسن على غمزة المتنبى لخروجه من مصر بالليل خائفا يترقب ، فهل كان يريده أن يعلنها ، وهو وحيد غريب فى مصر، حربا على كافور أم ماذا ؟ أما ان كان يريد أن يقول ان المتنبى كان جبانا منخوب القلب فان ما وصلنا عنه من روايات تدل على عكس ذلك ٠ لقد غزا الرجل مع سيف الدولة غزوات عدة وصورها فى شعره تصوير من خاضها وبلاها لا من اكتفى بمشاهدتها من بعيد ٠ كذلك فان قصته مع غلمان أبى العشائر الذين أرادوا بتحريض من سيدهم قتله معروفة ، لقد اقتحمهم وشتتهم ومضى على فرسه الى بيته ، ولم يفكر فى الهرب من حلب ، وان كان قد نظم قصيدة يمدح فيها أبا العشائر ويعاتبه معاتبة خفية محساولا أن يستل سخيمة صدره بعد قصيدته الميميته العنيفة التى أشرنا اليها أكثر

من مرة فى هذا الفصل (٨١) ، وربما أيضا بسبب تعريضه به فى قصيدته التى أولها :

غيرى بأكثـــرت هذا الناس ينخـدع
ان قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا (٨٢)

ويشهد على شجاعته كذلك مدحه سيف الدولة فى مصر فى غضون مدحه لكافور ، وانشاؤه المديح فى فاتك أبى شجاع منافس كافور اللدود فى مصر (وان كان استأذن كافورا فى هذا) ، وثناؤه الحار على شـــبيب العقيلى ، الذى خرج بالشام على كافور فلقى حتفه . كما أن شجاعته وأنفته أن يتحدث الناس بخوفه من خال ضبة والرجال الذين أعدهم ليقتلوه مرجعه من فارس على أطراف بغداد كانتا هما السبب فى قتله . وأخيرا أليست شجاعة منه أنه كان يخلط مدح نفسه بمدح الأعيان والأمراء والملوك بل كان يقدم نفسه عليهم أحيانا ويستأثر دونهم بمعظم أبيات القصيدة ؟

هذه صورة لشخصية المتنبى حاولت فيها أن أكون معتدلا فلا أميل معه ولا أميل عليه ، وأرجو من الله أن أكون قد نجحت .

(هوامش الفصـــل الرابع)

(١) من كتاب «المقفى» للمقريزى ، نقلا عن شاكر/السفر الثانى ص ٣٤٣١_٣٤٢ وانظر الصبح المنبى · ص ٢٠_٢١ ·

(٢) انظر «خزانة الأدب» / جـ ٢ · ص ٣٤٧ ،وشاكر/السفر الثانى ص ١١٤،١٠٨ ·

(٣) «خزانة الأدب» /جـ ١ · ص ١٢٨ ·

(٤) د · عزام · ص ٤٣_٤٤ ·

(٥) أورد ابن العديم هذه القصة · انظر شاكر/السفر الثانى · ص ٢٨٦_٢٨٧ ·

(٦) انظر شاكر/السفر الثانى · ص ٢٠٢ ، و د· الشكعة/أبو الطيب المتنبى فى مصر والعراقين · ص ٣٠٧ ·

(٧) الأنبارى / نزهة الألبا · ص ٣٧٢ ·

(٨) المرجع السابق · ص ٣٧٢ ·

(٩) انظر «خزانة الأدب» / جـ ٢ · ص ٣٥٥ ، والهامش أيضـــا حيث يعقب محقق الكتاب انها «بالباء» وأنه لم يعثر عليها قط «بالميم» ·

(١٠) ذكر ذلك الصابىء فى كتاب «الوزراء» ، ونقلها ابن العديم فى «بغية الطلب» انظر شاكر / السفر الثانى · ص ٢٧٥ ·

(١١) انظر فى رأى المعرى الواحدى ، ص ١١٢ .

(١٢) ابن العديم ، نقلا عن شاكر/السفر الثانى . ص ٢٥٠-٢٥١، وانظر المقريزى أيضا بنفس المرجع السابق . ص ٣٥٤-٣٥٥ .

(١٣) انظر د . الشكعة/أبو الطيب المتنبى فى مصر والعراقين . ص ٣٠٩ - ٣١٠ .

(١٤) بغيـــة الطلب لابن العديم نقلا عن شاكر / السفر الثانى . ص ٢٩٧ و «الصبح المنبى» . ص ٩٥ .

(١٥) انظر ابن العديم فى شاكر/السـفر الثانى . ص ٣٠٦ ، و «الصبح المنبى» . ص ١٧٣ ، و«خزانة الأدب» . جـ/٢ . ص ٣٦٣ .

(١٦) «الشاعر الطموح» . ص ٢٩ .

(١٧) «مطالعات فى الكتب والحياة» . ص ١٦١ .

(١٨) انظر ابن العديم فى شاكر/السفر الثانى . ص ٢٧٥ ، «وخزانة الأدب» / جـ ٢ص ٣٥٠ ، «ووفيات الأعيان» . جـ ١(فى ترجمة ابن الرومى) . وانظر كذلك د . شعيب . ص ١٧ ، و د . النعمان القاضى / كافوريات أبى الطيب . ص ٧٧ ، وان كان قد فاتهما أن يذكرا كتاب «الجمهرة» ، الذى درسه ابن العميد على المتنبى وهو جالس منه مجلس التلميذ من أستاذه .

(١٩) «كافوريات أبى الطيب» . ص ٧٧-٧٨ .

(٢٠) «المتنبى بين ناقديه» . ص ٢٤٧-٢٤٨ .

(٢١) انظر «الرسالة الحاتمية فيما وافق المتنبى فى شعره كـلام أرسطو» . ص ٢٣ . وانظر أيضا «تاريخ آداب اللغة العربية» / جـ ٢ . ص ٢٥٠ .

(٢٢) انظر مصطفى عبد الرازق / فيسلوف العرب والمعلم الثانى ص ٨٩ـ٩٣ ، وانظر كذلك د . مصطفى الشكعة/فنون الشعر فى مجتمع الحمدانيين . ص ٤٤٠ ـ ٤٤١ .

(٢٣) انظر «فنون الشعر فى مجتمع الحمدانيين » . ص ١٠٤ .

(٢٤) انظر العكبرى / جـ ٣ . ص ٢٠٩ـ٢٢٠ .

(٢٥) انظر القصيدة وتاريخها فى اليازجى / مجلد ٢ . ص ٢٦ .

(٢٦) انظر الموضعين المذكورين من «فيلسوف العرب والمعلم الثانى» ص ٨٩ـ٩٣ ، «وفنون الشعر فى مجتمع الحمدانيين » ، ص ٤٤٠ـ٤٤٢ .

(٢٧) يمكن الرجوع الى كتاب «الأدب المقارن» للدكتور محمد غنيمى هلال : الفصل الرابع «ميدان البحث فى الأدب المقارن» ص ٩٢ـ١٠٢ وبخاصة ص ٩٧/٩٩ ، وكذلك كتاب «الأدب المقارن» لجويار (ترجمة د . محمد غلاب) : الفصلين الثالث السادس ، وكتاب Theory of Literature لمؤلفيه René Wellek و Austin Warren : الفصل السادس ص ٤٦ـ٥٣ (وفى الترجمة العربية التى قام بها محى الدين صبحى من ص ٥٧ الى ص ٦٦) ، وانظر كذلك مادة Comparative Literature فى Shipley J Dictionary of World Literature ص ١١٤ـ١١٧ وكذلك نفس المادة ومادة Weltliteratur فى A Dictionary of Literary Terms لصاحبه J.A. Cuddon ص ١٤٢، ٧٥٣

(٢٨) وذلك فى الفصلين اللذين عقدهما لذلك ونشرهما اولا فى جريدة

«البلاغ» فى ٢٤،٧ يناير سنة ١٩٢٤ م، ثم ضمنهما بعد ذلك كتابه «مطالعات فى الكتب والحياة» .

(٢٩) «دراسات أدبية» . ص ٦٢،٣٩ .

(٣٠) انظر ابن العديم والمقريزى فى شاكر/السفر الثانى . ص ٣٠٩،٣٥٩ـ٣٦٠ .

(٣١) «يتيمة الدهر» /ج ١ . ص ١٢٣ .

(٣٢) انظر «الشاعر الطموح» للجارم . ص ٥٤،٤١ . وكتاب المريض /فن المتنبى بعد ألف عام . ص ٢٤٢ بالهامش .

(٣٣) شاكر/السفر الأول . ص ٢٤٥ـ٢٤٦ .

(٣٤) شاكر/السفر الأول . ص ٢٧٤ .

(٣٥) المرجع السابق . ص ٢٧٥ .

(٣٧) المرجع السابق . ص ٢٣٥،٢٣١ .

(٣٨) المرجع السابق . ص ٢٥٤ـ٢٥٥ .

(٣٩) انظر الأبيات الاولى من رثائه للصغرى لتتحقق من هذه الملاحظة فى عكبرى/ج ٣ ، ص ١٢٣ـ١٢٤ .

(٤٠) المرجع السابق . ص ١٢٦ـ١٢٧ .

(٤١) انظر شرح اليازجى لهذا البيت/مجلد ٢ . ص ٢٨٤ . هـ ٧ أما العكبرى فانه نقل أن التلميح بـ «الأحياء الغيب» انما المقصود به التعريض بسيف الدولة ، بمعنى أن سلامه يقصر دونه ، وان كان قد نقل

أيضا انكار ابن فورجة هذا التفسير . عكبرى /جـ١ . ص ٩٢ . هـ ٢٨ .
والواقع أن من الصعب على من يقرأ القصيدة بامعان أن يرى فى هــذا البيت تعريضا بسيف الدولة ، فان البيتين اللذين يليانه كلهما ثناء مستطاب ومديح ما بعده مديح لهذا الأمير ، وذلك غير ما تقدم من أبيات يعلن المتنبى فيها تعاطفه العميق معه . ثم ان المتنبى هو الذى ترك سيف الدولة ، فكيف يعرض بأن سلامه لايصل اليه وهو الذى باداه بالســلام والرســائل والهدايا ؟

(٤٢) اشار د . طه حسين الى شىء من هذا ولكنه لم يجزم به (مع المتنبى . ص ٢١١) . وانظر د . الشكعة / فنون الشــعر فى مجتمع الحمدانيين . ص ٢٠٢ـ٢٠٣ .

(٤٣) انظر المتنبى / السفر الأول . ص ٢٣٩ .

(٤٤) انظر العكبرى / جـ ١ . ص ١٨١ (بيت ١٨) ، ١٨٣ (بيت ٢٦) على سبيل المثال .

(٤٥) انظر القصيدة فى العكبرى / جـ ١ . ص ١٥٩ ـ ١٧٦ ، وبخاصة أبيات المقدمة ١ـ١٧ .

(٤٦) انظر «الشاعر الطموح» / الفصل الذى عنوانه «دسائس» . ص ١٢١ فصاعدا .

(٤٧) شاكر/المتنبى/السفر الاول . ص ١٢٣ـ١١٤ .

(٤٨) ابراهيم العريض / فن المتنبى بعد الف عام . ص ١٧٥ .

(٤٩) عباس حسن/المتنبى وشوقى . ص ٣٣٩ـ٣٤٤ .

(٥٠) د ٠ بنت الشاطىء / قيم جديدة للأدب العربى /جـ١ ٠ ص ١٤٦ـ١٤٩ ٠

(٥١) انظر العقاد/مطالعات فى الكتب والحيـاة ٠ ص ١٨٧ ـ ١٨٨ ٠

(٥٢) انظر «على هامش الأدب والنقد» ٠ ص ٧٣ـ٧٥ ٠

(٥٣) «يتيمة الدهر» / جـ ١ ٠ ص ١٣٤ ، وابن العديم ، نقلا عن شاكر / السفر الثانى ٠ ص ٢٨٦ ٠وقد ورد فى رواية ثانية لهذه الحكاية أن المتنبى فعل ذلك مع ابن خالويه ٠ انظر المرجع الاخير ٠ ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧ ٠

(٥٤) ابن عساكر فى شاكر/السـفر الثانى ٠ ص ٣١٦ـ٣١٧ ، وانظر «الصبح المنبى» ص ٢٦٦ ٠

(٥٥) ابن العديم والمقريزى ، نقلا عن شاكر / السفر الثانى ٠ ص ٢٧٧ـ٢٧٨ ، ٣٣٦ـ٣٣٧ ٠

(٥٦) د ٠ مصطفى الشكعة/أبو الطيب المتنبى فى مصر والعراقين ص ٦١ ٠

(٥٧) انظر هذه الأبيات فى العكبرى / جـ ١ ٠ ص ٢٠٢ـ٢٠٣ ٠

(٥٨) انظر العكبرى / جـ ٣ ٠ ص ٢٩ ٠ هامش البيت ٣٦ ٠

(٥٩) العكبرى / جـ ٣ ٠ ص ٣٧٧ ٠

(٦٠) شاكر/السفر الاول ٠ ص ٧٢ ـ ٧٣ ٠

(٦١) «كافوريات أبى الطيب» . ص ٤٥١ .

(٦٢) العلكبرى / جـ ٢ . ص ١٣٨ .

(٦٣) انظر العكبرى / جـ٢ . ص ٣٥٠ .

(٦٤) انظر تقدمة الأبيات فى العكبرى / جـ ٢ . ص ١٢ .

(٦٥) عكبرى/جـ ٢ . ص ١٤٥ .

(٦٦) السابق/جـ ٢ . ص ٣٥١ .

(٦٧) انظر العكبرى / جـ ٤ . ص ١١٨ .

(٦٨) انظر الروايتين فى ابن العديم والمقريزى . شاكر/السفر الثانى . ص ٢٩٣ـ٢٩٤ ، ٣٢٠ .

(٦٩) انظر القصيدة كلها فى «الصبح المنبى» . ص ١٠٤ـ١٠٧ ، واليازجى / مجلد ١ ص ٢٩ـ٣٤ .

(٧٠) الصبح المنبى . ص ١٠٧ ، واليازجي / مجلد ١ ، ص ٣٤ ـ ٣٦ .

(٧١) انظر «الصبح المنبى» . ص ١١١ ، وابن عساكر نقلا عن شاكر/السفر الاول . ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦ . وانظر أيضا اليازجى / مجلد ٢ . ص ٣١٩ . هـ ٥ ، حيث يذكر وعد كافور له بأن يوليه الولاية التى طلبها .

(٧٢) «أبو الطيب المتنبى فى مصر والعراقين» . ص ٤٢٢ـ٤٢٣ .

(٧٣) ابن عساكر نقلا عن شاكر / السفر الثانى . ص ٣٢٢ـ٣٢٤ .

(٧٤) انظر فى هذه التفاصيل «الصبح المنبى» · ص ٨٩_٩١ ·

(٧٥) انظر العكبرى / جـ ١ · ص ٤٥ ، و هـ ١٠١ وص ٤٦ ·

(٧٦) انظر مثلا خزانة الأدب / جـ١ ص ٣٤٩ ،و«الصبح المنبى» · ص ٧١ ·

(٧٧) انظر فى هذا او ذاك ابن العديم وابن عساكر فى شاكر/ السفر الثانى ص ٣٢٤_٣٣٧ و ٢٢٧_٢٧٩ و «الصبح المنبى» · ص ٩٢_ ٩٨ ، ١٧٥ ، و «حصاد الهشيم» ص ١٥٠_١٥٤ ·

(٧٨) انظر ابن العديم فى شاكر/السفر الثانى · ص ٢٩٦_٢٩٨ · و «الصبح المنبى» ص ٩٤_٩٥ ·

(٧٩) انظر ابن العديم فى شاكر/السفر الثانى · ص ٢٥٢ ·

(٨٠) انظر فى عداوتهما وهجاء المتنبى له ، العكبرى / جـ ٢ · ص ٣٥٩ ، جـ ٣ ، ص ٢٦٣ ، جـ ٤ · ص ١٢١ ·

(٨١) انظر هذه القصة والأبيات فى اليازجى / مجلد ١ ص ٤٦٦ _ ٤٦٧ والعكبرى/جـ ٢ · ص ٢٩٢ ·

(٨٢) انظر فى ذلك د · النعمان القاضى /كافوريات أبى الطيب · ص ١١٦_١١٧ ·

المصـــادر والمراجع

● ابراهيم العريض · فن المتنبى بعد ألف عام · دار العلم للملايين بيروت ـ لبنان ط/١/١٩٦٢ ·

● د · ابراهيم عوض · المستشرقون والقرآن · دار الحقـوق / ١٩٨٤ ·

● ابراهيم المازنى · حصاد الهشيم · المطبعة العصرية ط/٦ ·

● د · أحمد أمين · ظهر الاسلام ج/٢ مكتبة النهضـــة المصرية ط/٥/١٩٧٧ ·

● د · أحمد أمين · ظهر الاسلام ج/٤ مكتبة النهضة المصرية ط/٤/١٩٧٥ ·

● د · أحمد امين · فيض الخاطر ج/٤ مكتبة النهضة المصرية / ١٩٥٤ ·

● د · أحمد أمين · المهدى والمهدوية · اقرأ · رقم/١٠٣/١٩٥١ ·

● أحمد عطية الله · القاموس الاسلامى مجلد / ١ مكتبة النهضة المصرية / ١٩٦٣ ·

● أحمد عطية الله · القاموس الاسلامى مجلد / ٢ مكتبة النهضة المصرية/١٩٦٦ ·

● أحمد عطية الله · القاموس الاســـلامى مجلد / ٣ مكتبـــة النهضة المصرية / ١٩٧٠ ·

● د . أحمد هيكل . الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة . دار المعارف / ١٩٨٢ .

● الأنبارى . نزهة الألبا فى طبقـــات الأدبا . طبع فى عصر الخديو اسماعيل .

● انعام الجندى . دراسات فى الأدب العربى . دار الطليعـــة . بيروت .

● أنيس المقدسى . أمراء الشعر فى العصر العباسى . دار العلم للملايين . بيروت ط/٦/١٩٦٣ .

● أوستن وارين ورينيه ويليك . نظرية الأدب (ترجمة محيى الدين صبحى) المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلـــوم الاجتمـــاعية (بسورية) .

● البديعى . الصبح المنبى عن حيثية المتنبى (تحقيق مصـــطفى السقا ومحمد شتا وعبده زيادة عبده) . دار المعارف / ١٩٦٣ .

● بروكلمان . تاريخ الأدب العربى جـ / ٢ (ترجمة د. عبد الحليم النجار) . دار المعارف بمصر ط/٣/١٩٧٤ .

● بروكلمان . تاريخ الأدب العربى جـ/٦ (ترجمة د . السيد يعقوب بكر و د . رمضان عبد التواب) . دار المعارف / ١٩٧٧ .

● بطرس البستانى . محيط المحيط . مكتبة لبنان . بيروت (نسخة مطبوعة بالفوتو أوفست نقلا عن ط / ١٩٧٠) .

● البغدادى . خزانة الأدب (تحقيق عبد السلام هارون) جـ/٢ دار الكاتب العربى/١٩٦٨ .

● البغدادى · الفرق بين الفرق · مكتبة أنس بن مالك/١٤٠٠ هـ (مصورة عن ط/دار الافاق الحديثة · بيروت / ١٩٧٣) ·

● د·بنت الشاطىء · قيم جديدة للأدب العربى ج/١· دار المعرفة ط/١/١٩٦٦ ·

● الثعالبى · يتيمة الدهر ج/١ · المكتبة التجارية الكبــــرى · القاهرة ط/٢/١٩٥٦ ·

● الجرجانى · الوساطة بين المتنبى وخصومه (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم وعلى محمد البجاوى) ·دار احياء الكتب العربية ط/١/ ١٩٤٥ ·

● جرجى زيدان · تاريخ آداب اللغة العربية (مراجعة وتعليق د · شوقى ضيف) ج/٢ · دار الهلال/بدون تاريخ ·

● جرجى زيدان · العرب قبل الاسلام (مراجعة وتعــليق د · حسين مؤنس) · دار الهلال / بدون تاريخ ·

● جوزيف الهاشم · أبو الطيب المتنبى · دار الشرق الجديد · بيروت ط/١/١٩٥٩ ·

● جوبيار · الأدب المقارن (ترجمة د· محمــــد غلاب) · الألف كتاب رقم/٤٤/١٩٥٦ ·

● الحاتمى · رسالة عن المتنبى (فى ذيل «الابانة عن سرقات المتنبى» للعميدى · دار المعارف بمصر / ١٩٦١) ·

● الحاتمى · الرسالة الحاتمية فيما وافق المتنبى فى شعره كلام أرسطو فى الحكمة · طبعة بيروت ·

● د . حسن ابراهيم حسن . تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى جـ/٣ . مكتبة النهضة المصرية ط/٨/١٩٧٣ .

● الخطيب البغدادى . تاريخ بغداد . مطبعة السعادة . القاهرة ط/١/١٩٣١ .

● ابن خلكان . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد) . مكتبة النهضة المصرية ط/١/١٩٤٨ .

● د . درويش الجندى . الشعر فى ظل سيف الدولة . مكتبة الأنجلو المصرية ط/١/١٩٥٩ .

● الزبيدى . تاج العروس .

● الزركلى . الأعلام . دار العلم للملايين . بيروت ط / ١٩٨٤/٦ .

● زكى المحاسنى . المتنبى . نوابغ الفكر العربى عدد/١٥ دار المعارف/١٩٦١ .

● سامى الكيالى . سيف الدولة وعصر الحمدانيين . دار المعارف بمصر/١٩٥٩ .

● شفيق جبرى . محاضرات عن المتنبى مجلة المجمع العلمى بدمشق مجلد/١٠/١٩٣٠ .

● د . شوقى ضيف . العصر العباسى الثانى . دار المعارف بمصر ط/٢/١٩٧٥

● د.شوقي ضيف . الفن ومذاهبه في الشعر العربي .دار المعارف بمصر ط/٨/١٩٧٤ .

● الصاحب بن عباد . رسالة في كشف مساوىء المتنبي (في ذيل «الابانة عن سرقات المتنبي» للعميدي .دار المعارف مصر / ١٩٦١) .

● عباس حسن . المتنبي وشوقي . دار المعارف / ١٩٦٤ .

● د . عبد الرحمن بدوي . من تاريخ الالحاد في الاسلام . مكتبة النهضة المصرية / ١٩٤٥ .

● د . عبد الله سلوم السامرائي . الغلو والفرق الغالية في الحضارة الاسلامية . دار واسط للنشر ط/٢/١٩٨٢ .

● د . عبد الوهاب عزام . ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام . دار المعارف ط/٢/١٩٥٦ .

● العقاد . حقائق الاسلام وأباطيل خصومه . كتاب الهلال العدد ١٦٩/ابريل/١٩٦٥ .

● العقاد . مطالعات في الكتب والحياة . مطبعة الاستقامة بالقاهرة ط/٢ .

● العكبري . شرح ديوان المتنبي : التبيان في شرح الديوان (ضبط وتصحيح وفهرسة : مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي) . مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر / ١٩٧١ .

● علي أدهم . على هامش الأدب والنقد . دار الفكر العربي / بدون تاريخ .

● علي الجارم . الشاعر الطموح . اقرأ . عدد/٥١/فبراير ١٩٤٧

● عامر فروخ · عبقرية اللغة العربية · دار الكتاب العربى · بيروت / ١٩٨١ ·

● العميدى · الابانة عن سرقات المتنبى (تحقيق ابراهيم الدسوقى البساطى) · دار المعارف بمصر / ١٩٦١ ·

● الفيروزابادى · القاموس المحيط · مصطفى البابى الحلبى ط/٢/١٩٥٢ ·

● ابن كثير · تفسير القرآن العظيم دار احياء الكتب العربية ·

● المتنبى · ديوان المتنبى · أمين هندية ·

● محمد احمد جاد المولى وعلى محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل ابراهيم · أيام العرب فى الجاهلية · دار احياء الكتب العربية / ١٩٤٢ ·

● د · محمد عبد الرحمن شعيب · المتنبى بين ناقديه فى القديم والحديث · دار المعارف بمصر ط/٢/١٩٦٩ ·

● د · محمد غنيمى هلال · الأدب المقارن · مكتبة الأنجلو المصرية ط/٣/١٩٦٢ ·

● محمود محمد شاكر · المتنبى (سفران) · مطبعة المدنى · القاهرة / ١٩٧٧ ·

● د · مصطفى الشكعة · اسلام بلا مذاهب · مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ط/٥/١٩٧٦ ·

● د · مصطفى الشكعة · أبو الطيب المتنبى فى مصر والعراقين · عالم الكتب · بيروت ط/١/١٩٨٣ ·

● د. مصطفى الشكعة: فنون الشعر فى مجتمع الحمدانيين. مكتبة الأنجلو المصرية / ١٩٥٨.

● د. مصطفى الشكعة: سيف الدولة الحمدانى أو مملكة السيف ودولة الأقلام. عالم الكتب ببيروت ومكتبة المتنبى بالقاهرة / ١٩٧٧.

● مصطفى عبد الرازق. فيلسوف العرب والمعلم الثانى. دار احياء الكتب العربية / ١٩٤٥.

● المعرى. رسالة الغفران (تحقيق د. عائشة عبد الرحمن). دار المعارف ط/٥/١٩٦٩.

● د. مهدى علام. دراسات أدبية. مكتبة الشباب / ١٩٧٢.

● د. النعمان القاضى. كافوريات أبى الطيب دراسة نصية. مركز كتب الشرق الاوسط ومكتبتها / ١٩٧٥.

● الواحدى. شرح ديوان المتنبى (نشر وفهرسة فريدرخ ديتريصى) برلين/١٨٦١.

● اليازجى. العرف الطيب فى شرح ديوان أبى الطيب (مجلدان) دار صادر ودار بيروت / ١٩٦٤.

● يوهان فك. العربية. دراسات فى اللغة واللهجات والأساليب (تقديم وتعليق د. رمضان عبد التواب). مكتبة الخـــانجى بمصر ـــ / ١٩٨٠.

ıang (editors), The Penguin Companion
:al & Byzantine & Oriental & African
ooks, 1969.

ica, ed. 14 .

Islam vol. III, 1936.

Encyclopaedia of Islam, 1953.

ıary of Literary Terms, Penguin Books,

ng editor), The New Bible Dictionary,
›ndon, 1972.

ama des Littératures (Israël, Islam,
ınada), Marabout Université, 1970.

History of Arabs, Cambridge Uni-

y of the Arabs, Macmilan & Co. ed. 8,

n Warren, Theory of Literature, a

Vorld Literature, Routledge, London,

ı, Dictionary of Islam, Oriental Books
ew Delhi, 1976.

للمؤلف

١ ـ الترجمة من الانجليزية ـ منهج جديد ٠

٢ ـ فى الشعر الاسلامى والأموى ـ تحليل وتذوق ٠

٣ ـ فى الشعر العباسى ـ تحليل وتذوق ٠

٤ ـ فى الشعر الأندلسى ـ تحليل وتذوق ٠

٥ ـ فى الشعر العربى الحديث ـ تحليل وتذوق ٠

٦ ـ فصول من النقد القصصى ـ رؤية جديدة ٠

٧ ـ من أعلام النقد القصصى (بالانجليزية والعربية) ٠

٨ ـ المستشرقون والقرآن ٠

٩ ـ مصدر القرآن ـ دراسة فى الاعجاز النفسى ٠

١٠ ـ من الطبرى الى سيد قطب ـ دراسة فى مناهج التفسير ومذاهبه ٠

١١ ـ تفسير سورة المائدة ٠

١٢ ـ تفسير سورة التوبة ٠

١٣ ـ محمود طاهر لاشين ٠

١٤ ـ نقد القصة فى مصر ·

١٥ ـ المتنبى ـ دراسة جديدة لحياته وشخصيته ·

١٦ ـ Novel-Criticism in Egypt

تحت الطبع

١٧ ـ معركة الشعر الجاهلى بين الرافعي وطه حسين ـ بحث موضوعى مفصل ·

فهرس

المتنبى / دراسة جديدة لحياته وشخصيته

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٦/٧٩٨٩